بيت الفقراء

نشر الثقافة الروحية

الجزء الثامن

ألواح ما بين قبر ومنبر

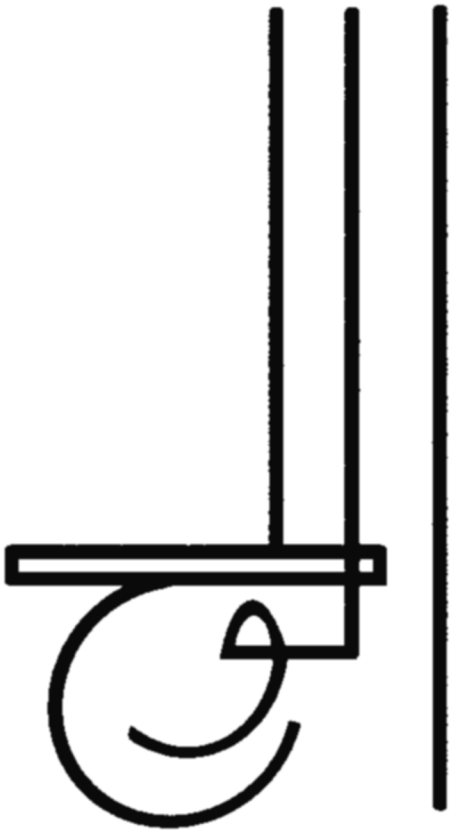

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلمية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء الثامن

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	المنتظر والمنتظرون!! إنه العلم يوم يعلمون أبعد رسول الله متكاثرا وهو الحق من الله وهو اسم الله جديدا من الله يستقبلون؟!! وهو المعلم بينهم على ما يعلمون وعلى ما يجهلون أو يتجاهلون	حديث الجمعة	٢٠ ديسمبر ١٩٦٣ م	١
٢	آدم الفطرة وإنسان الناس ثمرة الأعلى والأدنى للأزل والأبد للإنسان تمام كلمة الله وروح قدسه	حديث الجمعة	٣ يناير ١٩٦٤ م	١١
٣	ليس الذاكر غير المذكور ولا العارف غير المعروف هدي الكتاب واستقامة الطريق ويقين الإيمان	حديث الجمعة	١٧ يناير ١٩٦٤ م	١٩
٤	المخلوق المتخلق بخلق الخالق النبأ العظيم والعبد الحق المقيم الفطرة به تملأ فراغ الوجود بالحياة بتجديد مفردات وجوده لعين موجوده اتساعا لعالم شهوده إنسان الحياة وحق وعبد الله	حديث الجمعة	٢٤ يناير ١٩٦٤ م	٣٥
٥	{ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه} زويت له الأرض وجعلت له مسجدا وطهورا اللهم برحمتك فاكشف عنا الغطاء لنرانا فيه	حديث الجمعة	١٤ فبراير ١٩٦٤ م	٤٥

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٦	من عَرَف فيه قبلتَه واجتمع به أحدُّ صحبتَه واستقام له بيته فطرتَه وقام لجمعه وأبعاضه شرعتَه وبعث بهواه حقيقته كان وجها للهو واسما ونُصبا لاللاهو مركز دائرته وحجر زاويته	حديث الجمعة	٢٨ فبراير ١٩٦٤ م	٥٣
٧	لا تطلب الحقيقة وجودا بعيدا عن وجودك فلن تشهدها قياما بعيدا عن شهودك كن لمن كانته فكانها تكنه وتكونها لا إلى الله إلا الله	حديث الجمعة	٧ مارس ١٩٦٤ م	٥٩
٨	وجه الحق للخلق رب الناس ملك الناس إله الناس حق الله وعبده	حديث الجمعة	٢٠ مارس ١٩٦٤ م	٧٣
٩	خليفة الغيب وحق الشهادة شرف الجنس ونعمة الريادة أوادم الناس وإنسان القيادة	حديث الجمعة	٢٧ مارس ١٩٦٤ م	٨٣
١٠	دورة من دورات تتعدد لرسول الحياة والممات بدورة بكة تتجدد في الطريق من الأزل إلى الأبد	حديث الجمعة	٣ أبريل ١٩٦٤ م	٩١
١١	الفطرة مصدر الدين وكتاب العلم وطريق اليقين فيها وبها ومنها ولها المرسل والأعلى والرسول والأدنى في صمدي قائمها صبغة آحاد الحق في الحق المطلق جماع آحاد الله في لانهائي أحديته	حديث الجمعة	١٧ أبريل ١٩٦٤ م	٩٩

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١٢	لبيك إلى رحمتك نعود وبها نطلب الوجود يا نور كل موجود ويا معنى كل مشهود يا حق الحياة وروح كل موعود	حديث العيد	٢٢ أبريل ١٩٦٤ م	١٠٩
١٣	الإنسان بآزاله معية الإنسان بآباده في آحاد الوجود، علما على معلومه له قياما للإنسان علما على الإنسان في علمية الإنسان على الحق في الله	حديث الجمعة	٢٤ أبريل ١٩٦٤ م	١١٥
١٤	الرسول بأحدية إنسانه لقديمه وقادمه عنون الحق بقائمه كافة للناس ما طلبوه والمثل الأعلى لهم ما تبعوه	حديث الجمعة	١ مايو ١٩٦٤ م	١٢٩
١٥	الإنسان أنًا و هو عبد و رب جسد و روح عالَم و عالِم	حديث الجمعة	١٥ مايو ١٩٦٤ م	١٣٩
١٦	الإنسان في الله في وجوده الكوني وفي وجوده الروحي وفي وجوده القدسي وفي وجوده المطلق	حديث الجمعة	٢٢ مايو ١٩٦٤ م	١٤٩
١٧	من الحق إلى الخلق و من الخلق إلى الحق تبليغ بحكمة و ريادة بيقين	حديث الجمعة	٢٩ مايو ١٩٦٤ م	١٦١

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١٨	تواجدت بحاضرك تواجدا لقبلك من قديمك وكل شيء تواجد قديما من أجلك وجددته بك فيك لك من فعلك بوحدانية نفسك عَلَمًا على وحدانية قديمك وقادمك لجنسك في وحدانية معبودك لموجودك في وحدانية الله	حديث الجمعة	٥ يونيو ١٩٦٤ م	١٧٣
١٩	المعروف بالتفريد المنزه عن الإطلاق وعن التقييد ظهره الإنسان بالإطلاق حقا لله غيبا وأزلا وبالتقييد وجودا وعالما وكونا وأبدا	حديث الجمعة	١٢ يونيو ١٩٦٤ م	١٨٥
٢٠	ذات الحياة وروح الحياة عالي الحق بعاليه وداني الحق بدانيه عبد الله ورسول الله واسم الله تمام كلمة الله لأحديته لآحاد به عباداً لله لا حصر للآحاد له	حديث الجمعة	١٩ يونيو ١٩٦٤ م	١٩٣

(١)

المنتظر والمنتظرون!!
إنه العلم يوم يعلمون
أبعد رسول الله متكاثرا وهو الحق من الله وهو اسم الله
جديدا من الله يستقبلون؟!!
وهو المعلم بينهم على ما يعلمون وعلى ما يجهلون أو يتجاهلون

حديث الجمعة

٤ شعبان ١٣٨٣ هـ - ٢٠ ديسمبر ١٩٦٣ م

أعوذ بالله، وهو المستعاذ به. وبغيره أو من دونه لا يعاذ ولا يستعاذ.

وأستغفر الله، وهو الغفور ولا يغفر الذنوب إلا هو.

وأحمد الله، والحمد له والشكر له ولا حمد لسواه.

وأستعين بالله، منه العون ولا عون إلا منه.

وأقول باسم الله، وهو الناطق على لسان كل قلب.

عباد الله.. وهو من نلاقي في القلوب بالحياة يوم تحيا به القلوب، اتقوا الله من أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال.

عباد الله.. أحرار النفوس اتقوا الله بالغيب والشهادة، فإن تقوى الله من عزم الأمور.

أيها المؤمنون بالله يلقونه.. أيها المتقون لله يخشونه.. قدروا الله حق قدره، وآمنوا برسول الله تعرفونه.. آمنوا برسول الله في أنفسكم.. آمنوا برسول الله قيام اجتماعكم على قلب رجل منكم.. آمنوا برسول الله متواصين بالحق فيه.. آمنوا برسول الله حق الله قائما على كل نفس آمنت بما كسبت، أولى بالمؤمنين

من أنفسهم، يوم يُقدر الله عندكم حق قدره، يوم تعلمون أنكم لن تروا من الله إلا معنى من معاني الحق منه، إلا رسول الله أو رسول رسول الله رسولا لله تعرفونه، ولن تقوموا في الله إلا قيام رسول الله في الأعلى من رسول الله رفيقا أعلى، بقيام رسول الله بكم في قيام رسول الله عليكم، قيام الأعلى مستخلفا على أرضه من أرض قيامكم لمعانيكم بقلوبكم، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات، تعرج إليه الملائكة والروح في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون.

عباد الله.. أنتم في هذه الأرض، وفي هذه البشرية ودوراتكم بها، تحملون أمر الله لقلوبكم وإن كان الشيطان يجري منكم مجرى الدم لقوالبكم، وتقومون باللطيف الخبير يتخللكم أقرب إليكم من حبل الوريد. وفي الأمرين فإن حجاب ظلامه لسكينته يطويكم، وحجاب نوره لعلمه يأويكم، وقيام أمره في إرادتكم يحييكم. والغفلة عن أمركم به لأمره بكم تميتكم وتفنيكم.

أنتم في أرض الفطرة حيث البدء من العدم، وحيث الوجود بشيء في الموجود بمعنى كل شيء في الوجود، الموجود بكل شيء سدرة منتهى، ونهاية مرتجى في معارج حياة الأشياء، بدأت من لا شيء ومن لا حياة. قام فيها الشيء ممن هو كل شيء ليكون به الشيء شيئا وشيئا، حتى يصير على هيئة من هو كل شيء عَلَمًا عليه، في أي صورة ما شاء ركبه، حتى يصير الجزء كلا بذاته وأحده، حتى يصير الابن أبا يوم يعرف قبلته، ويجدد جلدته، ويحيي مطيته، ويطور شيئيته.

إن أول قيامكم كائنا ينشد أن يكون، وآخر قيامكم كائنا موجودا كائن ويكون، وقبلكم لهذا القيام وبعدكم من هذا القيام إنما هو قيام في أحد من آحاد، ممن هو قائم لا بدء له إلى قيامه بكم قائما لا انتهاء له، مثل أرضكم كحبة من رمال صحراء فيه، أنتم بين القيامين بين يدي رحمة أحديته بين الحضرتين، حضرة الرب حقا قريبا راعيا قائما على كل نفس، وحضرة العبد هاديا رحيما مرسلا ورسولا مدانيا لحضرة أنفسكم من لدنه، كلمة قائمة بآدم قائما مؤاخيا، أمورا لقائم الحق له ترجون، وبه تتصلون بما عرفتم، وبه تؤمنون، وفيكم من هم في حجابهم يعمهون، ولقادم من الحق ينتظرون، ويتواعدون، ويتذاكرون ويتواصون، وهم دائما عن قائم الحق يتغافلون ويتجاهلون وينكرون ويخاصمون.

الحياة في سفورها بقائمكم إنما هي أمرها لآخرة قيامكم، والحياة في سفورها لكم إنما هي في كشف قانونها ما طلبتم، يوم عرفتم أن قائمكم إنما هو بعث سابقكم بقديم لقائمكم، عَلَمًا على قيام لكم على صورتكم مستديم، ما عرفتم أنكم تتكاثرون من فرد ذاتكم أوادم معانيكم، وما عرفتم أنكم كيف تتجمعون، لتكون من كثرتكم مشتتة واحد الله وأحده في تجمعكم على ذكره، وعلى عَلَم قيامه، بيوتا ترفع أو توضع يذكر فيها اسمه بقائم عبده في دائم رسالته، أبناء أبوة واحدة لسابقكم، الرسول جماع أبواتكم، وجماع حقائقكم لقائم أبوتكم وقائم حقكم.

هذا أمر الدين ما كان لكم دين، وهذا أمر الكتاب ما كان لكم كتاب، وما اختلف فيه كتاب عن كتاب، وما اختلف فيه دين عن دين، وما اختلف فيه رسول عن رسول، ولكن اختلفت آراؤكم فيه من وضع أنفسكم ظالمة مظلمة، محرفين لكلمات الله عن مواضعها.

وإذا كان الرسل لم يختلفوا في قضايا الوجود إلا أنهم قد تفاوتوا في تحقيق نصيبهم من التواجد بالموجود. أولئك الرسل فَضَّل الله بعضهم على بعض في الدرجات وفي المعرفة، فقام كل بما عرف من زوايا العرفان عن الواسع العليم، تعددت أسماؤه حاملة لعلم اسمه العارف، المعروف، الموجود، الواجب الوجود، عين الوجود، في وجودكم في وجود كل شيء، ما ظهر في شيء من أشيائه ولا في موجود من موجوده ولا في وجود من وجوده، مثل ظهوره بالإنسان في الإنسان للإنسان.

ما عرفه ظاهرا له كائن من الكائنات مثل ما عرفه الإنسان الذي جعل معرفته إليه في معرفته عن نفسه منه، وعن نفسه به، وعن نفسه فيه، من ورائه بإحاطته، ومن أمامه لشهوده، وفي قيامه لعين وجوده.

شَرف الإنسان بمعبوده، شرف الإنسان بمعتقده، يوم شَرَّفه معبوده في قربه بوجوده وجها له، وقدسا وأقدس من قدسه بأقداسه لا عَدَّ ولا حصر لها، ولا توقف لجديدها عين قديمها. كما جعل منه ربا وربَّه، وعبدا وعبده، وإلها وإلهه، ووجها ووجهه، أزواجا خلقه، وأزواجا أوجده، وأزواجا حققه، وجه الله يرى وجها لله في رفيق أعلى يريانه وجها لله، ورفيقا أعلى ينظر إلى وجوه لله في قيام وقائم وجه الله جامعا لكل وجه، في الشاهد والمشهود، في الناظر والمنظور، في العارف والمعروف، في العابد والمعبود، في الموجد والموجود.

بذلك شهد الإنسان وعلم وعرف، وبالله شَرُف يوم حظي بدخول حصن لا إله الا الله، فشهد أنه لا إله إلا الله، فأكبر الله بالله، وقدر الله بالله، وعَظَّم الله بالله، فأتم الله عليه نعمته وربط على قلبه فرآه محمدًا رسول الله، لعينه ولعين معناه، ولعين ما شهد من مولاه، فعرف أن وحدانية الخلق في وحدانيتهم مع أنفسهم مع بعضهم البعض حول عبده ورسوله، بها يعرفون عن الله، ويقومون عَلَما عليه.

وعَرف أن عبده ورسولَه إنما هو الحق، من مطلق الحق، من شامل الحق، من انفراد الحق بالحق، فحَيَا الناس أنفسهم يوم حيوا رسول الله في معناهم، به شهدوا وبه يشهدون، وبه بُعثوا وبه يُبعثون، على بعث في قائم به يؤمنون، من قيام سابق لقديم في قديم متلاحق. على غراره بمرجو، يتطورون، من قيام منه يبعثون، في قادم متلاحق فيه يتلاحقون من خلال قائمهم لهم حَيًّا (بهو) لهم لأناهم تدانى

إلى قائم حق موجود ما غاب عن القيام ولا عن الشهود، هم فيه في حجابهم بيومهم إلى قادم فيه لأنفسهم يرجونه، لمعبودٍ في أنفسهم يوحدونه ويتواجدونه، فيعبِّدون أنفسهم له لصلاح به لقيام أمرهم بأمره، حتى يجتمع سرهم بسره، وجهرهم بجهره، وعنوانهم لعنوانه عين معانيه عند من يطلب أن يكون لله عنوانا عبدًا وإنسانا، وأن يشيد للحق بيتا يجعل من نفسه بجمعه من فعله له لبنات بنيانه، وترجمان بيانه عبدا ورسولا لله بإحسانه، وعين رسوله بعنوانه.

الناس في إنسانهم، وبيت حقيقتهم، ومدينة حقهم، جوارحه وخلايا ذاته، ولبنات بنائه، وبيوت قبلته، ونُصب حجيجه، ما نصبوا أنفسهم لله فارغين مما سواه، {فإذا فرغت فانصب}[1]، {وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين}[2]، وقد فرغت مما سواه فكانت أمومة الإنسان عصماء أُم الأوادم، عذراء أُم الحقائق، حواء أُم الكتاب، ورقاء أُم موسى كلمة زهراء...

عَينَها كانت أُم عيسى، وما تخلفت عنهم الآمنة أُم محمد، وما حُرمت من معناهم الشجرة الخضراء أُم الحسن، وأم الحسين، وأم المحسن والزينب، الكلمة العذراء، والسدرة العصماء، وأصل العترة الزهراء وسماء الحياة للأحياء من أُمة رسول الحياة، وهذا ما جهله الناس، من أنكرها قومه، وخاصمتها عشيرته، وتقدمتها للوجود في هذا العصر ذاته، وتَعَرَّفتها للسموات والأرض حقيقته، أُم بشريته، وزوج روحانيته، وظل رحمته، وشجرة نورانيته، تُؤتي أُكلها كل حين.

بكرت بثمارها بالحسن والحسين، فمن عَرفهم؟ مَن طَلبهم؟ مَن وجَدهم؟ مَن عشقهم؟ مَن تابعهم؟ مَن أَمنهم؟ من آمنهم؟ من أَمَّنهم؟ مَن وافاهم؟ مَن والاهم؟ مَن عناهم؟ مَن ورثهم؟ مَن أخذهم؟ مَن صَدقهم؟ مَن كانهم؟ مَن غرسهم؟ مَن قطفهم؟ مَن استظلهم؟ لو أن فاعلا فعل في حينه لفاز بالحياة، فما كانوا إلا أشجار الجنان.. ثمار الإحسان.. ظلال الرحمن.. عباد الديان.. موازين الحق.. معاني ومظاهر الخلق بالحق.. كلمات الله.. أسماء الله.. رحمات الله.. خلق الله.. طريق الله.. عوالم الله.. خلصاء الله.. كانوا سفن الله، فمن ركبهم؟ من شَفَّعهم؟ من توسل بهم؟ من كَسَبَهم؟ من عاملهم؟ من رجَاهم؟ قليل من فعل وفاز بالنجاة، وقليل ما هم.

يُضيفُهم الناس إلى أنفسهم، خلقا كخلقهم، وظَلاما كظلامهم، وفقراً كفقرهم، ولهوا كلهوهم، وعبثا كعبثهم، وهم إلى الله يُضافون مُثَله العليا لمن له يطلبون، إليهم يضاف الخلق ظلالا لهم ما كانوا المخلصين.. ما كانوا المؤمنين.. ما كسبوا الحياة باقية.. ما كانوا من العارفين، هم للرحمن الظلال، والناس لهم ظلال.. هم للرحمن العباد، والناس لهم عباد.. إنهم للناس رحمة مهداة.. ما عَبَد الناس الرحمن.. ما عبدوا الله.. ما عَبَّدوا أنفسهم لرحمة الله.. ما عَبَّدوا أنفسهم للحق من الله.. فرأوهم وجه

الله.. فرأوهم وجه الحق لله.. وجه رحمته.. وجه جماله.. وجه جلاله.. فكانوا هم وجوها له وبقاء به ببعثهم وجوها لهم.

الناس أسماء للإيمان مؤمنين، وأسماء للفسق فاسقين، وكلا يمد الله هؤلاء وهؤلاء من عطائه على ما يطلبون. كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون. لو أعطى الله الإيمان لطالب الفسق لظهر بعجزه أمام الفاسق، ولو أعطى الله الفسق لطالب الإيمان لكان الظالم عند المؤمن، وجل الله أن يكون ظالما، وتعالى الله أن يكون عاجزا. كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، أعطى كل نفس خلقها، وهداها، ألهمها فجورها وتقواها.

وما ألهمها فجورها إلا بحكمته وبواسع عزته، وما ألهمها تقواها إلا بفضله ومنته وشامل رحمته. ولو شاء ربك ما فعلوه، لا إله إلا هو في العالين.. ولا إله إلا هو في السافلين.. ولا إله إلا هو في القائمين.. يظهر بينهم بالمحسنين، المعبدين أنفسهم لليقين في معراج عبوديته إليه، معبودا منهم لا ينتهي عندهم لهم منه طلب، ولا ينقطع لهم فيه رجاء، الكل فيه العبد، والكل فيه الحق.

العبد حق، والرب حق، فما كَلَّف الرب عبده إلا لصالح العبد، ولكن تكفل به، ولم يدخل خلقه في حق العبد له إلا بإرادتهم، مَن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فهو الغني عنهم. وما سأل العَبد ربه أمرا إلا أجابه قبل أن يسأل، ورعاه قبل أن يفتقر. أعطاه خلقه وهَديَه، وهو عليه الحفيظ، ضل أو اهتدى، أصاب أو أخطأ. جعل من حضرة رحمته عليه وكيلا يوم يطلب ربوبية اختياره، باقتداء مثاله مثلا أعلى يحتذيه، ومن مطلق الله يرتجيه، ويقذف بنفسه إليه ليأويه، فيرحمه من نفسه ومما هو فيه. يفر إليه من عذاب يضنيه، ومن عدل الله يصطليه، ينشد للرسول صدِّيقا يرتجيه، فلا يجده ولا يرتئيه. فلا مأوى من عذاب الله له منه يقيه، إذ يبحث عنه فلا يلتقيه، فيحن إلى رسول رحمته بالغيب يرتضيه، وهو قائم الحق له لنفسه يجتبيه، فيسعفه فيلبيه، قائما بين ظهرانيه يلاقيه، فيؤمنه فيأويه، ومن نفسه يحميه، يجتمع عليه فيه مع من اجتمع عليه فيه، {يا أيتها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي}[3]، {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}[4].

سبحان الله، أبعد فطرة الله، وصبغة الله، وإنسان الله، بكتاب الله.. أبعد الله باسم الله، بعبد الله.. أبعد حق الله برسول الله، كتابٌ لا تنقضي ظهور صحائفه، ولا تتوقف أقلامه عن تسويد بيض معارفه بفعل عباده به في كتب أنفسهم، وصحف قيامهم في أُم كتابه بوجودهم لقائم كتبه.. أبعد كل هذا ينتظر الناس منتظرا، أو جيئة موعود، والحق بينهم وبهم قائم دائم؟ {من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا}[5].

أبعد أن أبرزت الفطرة عنوانها في إمام مبين، وعليم رحيم، وعزيز حكيم، أظهره الأعلى على الدين كله، وجعل الدين في إنسان معناه مداناة ومجافاة، من الأعلى بلا بدء تواجد ويتواجد إنسان لحاقه بمعناه، تدانيا إلى الأدنى بلا انتهاء، رقيبا وشهيدا بعاليه، ومستقبلا موجودا بدانيه، مثالا لمثل أعلى الله يرتضيه، ويمتد بالرحمة لمن قام فيه، بيتا لله، وكعبة لعباده، ونُصبا للأقدس بقدسه لخلقه، عَلَما لاسمه للناس، كلمة الله وروح منه، قدوة وأسوة بينهم يجدوه، باقتدائه يتواجدوه، وبارتضائه يعرفوه.

عبد وأي عبد! بل رب وأي رب! بل إله وأي إله! سدرة المنتهى لمن عرفه فارتضاه، ولمن استرحمه فرحمه فوالاه، فكان عنده عين الجنة والجنان لمأواه ومعناه، تدخله النفوس المطمئنة، ويدخله عباد لله هم عروش الله، وكراسي الله، ومنابر الله، وقبلة الله، قياما لعين معناه، ولعين مبناه تدخلهم نفوس مطمئنة، لتكون فيهم لقاحا لأجنة في حُمِل مستكنة لإنسان يتهيأ بمولد، في كلمات لوالد، في جنة لأطفال الله، في روضة لسعداء رضوانه. (لا يدخل الجنة عجوز)[٦]، (لا يدخل ملكوت السموات إلا من ولد مرتين)[٧].

أطفال الله، عيال الله، في الله، وفي دار الله، وفي حضرات الله يبدأون، وأطفالا يبدلون، فيتولاهم من تولى الآباء والأمثال في أزل لا بدء له، فمنهم يبدأ مشروع الحياة الأبدي للإنسان، لا انتهاء له.

عيال الله في أول أطوار الحياة يتواجدون بعملهم باسمه، وقيامهم بحقه لطور آخر فتيان الله. فيتهيأون ليكونوا بمجاهدتهم وهممهم رجال الله، ثم يقومون بموازينهم وباستقامتهم وعلمهم حكماء الله، فيعرفون كلماتٍ لله تُكلم الناس في مهدها، وتُكلم الناس في كهولتها، وتقود الناس في فتوتها، وتزن الناس بموازينهم في رجولتها، وتفيض عليهم من حكمتها في كهولتها، إيمانا برسول الله طفولة وفتوة ورجولة وكهولة. إنسان الله وعبد الله في أي صورة ما شاء ركبه، سدرة منتهى الإيمان إليه تنتهي، وسدرة المنتهى له يرتقي المرتقي في متابعته لطريقه لتعاليه، ولطريقه في تدانيه، لكمال دوائره ومجاليه.

تعالى الله عن وصف الخلق له، وتنزه الله عن إدراك العدم له، وعن إحاطة الوجود بوجوده، أو عن إحاطة البصائر بشهوده لا إله إلا الله، أخرج للناس عبده، ورسوله، وحقه منه إليه، رسول هو اسم الله.. رسول هو حق الله.. رسول هو الحق من الله.. رسول هو إنسان الله.. رسول هو عبد الله.. رسول هو وجه الله.. رسول هو جماع كلمات الله.. رسول هو روح قدس الله.. رسول هو إنسان ذات الله.. لا إله إلا الله، محمد رسول الله...

آمنا بك لا إله غيرك، ولا معبود سواك، ولا موجود بحق إلا إياك، وآمنا برسولك، موجود وجودك لنا، ووجه شهودك عندنا، من ورائه أنت بإحاطتك، وهو لنا وأمامنا وخلفنا، حق قيامك لقائمنا،

إكبارا لقيومك عليه، وقيومك علينا، دعانا إليك في أنفسنا، بدانيه ذاتا، وبعاليه روحا، قائمين فيه، قائما بنا، ودعانا إلى الرفيق الأعلى قيوما عليه، وقيوما بقائمه علينا قيوما علينا، على ما هو القيوم عليه، بقائم رسول الله من رسول الله علينا، اختفى عنا في شدة قربه في حياة قيامنا، روح الحياة لنا من القيوم عليه، والقيوم علينا به بالحي القيوم.

آمنا بالحياة قائم الله.. قريب الله.. عالي الله.. واسع الله.. منزه الله.. نعجز عن جهله أو تجاهله لشدة قربه بالحياة في حياتنا، جعلنا منه الحي وهو فينا الحي، وجعله برسول الحياة علينا القيوم فقامنا به الحي القيوم، ووعدنا مزيدا مما شهدنا، بأن يضاعف لنا الحياة بتكاثر بذات، وبحياة نورا على نور، وحياة على حياة، عطاءً غير مجذوذ لنكون أزواجا، الحي القيوم، فالحي لحاضرنا، والقيوم به لماضينا وقادمنا، ما حيا ماضينا وقادمنا بحياة حاضرنا، بمولدنا الفطري، فعرفناه غير معروف بإحاطة، وأدركناه غير مُدرك بسلطان، وتواجدناه غير موجود عن تنزيه، ونزهناه عن الوجود وعن الشهود بما أدركنا منه من وجود وشهود، فعرفنا أن العبد ما كان إلا المعبود، وعرفنا أن المعبود ما ظهر في أزله أو في قائمه، أو يكون له ظهور في قادمه، إلا بوجهه لمعنى عبده لعبده، أو بعباده لعبده، عينهم وحقهم...

فرضينا أن نكون عبادا له، هو المعبود عندنا يوم رضينا برفيق أعلى من عباده عين معبوده لنا، ووجها له لقيام عبوديتنا، وشهود ربوبيتنا، معبدين أنفسنا لعبده، لنشهده به في معارجه عارجين معه، حتى يتفضل علينا المنزه برحمته بقيام الأعلى الذي خلق فسوى لقيامنا وقيومنا، فيسوي بين العبد والرب فينا، لنا فيه، فنتواجده لأحديتنا منه، ويصدق الرسول عندنا فيما بشرنا، (ما أعطيته فلأمتي)[٨]، ويستقيم أمره لدينا على ما هدى {فاتبعوني يحببكم الله}[٩]، وإن أحبكم الله (كان لكم من الله ما لي)[١٠]، أنا وإن كنت عبده، ووجهه، واسمه، وسر ذاته، ونصبه، ومعناه، فلستم فيَّ بمعاني غير معناه، ولن يمتنع عليكم إن رضيتموني مثلا ترتضونه لأنفسكم، لا يمتنع عليكم منه ما رضيتم مما شهدتم بي عنه، (من رآني فقد رآني حقا)[١١]، فإنه لا إله إلا هو، اطلبوه على ما طلبته، وتخلقوا بأخلاقه على ما تخلقت بها بينكم.

هل شهدتم صبري عليكم؟ وما هو باقٍ من الصبر لكم لا ينفد، إنه صبره، {واصبر وما صبرك إلا بالله}[١٢]. هل شهدتم حلمي معكم؟ إنه حلمه. هل شهدتم علمي عنه إليكم؟ إنه علمه. هل شهدتم همتي في سعيي إليكم، والطلب لكم، والمجاهدة بينكم مثالا لكم؟ إنه توفيقه. إنكم تتخلقون بأخلاق الله يوم تتخلقون بأخلاقي، فقد تخلقت بأخلاق ربي، أدبني فأحسن تأديبي، أنصتوا له وهو الذي يقول لكم، وقد قلت عنه، {إن ربي على صراط مستقيم}[١٣]، فقال لي ليسمعكم، {وإنك لتهدي إلى صراط

مستقيم}[١٤]، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[١٥]، اتعظوا بما وعظكم الله، وخذوا ما قدمت لكم رحمة من الله، (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لا تضلون أبدا، فإنهما لا يفترقان أبدا)[١٦]، فلا تأخذوا كتاب الله منفردا عن عترتي فتضلوا، فالله {يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين}[١٧]، {الرحمن فاسأل به خبيرا}[١٨]، فإن رأيتم عترتي فتابعتم، ورأيتموها حوضي فوردتم، وعرفتموها سبيلي فسلكتم، لسرتم بها طريقي فنجوتم، وكان لكم من الله ما لي، فلا تتابعوا باسم عترتي كل جبار زنيم، إنهم عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، وليسوا من الطاغين.

اللهم اغفر لنا برسولك مؤمنين متابعين.. اللهم أقلنا به من عدلك برحمتك.. اللهم وسلنا به وسيلتك.. اللهم أدخلنا فيه جنتك.. اللهم قومنا به حقك.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وبه ادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.. اللهم ألحقنا به أمة له، وعبادا لك، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الشرح -٧

٢ سورة القصص - ١٠

٣ سورة الفجر – ٢٧, ٢٩, ٣٠.

٤ سورة العنكبوت - ٦٩

٥ سورة الكهف - ١٧

٦ حديث شريف: "أتت عجوزٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال لها صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لا يدخلُ الجنَّةَ عجوزٌ فبكت، فقال: إنَّك لستِ بعجوزٍ يومئذٍ قال اللهُ تعالَى إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا"[الواقعة ٣٥،٣٦]. الراوي: الحسن البصري، المحدث: العراقي. تخريج الإحياء للعراقي.

٧ من كلمات السيد المسيح عليه السلام: "الحق الحق أقول لك: ما من أحد يمكنه أن يرى ملكوت الله إلا إذا وُلِد ثانية." (يوحنا ٣: ٣)

٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٩ سورة آل عمران - ٣١

١٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١١ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآني فقَدْ رأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُني." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

١٢ سورة النحل - ١٢٧

١٣ سورة هود - ٥٦

١٤ سورة الشورى - ٥٢

١٥ سورة يوسف - ١٠٨

١٦ إشارة إلى حديثين شريفين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي.

١٧ سورة البقرة - ٢٦

١٨ سورة الفرقان - ٥٩.

(٢)

آدم الفطرة
وإنسان الناس
ثمرة الأعلى والأدنى للأزل والأبد للإنسان
تمام كلمة الله وروح قدسه

حديث الجمعة

١٧ شعبان ١٣٨٣ هـ - ٣ يناير ١٩٦٤ م

في مثل هذه الأيام من كل عام نذكره إذ نذكر عَلَمًا من أعلام لكلمته الأزلية، الأبدية، السرمدية، وحضرته المدانية الربانية، قبسا من نور ذات العلمية عليه والقدسية منه، لإنسان رحمته يقوم بروح قدسه، إذ يقوم ساحة من ساحات لحضرة قربه، أحد من آحاد، وحق من حقائق، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه.

الهو في مطلقه لا شريك له من أرواح قدسه، وبحار أنواره، وكلمات أمره، ومظاهر أسراره. إن كل من في السموات والأرض إنما هو له، وإنما هو لعظمته آتيه عبده، ولرحمته، قيام بيوت ذكره، لوحدانية الحياة، لمعناه يسري روحا منه، ويورد أحواض ماء الحياة له بعباده وحقائقه، ويستعان باستعانتهم أيدي فعله، ويشهد في شهودهم وجوه طلعته، لإنسان حضرته، لإنسانية خلقه.

أبرزه في شهودهم الأعلى عَلَمًا عليه، وآية منه لمعناه، مبشرا لعَساه ذات عيساه، مسيحا فيه وكلمة لله، وروحا متجسدا من قدسه بروحه دليل الطريق إليه، قام برسالته فنزه الأعلى عن معناه، وأبعد معناه عن الشرك به بنفي الشريك له به، مسيحا سماه، بشر بالأعلى من مولاه، وجعله الله للمؤمنين به وبرسوله قدوة مرتضاة، وحقا وعبدا أسماه.

ولكن الناس كفروا به قُدسًا لأنفسهم يربحوه، وساحة رحمة من ربهم يقتدوه، وبابا للسلام والخلاص يلجوه، وميزاب ماء الحياة لأرض قلوبهم يستسقوه. قيامته في قيامه بهم، وقيامتهم في

خلاصهم منهم إلى قيامه عليهم وقيامهم به وجوها له. هو لهم يد الله إليهم، وهو بهم يد الله منه لجمعهم يدا له.

{انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا}[1]، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[2]،{قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو}[3]. {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد}[4].

ولكن الناس ميزوه عنهم فيما لا يتميزون عنه فيه، ولم يميزوه عنهم فيما تميز عنهم به، فرأوا إكبار مثاليته في استحالة تحققها لهم، قانطين من رحمة الله بوصف التقدير له، في وهمهم الإيمان لأنفسهم بوهم العلم عنه، وما كان شرفه إلا في تيسير المعرفة لهم، وهي لهم يوم يكونوه، ويكونوه يوم هم من الأعلى لأنفسهم يطلبوه.

وآخرون من الناس رأوا أنه لا فرق بينهم وبينه، ولم يميزوا أمرهم من أمره، ولا أمره من أمرهم على وصفهم وحالهم والشيطان منهم يجرى مجرى الدم، وقد تميز عنهم كآية من الله لما يكون لهم أن الشيطان لم يجرِ به مجرى الدم. لقد كان ملائكيا في ذاته.. ملائكيا في قديمه.. ملائكيا في نشأته.. ملائكيا في قيامه، وسيبقى ملائكيا في قيامته عنوانا لملائكة الرحمن، يقومه ويظهره الإنسان في ملائكيته عبدا للرحمن، للرحمن بالإنسان في قدسيته. قضية في الله لا يتعطل قيامها، وأمر لله لا يختفي فعله وأثره.

اعتدى عليه الناس بعد أن كذبوه، وما صَدَقه صحبه من الناس بعد أن خبروه، وما آمنه الناس وقد سالمهم ما سالموه، وأمَّنهم ما أمنوه، وعلى ظلام أنفسهم ما استعانوه، وسراج قلوبهم به حبا وشوقا ما أشعلوه، يوم هم في أنفسهم كلمة لله يزرعوه. ما زرعوه، فشُبِّه لهم، يوم تغيرت نفوسهم في داخلهم فخادعوه، ما خَدعوه وانخدع لهم فما أدركوه، شُبه لهم ما عرفوه، وأشاروا إليه في وهم محنته فللقتل بفعلهم عرضوه، ضعف إيمان منهم أُظهروه ليدركوه فما أدركوه، وظهر المجرمون بكبريائهم ووهمهم صلبوه، ومن ظاهر الحياة واروه، وفى التراب دسوه.

ولكن الله جعل في أمره رحمة عمت ما أدركوه، ففي الدنيا تجدد لهم نفسا عرفوا ما ذكروه، فبذكره وحبه ما أسروه، وفي مقابر القلوب بالندم ما أودعوه، وفي ذوات الهياكل بالحب الصادق ما نشروه، وروحا رفعت لتسمو وتنتشر ما عرفوه، وما قَدَّروه ليتابعوه ويؤمنون فيكسبوه، وبيتا للأعلى وضع للناس فما قبلوه وما زالوا في السماء ينادوه وفي أنفسهم لا يطلبوه.

قضاء الله بهم أجرى أمره عن طريقهم بلاء وابتلاء ما أدركوه، وعن رحمة الله به أغفلوه فما جُزُوه، لأنه ما بالحق آمنوه فوحدوه، ولم يعددوه بكوثر تكاثره فعرفوه وبالعقل وعوه، ولأنفسهم تابعوه فاقتدوه فصاروه.

عترة الحق جاءتهم به، أمة ظهرت فأنكروه، ولفظا حفظوه فرددوه، وبألسنتهم دون قلوبهم لاكوه، ونور الله به بينهم مشرق كلما اشتعل بأفواههم أطفأوه. والله متمه وهم كارهوه.

ها هم في مثل هذه الأيام من كل عام من ينسبون أنفسهم له، بريئا منهم يحيونه، وبمولده يحتفلونه، فعلى أي صورة يذكرونه؟ وعلى أي منهاج يكرمونه؟ إنهم بالعبث يصلونه، وباللهو يمجدونه، وبدنياهم التي منها حذرهم حية رقطاء غارقين فيها وفي متعها وملاهيها للأذقان يقدرونه ويكبرونه، وهو بريء منهم ومما يفعلونه، فهم لا يدركونه ولا يشعرونه.

لقد أنكروه في ذات بشراه لذات معناه من ذات الأكبر لمولاه، روح قدس الله، وتمام كلمة الله لمعناه، من أظهره على الدين كله فعرف الله متعاليا عن الوصف، متكبرا عن الكشف، تُشهَد حجبه من نور علمه، وظلام سكينته في ساحات أعلامه، وحضرات عباده لقيامه، لا يَشهده إلا عبده، ولا يَشهده إلا في الاجتماع على الأعلى من عبادٍ له، يشهدونه في الاجتماع على رفاق أعلى من حقائق له، لا يستكبرون عن اتصاف العبودية فيه، ويعتزون بشرف العبد له، عبادا لرفاق أعلى، لهم شرف العبودية لرفاق أعلى، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى ذات عزته، وما ذات عزته إلا ذات إنسانه لحضرة إنسانيته، عالم الرشاد من واسع عليمه، وقائم حكيمه، ومطلق أمره، وواسع موجوده، المطلق في وجوده، اللانهائي في معانيه` ومبانيه، من كان الوجود فيه موجودا مُوجِدا بمعاني العبد له، ومعاني الرسول منه، من أظهره اللانهائي على الدين كله في بعثه بمعنى الإنسان له للإنسان منه، من إنسانية رشاده سقطت عنها وبينها الفوارق بالأسماء أو المراتب.

يعرفه الإنسان، ويتعارف إلى الإنسان، ويعرف بالإنسان، يوم يقوم في الإنسان. ويُقدَّر بتقدير الإنسان قائما فيه، وقائما به، هو معاني الوجه له، واليد منه، وقدم السعي في معاني القرب له لمن قَرُبَ منه، يعرفه الإنسان يوم يعرف أنه إنسان، وأنه شرف بمعنى الإنسان، وأنه للأعلى معاني العبد له، ومعاني الاسم والعلم عليه، وأنه الأعلى للأعلى على عينه مع الأعلى في معناه، فيقدر الله حق قدره في عظمته، ويقدَّر الله حق قدره، برحمته داناه، وفي وحدانيته أقامه، وبوحدانيته أبداه.

الإنسان، من الإنسان، في الإنسان، إلى الإنسان، عين المعنى، وعين المبنى، وعين العنوان في معارج الإنسان وعوالمه في مستوياتها المنتظمة في الله. فالإنسان في دانيه، والإنسان في مراقيه، والإنسان في

معاليه، إنما هو الإنسان، شَرَفُه فيه الإحسان، وإحسانه في العبودية للرحمن برحمة نفسه في رحمة جنسه، شرفه في العبودية لرحمة الرحيم لرحمة الرب الكريم، لرحمة الغفور، لرحمة الشكور، لرحمة الغني عن العالمين، لرحمة من ضَرَبَ بيننا وبينه بسور من قيامنا في أشباحنا، ظاهره من قبله العذاب، وقد ظلمنا أنفسنا بالبعد عن حقائق الرحمة لنا بيننا، وباطنه من قبله الرحمة، بهم لا تتعطل رسالته. الحكيم الذي أحكم كل أمر، والذي فَصَّل الآيات، والذي أعطى البينات، والذي جدد في الكلمة الأزلية، الأبدية، السرمدية بكوثرها وسر تكاثرها الكلمات، إليه يصعد الكلم الطيب، لا ينقطع أبدا، يرفعه العمل الصالح، لا تخلو منه الأرض أبدا، مهما أُعجم الأمر على أهلها بظلمهم أنفسهم، وغفلتهم عنهم إلى موهوم أمر ومزعوم ذكر.

أغفل الناس كلمة الرجاء بعيسى عيساهم عَساهم يصيروه، يرجونها لأنفسهم يوم يدخلوه، فيقومَهم، فيسبحون الأعلى الذي خلق فسوى، فيبعثوه، فيقوموه، كلمة تتجدد، وكلمة تتكاثر وتتعدد، ما عرفها عصرها، ولا آمنها قومها، حتى إذا ما بُعثت بالحق لتمامها تعريفا بالأعلى على ما بشر أحمد قيامها بمحمد وجودها ورحمة تعميمها بعترته لأمته، وبأمته باقية لبشريته فقامت لا آية ولا مثالًا يضرب، ولكن حقا يقوم، وحقا يكسب، رحمة مهداة، وحقا يشهد، {قل جاء الحق وزهق الباطل}[٥]. {أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم}[٦].

آواه أبواه من رحمة الله واسم الله فكان اليتيم عن عوالم المادة، وهياكل العوالم من الطبيعة إلى حقائق الإنسان، فأظهره إنسان الأزل بمعاني إنسان القيام، في كلمة تقوم مسيح كلمته القائمة لكلمته الخالدة الدائمة. يؤخذ الشهداء من كل أمة كلمات وليدة، ويؤتى به عليهم شهيدا يتقدم الشهداء لحضرة جديده، في تكاثره في قيامه بقائمه مثالية مرضية عند كل قائم من كلماته بأمر قيومه، روح قدس الأعلى، وجماع كلماته.

زويت له الأرض فما ارعوى به أهل كتاب، فصححوا به عقائدهم في كلمة الله إليهم، من قبله اعتقدوها ويزعمونهم اتبعوها. وما ارعوى به ممن قبلوه إماما لهم أهل حجاب فعرفوه كلمة لله، وروح قدس له به، فيه، لهم، جحدوها وكفروها، وأنكروها وقلوها، ثم بعد وهم من غيبها ذكروها. ولو تذكروها وقدَّروها، وعلى ما عَرَّفت تابعوها لكانوا في محمد شهدوها ما جحدوها، وفي أنفسهم وجدوها ما فقدوها، وآمنوها ما كفروها، فاستمدوها ما قلوها.

ولكن الناس هم الناس على ما فعل آباؤهم من الناس مع كلمة من إنسانه لإنسانيته، كلما أبرزها الأعلى وقد أبرزها في كل الأمم وفي كل العصور، وكذلك كان الأمر في أمر كلمته عيسى خص بها

بني إسرائيل أهل كتاب، وبيئة نبوة، أنكروا على كلمة الله إليهم، كما أنكروا على كلمة الله للناس ولهم. فالناس مرحومون بكلمات الله مؤمنين مختبرين في إيمانهم بها بجديد لها في دوام.

هكذا فعل من أُرسلت إليهم كلمة الله ذاتا وروحا بمحمد، قبروه، ما في أنفسهم بَعثوه فبُعِثُوه، فروح قدس الله وجدوه سراج نور الله لأشباح قيامهم، وباطن ذواتهم، ومشكاة صدورهم، وجديد عوالمهم لذواتهم، يقوم ويتقلب في الساجدين، أُعطي الكوثر بالعابدين، وكان أمة المؤمنين، وكعبة المتقين، وقبلة المصلى للعارفين، وبيت الطواف للمجاهدين الساعين، وزمزم الاغتراف للراوين، وربوة الصفاء للصافين، وهدية الجزاء للمفتقرين، وباب النهاية للخلق في خلقيتهم أجمعين، للسير إلى اللانهائي لحقائق المتحققين في طريق الراشدين.

رضيه الله، ورضي عنه لمن ارتضاهم الله ورضوا عنه، فكان رحمة مهداة، وبعثا لتمام موعوده بمحموده لإنسان حسن الخلق لمولاه، من عرفه للأعلى وجها له، ورسولا منه، وإماما للناس إليه، وشيخا لهم فيه، ونبيا لكتابه إليه بحقه لخلقه، رسولا من أنفسهم، وجماع كتب علمه عنه، آدم أبنائه، وإنسان كلماته، عبد جماع عباد، ورب جماع أرباب، وكتاب جماع كتب، وبحر جماع بحار، ونور جماع أنوار، وحق جماع حقائق، وحقائق جماع خلائق، فكان لله من الله وإلى الله، كان له عبدا، وكان له اسما، وله حقا، ومنه رسولا ووجها، عرفناه عبد الله، وكان في احتذاء عبودية رسالته، فهو رسول الله لمن كان معه عبدا لربه، وهو وجه الله لمن دخل معه في حصن لا إله إلا الله، فقامها، فكان لا إله إلا الله، فكان نعم الاسم، (المؤمن مرآة المؤمن)[٧]، مرآة للمؤمن عبدا، ومرآة للمؤمن ربا. إن كل من في السموات والأرض إلا آتيه عبدا، يوم يأتي مؤمنا، ويأتي عبدا.

رضي الله دينه ليُظهره على الدين كله، وقد أظهره ربه على الدين كله، ورضي الله ذاته لتكون إمامة لجماع الذوات في السموات والأرض، ورضي الله حقه من حقه ليكون جماعا لحقائق في حقائق الله بمن قبله، ولحقائق الله لمن بعده، جماع حقائق الله، وعنوانا لأحدية من آحاد، وجماع حقائق من جماع لحقائق، وحضرة من حضرات، وكونا من أكوان، ووجودا بمعانيه من وجود منه وُجد، ومنه يتواجد. وبذلك أظهره على الدين كله، وجعل منه إنسان القديم لعين إنسانه، وإنسان الجديد لجديد بنيانه، لا يتوقف له تجدد بنيان، ولا ينقطع له في كل وجود أوجده به عنوان، به يُقدر الله.. وبه يعظم الله.. وبه يتعالى الله.. وبه يستخلف الله.. وبه يُعرَف الله عنده وعند عارفه، وعند معروفه، بلا إله إلا الله وبمحمد رسول الله. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهده محمدا رسول الله.

بهذا جاء الإسلام، رضيه الله للكافة، ورضي نبيه للجنس في الذات بعوالمها، وللروح بعوالمها، وأعلمه عنه لمن يطلب العلم عنه عبدا له ورسولا منه، وإماما للناس ورسولا منهم، جعله من الغيب بأزله،

ومن الأبد بغيبه، عين القيام فيما يقوم، ولمن بالحق يقوم، وللحق يشهد، عبد الله ورسوله، وكلمة الله، وجماع كلماته، وقديم كلمات الله، وقادم كلمات الله، وقائم كلمات الله، يوم يطلب الناس لأنفسهم أن يكونوا في كلمة لله، ليكونوا كلمات لله، متكاثرا بمعناه بمن عناه على ما فطره الله.

هذا هو دين الإسلام.. ودين الفطرة.. ودين القيام.. ودين القيمة.. ودين أهل السموات والأرض.. ودين القديم.. ودين القادم.. ودين القائم من العصر ومدى الدهر.

لا إله إلا الله.. لا إله إلا هو.. له الحمد وله الملك، وهو على كل شيء قدير. نشهده بوجهه لحقي عبده، ونشهده بوجوهه بعباده مظاهر شهوده لأمره، ولواحد عبده في معناه في أحديته بعباده، أمة عباد لله، لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم يا من جعلت لك من محمد عبدا وحقا أعطيته الكوثر، وبترت شانئه من ساحة عمله وبيئة رسالته. جعلته للناس أجمعين، وجعلته رحمة للعالمين. خلقت منه السموات والأرض، وقد خلقته من نورك يوم أمرت قبضة نورك أن تكونه فكانته، فكانت هديتك إليه بروح القدس له، وكان قيامه في قديم قيامك لا يدرك مداه، وقد جعلت منه خلقك أزليا قرين قيامك في أزلك، وجددته في جديد خلقك أبديا كلما جددت لك خلقا في أبدك، وجددت به في الخلق حقا، وجعلت الخلق به معه مظهر الحق لك وظاهر الحق منك، جعلته فوق السموات له وربا لها سيد السموات وعبدا لك، وسيد الأرض وخادم أهلها وعبدا لك، رب الناس ووجها للحق لهم وعبدا لك، ملك الناس ويدا لك للقدرة عليهم بك وعبدا لك.. غيبا بأمره على الناس إله الناس وعبدا لك، ثم علوت به وبشأنه فجعلت منه للعالمين ربا وقد جعلت من متابعيه من الناس عوالم لك فجعلته عَلَما عليك إكبارا وتنزيها لك، فهو ما زال العبد لك. وجعلته ليوم الدين مالكا حكما منك، وجعلته في سائر العوالم محمود رضائك، ومحمود الناس يوم يؤمن الناس بأن لهم في الله ربا، وأن عليهم من الله ملكا، وأن لهم من الله إلها. وما زال لبروز عظمتك العبد لك.

اللهم برسولك فارحمنا.. اللهم برسولك فاحكم أمرنا، واحكمنا.. اللهم برسولك فأعلِ كلمة الحق بيننا، وشرفنا بعلو كلمة الحق فينا أمة له وعبادا لك في قائم عبدك، تعالى على العقول وصفك، وتنزه عن الإدراك نوال أمرك.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا.. اللهم به فاكشف حجاب الغفلة عنا، واكشف الغمة عن أرضنا، وولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وردا لأعمالنا.. اللهم به

فتولَنا في الصغير والكبير من شأننا.. اللهم به فذكرنا.. اللهم به عندك فاذكرنا.. اللهم به إليك فوجهنا.. اللهم به فيه فأقمنا.. اللهم به فيه فشرِّفنا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين. به شهدنا أنه لا إله إلا أنت، وبك نشهد أنه عبدك ورسولك.

أضواء على الطريق

(إن الماء يتدفق دائما من فوق التل، والنار ساخنة دائما، ومهما قدمنا من الصلوات لجميع آلهة الهند، لن تستطيع أن تجعل الماء يصعد التل، ولن تملك أن تجعل النار باردة، ذلك لأن في الحياة قوانين، تجعل هذه الأشياء كامنة على ما هي عليه. فما يتم حدوثه لا يمكن إلغاء حدوثه، ولو قدمنا القرابين لكل أنواع الآلهة. إذن فلا سلطان لكل هذه الأصنام على تغير شيء في هذا العالم. فلماذا نصلي لها ونعبدها!!).

(بـوذا)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ الإسراء - ٢١

٢ سورة آل عمران - ٦٤.

٣ سورة الزخرف -٥٨، ٥٧

٤ سورة الحج - ٣

٥ سورة الإسراء - ٨١

٦ سورة الماعون - ١، ٢

٧ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفَّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

(٣)

ليس الذاكر غير المذكور
ولا العارف غير المعروف
هدي الكتاب واستقامة الطريق
ويقين الإيمان

حديث الجمعة

٢ رمضان ١٣٨٣ هـ - ١٧ يناير ١٩٦٤ م

معنى الله.. لاسم الله.. هو المقصود عند ذاكر الله.. ذاكرًا له وحده لا شريك له. له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء بصير.

هو له المحمود.. والحامد.. والأحمد.. والمحمد.. والحمد. هو له الموجود.. والموجِد.. والوجود.

لا وجود لغيره عنده.. ولا يتواجد فيه غيره.. ولا يطلبه غيره.. ولا يتعارف إلى غيره، فليس ثمة غيره.

الكل فيه، لا ينحصر كله في عين جزئه، ولا ينحصر دهره في ظهوره لعصره، ولا تنحصر ذاته في وجهٍ لذاته. ولا يحيطه مكانه في لانهائي مكانيته. المكان والزمان صفات فيه، والإيجاد والتواجد أفعال له. هو المعنى وما يُعنى، هو ما يوعى لمن يعي، والوعي لمن وعى، هو مَن وعى وما وعى. كل ذلك معانٍ لقيامه في قيومه تدرك لاسمه لقائمه...

جعل الإنسان معناها، وبه عناها، وبها عناه. فما كان العبد فيه غير مولاه، وما كان الخلق في عزلةٍ عمن خلق. وما كان الوجود في أوصافه وفي شهوده غير تعبير عمن أوجد، وما أوجد ما أوجد إلا وجود باطن الوجود لما أوجد، إلى أزل لا بدء له في دائم فعل لا انتهاء له. {أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم}[١]، {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين}[٢].

إن العلم بالله، والعلم عن الله، والعلم بمعنى الله، إن الله العلم.. والله الوجود.. والله التواجد.. والله الأزل.. والله الأبد.. والله القيام. وإدراك ذلك، والتدريك به، والعمل لتحقيقه، والقيام فيه، هو الدين.

إدراكه هو الإيمان، وتدريكه هو الرسالة، والقيام فيه هو الاستقامة، والحياة به هو الطريق، والتطور في معراجه هو الحقيقة، ومواصلته هو الرقي والسلوك، والرضاء والقناعة به هو الرضوان والجنة، والبعد عنه هو الكفر والمقت، والهلاك، والعدم، والجحيم.

جاءت الرسل في تاريخ الجنس ببدء معلوم، وبسبق غير معلوم، ونُسِخَت الآيات بعد الآيات، بإنسانية الرسالة، الرسول بعد الرسول، والرجل بعد الرجل، حتى توجها المصطفى لمعاني العبد لله، عبدًا لله وحقا، وبذلك توجها الحق عبدا، هو حق العبودية، وهو عين الربوبية ووجه الألوهية.

أظهره الغيب ليكون عَلَمًا على الغيب.. أظهره اللامعقول ليكون العقل عاقلا للامعقول بمعقوله، بعقل معلومه ومجهوله.. أظهره ليكون قدوة للكافة، لجنس الإنسان، لجنس البشرية مقاما، دابةً مشت على الأرض بين دوابها، رسولا من أنفسهم جُعل فيه شَرف الحيوان بمواصلة الحياة لأناه، مبشَّرا بكمال نعمة الإنسان له لبهيمة الأنعام منه، بقيام ديمومة الحياة لمعناه قائما بالحياة، لنفسه تتكاثر بقائم منه لقيوم له، قيوما بالحياة بمعناه على من رضيه لنفسه، ممن آمن به إيمانا بربه ورسوله إليه.

فكان الإيمان به هو الدين، والاجتماع عليه هو المعرفة، والقيام به هو اليقين والنجاة، قياما متكاثرا بحيوان ذاته، متحليا بدوام صفاته، ظَهرًا امتطته روحه للظهور بين دواب الأرض لقَدم الإنسان عليها.

كان الإيمان به رسولا للفطرة هو الإيمان بالله ورسوله، يوم يكون المؤمن في مقام المرسَل إليه، استقبل الرسول إليه من المُرسِل غيبا عليه، وشهادة بالوجود إليه في موجود نفسه وغيب نفسه، فكان الرسول عنده القيوم على نفسه لظاهر وقائم نفسه، وكان الله على نفسه باطن الرسول لباطن نفسه به على ما كان رب الرسول به وعليه من الأعلى رسولا ومرسله، نزلة وأخرى لشديد القوى من الرفيق الأعلى من الغيب بشهادة لرسول إلى الأزل.

فكان الرسول للمؤمن أمر الله، بينه وبين ربه، وبينه وبين نفسه. وكان هو بين الرسول وربه بين يدي رحمة الله. وكان ربه بينه وبين الرسول حائلا بينهما ما احتجب الرسول عليه بفتنة نفسه، أو ظاهرا بهما مظاهرا لهما ما أوثق الصلة بينهما بحبه.

إن الإنسان مُرسَلا إليه، والرسول إليه، والمرسِل إليه، حق واحد، وحقية واحدة.. وحضرة واحدة.. وقيام واحد.. وعبد ورب واحد.. وأحد واحد، وواحد أحد لا موجود فيه لغيره، أحدية

وجود، وأحدية شهود، وأحدية حياة. وهو ما يظهر بوضوح في الرسالة الروحية بالوسيط الفطري مع الروح المهيمن والروح المرشد له.

إن الجدل في الله لا يقوم على حق، ولا يكون له أثر بحق عند المتناجين في الله، ما لم يقم على أساس من عِلم، وهدى، وكتاب منير، علم يُعلمه الله. (عِلمَنا عن الله نأخذه وغيرنا ما قاله السلف)[٣]. {واتقوا الله ويعلمكم الله}[٤]، {ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}[٥].

هكذا يقول من قال فيهم ربهم آتيناهم من لدنا رحمة، وعلمناهم من لدنا عِلما. وهم من يدعو خلقه لصحبتهم بقوله {الرحمن فاسأل به خبيرا}[٦]، (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل)[٧]، فليس بعالم من لم يرحَم، وليس بمرحوم من لم يعلم. والرحمة قبل العلم، والرحمة فوق العلم، والرحمة باب العلم، والعلم باب الرحمة، وهو فوق الرحمة وقبل الرحمة، عباد الرحمن هم الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، مَن آتاهم الله من لدنه رحمة وعلمهم من لدنه علما، ودعا الناس بما فيهم الأنبياء لمعرفتهم والاغتراف من فيض علمهم ورحمتهم.

إن الذي أخرج للناس عبده، فحمد نفسه على فعله، والحمد له، والشكر له، ما دامت النعماء له، {الحمد لله، الذي أنزل على عبده الكتاب}[٨]، الحمد لله الذي جعل من عبده ومصطفاه أول العابدين، ولم يجعل منه خاتم العابدين والمصطفين. الحمد لله الذي نسخ النبوة عن الأرض رحمة للعالمين، وتعميما للصلة بخلقه ليحقق منهم عبادا له، ربا للعالمين فجعله خاتم النبيين، إعلاءً لشأن الإنسان، وتطويرا لشأن هذا الحيوان، وارتفاعا ببهيمة الأنعام، ظهرا ومطية وقدما، لمقام الإنسان، لمقام العبد للرحمن، سدرة المنتهى لما يصل إليه العنوان من هياكل هذا القيام، وهذا البنيان، ناشئة الليل، وإحاطة النور، حجابين لحقّي الإنسان.

جعل من محمد أول العابدين، وفتح به أبواب رحمته، وكنوز عطائه، وبحار الحياة، للواردين.. للمفتقرين.. للطالبين.. للمتقين.. للعالمين.. عبادا لله يتتابعون لأول العابدين في حضرة حاضره وعبر السنين. أعطي كوثر التكاثر بحق عبوديته بقيامه فيهم سجودا لرب العالمين، يكسبون وصف العبد لله، بين المفرطين، بين الغافلين، بين الجاهلين، بين المرتابين، بين الناقصين، لا يضرهم من ضل فهم المهتدون، ويخفضون جناح الذل من الرحمة للمؤمنين رسالة الرحمة للرحمن الرحيم.

إنهم لربهم، على مقام الرب له لا يزاحمون. يترفعون بأنفسهم عن الجهل ليزحزحوا ربهم عن عرشه، ويجلسوا مجلسه بجهلهم باسم بطشه، أو يزحزحوا رسوله، لم يرسل إليهم باسم المرسلين، وباسم

أمانة الدين، وهم خلو من الدين، يشوهون اسم الرحمن الرحيم، الخير، الكريم، لا يعذب أحدا، ولا يبطش بأحد، ولا يقهر أحدا، ولا يُحقِر أحدا، ولا يشاركه شيء، ولا يزاحمه على خلود كائن.

هو كل الأشياء.. هو كل الكائنات.. هو كل الوجود.. الواحد غير المُشَارك، العابد لنفسه في معبود نفسه بعباد رشاده. الإحاطة وراء ظاهره بوجوهه، الظاهر بوجوه إحاطته، يوم يحيط عبده بعبده بآحاد حقائقه، بمعاني العبد لمطلقه، أو كائنه بكائنه، أو أمره بأمره، أو قيامه بقيامه، أو مكانه بمكانه، أو زمانه بزمانه، بقانون فطرته على ما هي صبغته.

عرفه الناس في أنفسهم يوم رأوه لا شريك له من أنفسهم، أو ممن يروا، أو مما يروا، فرأوا وجهه، منظورا منهم، وجوها له، فيما ينظرون، ورأوا وجهه ناظرا إليهم، بكل من نظر إليهم، وبكل ما نظر إليهم وجوها لوجوه له.

عرفه عارفوه، اللطيف الخبير، القانون القدير، الوجود الكبير، عرفوه عِلمَا، في قيامهم معلوما، كتاب علمه، ويد قدرته، ووجه جماله، وقدم سعيه، وعين بصيرته، وأُذن سمعه، وبالغ شمه، المُعبِر بما يعبر به من الروح والناس، المُلهِم فيما يُلهِم الروح والناس من مُلهِم من الروح والناس، رسولا يوحى بإذنه ما يشاء.

كان محمد أول عباد، وكانت رسالته في تتابع أوليته، لا انقطاع لها بجديد على ما بشر وبه وعد، كوثر الاستقامة بجنسه لجنسه، دوام العبد مظهرا لدوام الرب، يقوم ويتقلب في الساجدين. كان خاتم النبيين بوصف قديمه في النبيين، وكان أول العابدين بوصف جديده للعابدين. وكان بقيام معنى عبده عبدًا لله قيوم نبوته، فكان بجديد أديمه يتجدد بتواصل بعث آدمه بدوامه وسلامه.

فما أُرسل الأنبياء بعلم إلا ممن أُوتي من لدنه رحمة، وعُلِّم من لدنه عِلمَا، من حضرة رسالته من شامل رحمته من الإنسان، فكان الرسول لله عبدا لقديم العبد فيه، قام بالإنباء حديثا عنه بمُحَدِثه. وقد جاء العبد الحق فيه بكوثره ليكون عطاء الرب لآدمه، بعثا بالحق، بمعاني تعدد وتكاثر العبد فيه، بأول العابدين فيه، كلمات لله تبدأ، وكلمات لله تتم.

فماذا فهم الناس فيمن جُعل قدوة للناس، وأُرسل كافة للناس، وبُشِّر به كافة الناس ليكونوا عينه ومعناه ما باختيارهم إلى ربه تابعوه وعلى أنفسهم بايعوه؟ ولكن الناس بحماقتهم، وبجهلهم، وبجامد أنانيتهم، وبكرهم على باطل قيامهم، وبحرصهم على موقوت أوانيهم للحياة ما ملكوها ولا كانوها، أرادوا بفعلهم، وبخُلقهم، لا بل وبألسنتهم، أن يزحزحوا العبد وربه عن مكانتهم ليجلسوا على عرش الوجود

باسمهم، فيرونهم هم المذكور في ذكرهم أنفسهم، أو ذكرهم لبعضهم البعض بأهوائهم، راغبين عن أقباس نوره بينهم، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وآخرون من الناس طلبوا الحق يطلبهم، فداناهم فنسوا الرسول وأدب الرسول لقيامهم ومعناهم، متجاوزينه إلى نفوسهم بوصف مولاهم، فمنهم من يقول (ما في الجبة إلا الله)[٩]، وآخر يقول (سبحاني ما أعظم شأني)[١٠]. ذكر الجبة وشأن الجبة وهي معدوم الوجود لمن بها ظهر وبفنائها ذكر. نعم سبحان الله الذي نطق بسبحانه في بناء من بنيانه. نعم، لا إله إلا الله، الحياة، وروح الحياة، وظاهر الحياة، وسر الحياة، فما في جلابيب خلقه إلا الله، سبحانه، نطق وهو الحياة، من إناء من أواني الحياة لأواني الحياة إعلاما عن الحياة في أوانيها لأوانيها، فما قامت رسالة إلا بمبانيها لمبانيها تعريفا لها بالحياة فيها بمعانيها لمعانيها.

شيء كرم بالحياة يوم يكرم بها، ويشرف بقيامها في إنكاره على قيامه بغيرها.. أو شيء رجيم في طريقه لفقدان الحياة، يوم طان، بشيئه، لأناه، منكرا على أناه بالحياة حيا بحياة الحي القيوم، من حياة مولاه، والرفيق الأعلى لمعناه. (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)[١١]، (ضيقوا مسالك الشيطان بالجوع والعطش)[١٢]. وإدراك ذلك أو القيام فيه هو أول المعراج وبداية السلم. إنه أول الشهادة للا إله إلا الله، بها يُشهد محمد رسول الله، وبشهادته يعلم الله أكبر.

تساءلنا بيننا.. كيف نحقق لأنفسنا ذلك؟ فتوجهنا إلى غيب أنفسنا شهادة له مناجين، يا من أعطيت كل شيء خلقه ثم هديت، يسر لنا سبيل خلق أنفسنا واهدنا لما أردت بنا، فأجابنا من ضمائرنا: لكم في رسول الله قدوة، ولكم في رسول الله أسوة، عَلَّمناه، فاسألوه أن يعلمكم، واختبرناه، فاسألوه أن يختبركم، إنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

تساءلنا بيننا.. ما يكون الاقتداء به؟ وما يكون التأسي معه؟ فهيأ الله الأمر لنا بخبير من رحمته من بيننا من أنفسنا عيد غريبا، فظهر قريبا بإقامة الأمر به إلينا، فيه، نصحنا الله به نصيحة واحدة، وأمره أن ينصحنا على ما عرف نصيحة واحدة. أما نصيحة الله لنا صادقا هاديا، فقد كشف لنا به قوله، {أتى أمر الله فلا تستعجلوه}[١٣]، أما ما أمره أن ينصحنا به فأمره لنا إلينا قديما بقوله {قل إنما أعظكم بواحدة}[١٤]. قل إنما آمركم، قل إنما أهديكم، قل إنما أُعلمكم واحدة، {أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[١٥]، فبيّن الرسول الحكمة بهديه (لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه)[١٦]، أي لنفعه اعتقاده، ففي هذا إنكار على نفسه، وفي الإنكار على النفس كل الخير، {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}[١٧]، (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[١٨].

فمع من نقوم مثنى؟ قال له قديما ودائما، قل لهم {قل جاء الحق وزهق الباطل}[١٩]، {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}[٢٠]، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٢١] {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}[٢٢]، ولك جعلناه، وقد أعطيناك الكوثر، {تقوم وتقلبك في الساجدين}[٢٣].

فما كان المعنى بالقدوة في رسالة رسول الفطرة؟ ما كانت القدوة في رسالة أول العابدين؟ ما كانت القدوة إلا أن يقوم الإنسان في الله لله مثنى ذاتا وروحا، لا ييأس من روح الله، ولا يقنط من رحمة الله روحا لروحه، ولا يُغَيِّب عن الأرض وعن بيئتها عباد الرحمن ذاتا لذاته، يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.

ألم يقل لهم رسول الرحمة، ودائم الرسالة، وتمام الكلمة، (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[٢٤]؟ ألم يقل لهم: (لا زالت طائفة من أُمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)[٢٥]؟ ألم يقل لهم: (ما زال هذا العلم.. ما زال هذا النور.. ما زالت هذه المعرفة، يحمله أو يحملها عدول من هذه الأمة، طبقة بعد طبقة إلى أن تقوم الساعة)[٢٦]؟

ألم يقل لهم كلمة الله وكليمه، وابن إنسانه، ووجه عنوانه، وروح قيامه من قيامه مبشرا بمن أعطي جوامع الكلم، وقام وبعث روح قدس الله، أزلا وأبدا، دائم رسالته ومعنى رسوله، ألم يقل لهم (رسول الله الذي يأتي من بعدي هو الذي يبقى معكم إلى يوم القيامة)[٢٧]؟ كيف هو رسول الله إلى يوم القيامة؟ أيبقى بجلباب لا يبلى؟ أم بتسجيلات في صحائف من ورق تتلى؟ بقصص في هزر يروى باسم كتاب يقرأ في مزامير تغنى، في أنغام بصوت يشجى تغلب على المعنى، فيطرب الناس بالصوت، ويقذفون بالمعنى.

يحرصون على قشور الحديث الإلهي ويقذفون بلبابه، وهم في قيامهم وفي معانيهم قشور الكتاب ولبابه، {واتقون يا أولي الألباب}[٢٨]، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[٢٩]، (استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك)[٣٠]، {بل الإنسان على نفسه بصيرة}[٣١]. لم يخاطب الله القوالب، وهو لا يسأل القوالب.

فماذا يقدم القائمون على الدين باسم دينهم بوصفهم أمناء دينهم وأُجراء خدمته، وفقهاء بلاغه؟ يقولون إن باب الاجتهاد قد قُفِل، وهم لا يعرفون ما هو الاجتهاد، وفيما الاجتهاد، ومتى الاجتهاد، وباب الاجتهاد في الإسلام لم يفتح لدوام قيام الصلة بمصدر التشريع. فما اجتهد من المسلمين إلا من جهل أو تجاهل خبراء الرحمة في عصره، أما علماء الإسلام فما رأوا الاجتهاد إلا في ديانة الببغاوات، ينطقون كما نطق رسول الله، ويقفون كما وقف رسول الله، ويلبسون كما لبس رسول الله، فهم بذلك في نظر

أنفسهم يقتدون برسول الله، وينقلون عن رسول الله. يؤمنون بتمثال، ويقتدون بتمثال، ولا يعرفون شيئا عما في قلب هذا التمثال من أسرار المثال.

إن ما كان في قلب هذا المثال هو ما كان لهم ليكون في قلوبهم، أولي الألباب، جلباب للب، وقلوب لقلب، فقد كان بينهم جلبابا للب وقلبا لقلب، قدسا لأقدس، وعليا لأعلى، رسولا من أنفسهم. فما كان الاقتداء أن يحاكوه في حركات البدن، ولكنهم ما عرفوه إلا بدنا، وما آمنوه إلا وثنا، وما تابعوه إلا نصبا، لنفسهم ادعوه. حتى بيتا ما عرفوه، ولا نصبا ما أدركوه فطافوه، أو طرقوا بابه نصبا لبيت يذكر فيه اسم الله فدخلوه.

هؤلاء من باسم الصحابة وصفتم، وتمثالا لأصحاب عرفتم، وباسم السلف الصالح ذكرتم، (من وقع نظرهم على الرسول أو وقع نظره عليهم)[٣٢] كما عرّفتم، وبينهم وبين الصالح والطالح ما ميزتم، والمنحرفين والمريدين لأنفسكم اخترتم، وما كانوا إلا سلفا طالحا. تألف قلوبهم فلم تأتلف، وخاطب عقولهم فلم تعترف، وأخضع نفوسهم فلم تخشع، وأشبع نزواتهم بالمال، والجاه، والسلطان، فلم تقنع، ولم تشبع، ولم تخنع، ولم ترجع. فهم بحق، خلق ما أفلح، تركتم بينهم من أفلح، ومن بالله نطق، ومن بالنور امتد، ومن لمعاني القدوة جدد، ولمعاني العبد معه عدد، ولله سجد فأسجد، وخلطتم بينه وبين الحيوان من أمثال بينكم تتكاثر وتتعدد.

عليّ ومعاوية رضي الله عنهما!؟ ما أجمل الدين، ما أفدح الجهل، ما أظلم العقول، ما أقسى النفوس، أفكل من مشى بجوار رسول الله، أو ألقى نظرة على رسول الله، أو وقع نظر رسول الله عليه بمعاني التمثال له والتمثال لرسول الله، كان من أهل النجاة؟!

إن الذي وقع عليه نظر رسول الله، بمعاني الحق من الله، بمعاني الحق لله، نعم نالته النجاة. ومن وقع نظره على رسول الله، حقا لله، نعم فقد نالته النجاة، (من رآني فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي)[٣٣].

إن المرتدين عن ديني هم من لا يتمثلون بي. إن الراجعين عن طريقي، وعن هديي، وعن تعاليمي، إنهم المرتدين عن متابعتي في جديدي بقيامي لا أغيب أبدا، أتلو كتابي على مكث بعترة هي صنو كتابي، وهي دائم قيامي، ودائم حجابي، ودائم حقي بينكم، الثقلان تركت، كتاب الله وعترتي، لا يفترقان أبدا، ما إن تمسكتم بهما لا تضلون أبدا.

إن تمسكتم بوهم الكتاب بعيدا عن عترتي، فالكتاب كما عرفكم عن نفسه، يهدي به الله كثيرا، ويضل به كثيرا، وما يضل به إلا الفاسقين. وإن بعترتي تمسكتم دون كتابي، فهذا ما لا أرتضيه، فسيكون

من ذريتي نتن وغث، كما سيكون منها كريم وطاهر وقيم، فمن قام كتابي، وقامه كتابي، وقام بكتابي، فعليكم به، هو عين قيامي.

عترتي بينكم هم دوام حديثي وكلامي، هم باب سلامي في جديد قيامكم، بجديد قيامي. أتجدد كلما تجددتم، وأتقادم كلما تقادمتم. أتحدث بينكم لا ينقطع حديثي بعترتي، عباراتهم قلائد التحقيق لأهل المباني من أمتي، يبينون كتابي لأنه عين كتابهم، ويقومون حجابي لأنه عين حجابهم، ويهدون بهديي عين هديهم، لأني في قيامي عين قيامهم، ولأنهم قيامهم عين قيامي.

(وا شوقي إلى أحبابي، قوم يؤمنون بي ولم يروني)[٣٤]، وبإيمانهم يقومونني وأقومهم، فيروني في مرآة أنفسهم. لهم من الله ما لي، نفاذ أمره، وقيام قانون فطرته، قديم وجديد سنته، جعل لي بهم بشرا منكم الخلود بينكم، ودوام النبأ إليكم بما حجب عنكم، بهم أخلد بخلود بشريتي في خالد بشريتكم.

أقوم بما أودع فيَّ في الساجدين، فأجدد لله سجودي، وأواصل بين الخلق وجودي، واستمتع بشهودي لموجدي وموجودي، فتعرفون ما أعرف، وتعلمون ما أعلم، (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٣٥]، يتواجدون بينكم في كثرة وبكل أرض وبكل أمة، عباد لأول عابدين تبعث على رأس كل قرن لتجدد أمور الدين الفطري الدائم القيام والدائم التجدد.

أُمِرت في يومي، وأنتم اليوم قومي، أن أخاطب الناس على قدر عقولهم، وهذا شأني كلما بين الناس تواجدت، وها أنا أخاطبكم على قدر عقولكم: أُعطيت الكتاب ومثله معه، أعطيت ثلاثا من العلوم، عِلم أُمِرت بتبليغه، ومثله معه احتفظت به لنفسي، علم لباطن ما بلغت، والمراد به والحكمة منه ومعنى الاختبار به، أمر قام بي في عين معناي، لقائم أناي، ولدائم مبناي، إلى أبدي معناي، بعثا بأزلي مولاي لمعناي، ما عرفني غير ربي. به عرفت ما معناي لي، لمعناي عندكم، وقد احتفظت به لنفسي رحمة بكم هو لمن صارني وصرته. وأعطيت عِلما خيرت فيه، فاخترت له. فما بلغتكم بلغوه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. وما تخيرت له منكم فلتتخيروا له، ولا تظلموا الناس بمنع الحكمة عن أهلها منهم، ولا تظلموا الحكمة ببذلها لغير أهلها، حتى لا يُفتنوا أو يَفتنوا بها.

فما هي علوم الدين إذن؟ إن بين أيدينا القرآن، ومثله معه خفي علينا، والرسول يقول لكل حرف من حروف القرآن، ظاهر وباطن، والكتاب يقول أتوا به متشابها، ويضرب الله الأمثال للناس. كما يقول هو نور لا يمسه إلا المطهرون. فماذا عرفنا من دين الله؟ وعلى أي صورة ذكرنا دين الله؟ وكيف عاملنا دين الفطرة؟ وبأي لون تعاملنا مع الفطرة؟ هل حررنا أنفسنا من ظلمات الآباء؟ هل حررنا أنفسنا من ظلمات الأجواء؟ هل حررنا أنفسنا من ظلمات أنفسنا؟ هل ربطنا بين الثقلين من العترة والكتاب؟

جعل لنا في رسول الله قدوة، وجعل لنا في معاملة الله مع، حقا من الحقائق، وخلقا من الخلائق، وعبدا من العباد، أول عابدين، لا خاتم لهم، وأول حقائق لا آخر لها، وصفة الخلائق، ما انقطع في الله خلق بوجود في أزل، ولا ينقطع لله وجود بخلق في تواجد بأبد. الخلق أزلي أبدي بوصف الخالق بالأزلي والأبدي، العبد أزلي فيه أزلية المعبود به. إن الله فوق العبد والمعبود.. إن الله قبل الأزل وبعد الأبد.. إن الله هو العصر والدهر والقيام، وما قبل العصر والدهر والقيام، وما بعد ذلك.. إن الله هو القائم وما قام عليه قائم.. إن الله هو الحي، القيوم على الحياة بالحياة.. وهذا معنى لا إله إلا الله.

أما أن الله جعل من إنسان قائدا، أو رائدا، أو قدوة، أو محل تأسي، فهذا هو أمر الدين عملا، بعد أمر الدين عِلما، وإعلاما، ورؤية الله عِلمًا وقياما. وهذا شأن الله الصمد لا جديد فيه ولا غيرية له بآحاده.

إن القدوة إن عرف، وهو دائم الوجود والتواجد، واجتمع عليه المقتدي، كان من وصفه عنده: كلمة الله، واسم الله، ووجه الله، {عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا، وعلمناه من لدنا علما}[٣٦]. إن المقتدي يكسب العلم باقتدائه، ويكتسب الخلق، تقوم في مقتداه، في متابعته، وما متابعته إلا المحبة في الله. فالإيمان به عبدا لله عين الإيمان بالله قياما في الوجود. (إن لله عبادا إذا ذُكروا ذُكر الله) [٣٧].

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يوم يكون النبي محل اقتدائهم، وقائم قدوتهم، وذات محبتهم، وحق رضائهم، ورضوان أنفسهم، فيمن هو من ورائه ومن ورائهم بإحاطته، {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}[٣٨]، (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ومن نفسه التي بين جنبيه)[٣٩]. فهل تعطل كسب الإيمان بتحكيمه، بغيبة ذاته أول العابدين؟ أم أن كسب الإيمان لن يتعطل بقيامه، وتقلبه في الساجدين، بعباد متلاحقين؟

لقد كان محمد، ذاتا وصفاتا، وقياما، وتكاثرا، رحمة للعالمين، مَثَّلها أول العابدين قديما، وأول عابدين بعثا بالقديم، ولم يكن نكبة على البشرية فيكون آخر النبيين، أو خاتم العابدين. إن الذي أُرسل رحمة للعالمين لا يصح أن يقال إنه خاتم النبيين، بمعنى حرمان البشرية من النبيين، وإلا كان نكبة على البشرية، لا رحمة للعالمين، وهو الذي يقول لكم (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٤٠]، فماذا فعلتم بأنبيائكم؟ قبلتم من كل ناهق، أو ناعق مثال النبوة، وأبوتم على كل ناطق باسم الله لسان الحق من الله، وقلتم هؤلاء أهل المواجيد، هؤلاء القوم، هؤلاء أهل الخيال، نحن أهل السنة، هؤلاء مجانين، وما كانوا بنعمة الله بمجانين.

وهؤلاء هم المسلمون حقا، وهم الأنبياء حقا، وهم العباد حقا، وهم الحقائق حقا، وهم وجوه الله حقا، ولكن الناس أشاحوا عنهم بوجوههم، وظاهروهم وأعطوهم أقفيتهم، وهم برحمة من الله، باخعي أنفسهم وراءهم دون جدوى، وما يزالون. {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة...}[41]، {ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا}[42].

إن من جعل الله منه قدوة، وهو في دوام في الخلق جاعل، تنصب عليه رحمات الله، كما يسجلها تشريعه في قوله، الله وملائكته يصلون على هذا الإنسان.. على هذا النبي.. على هذا الذي يحمل خبر الحق.. على هذا الذي يتحدث بلسان الحق.. على هذا الذي يقوم في الناس عبدًا لله.. على هذا الذي يقوم بين الخلق حقا من الله، إن الله وملائكته يصلون على عباده الذين حققوا معاني العبد لأنفسهم، ومعاني العبد في الخلق تتكرر بلا انقطاع، {هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور}[43]، وجعل من القدوة صلاةً لله بالسكينة، {وصلِ عليهم إن صلاتك سكن لهم}[44]، فالنبي يصلي على المؤمنين، لتكون صلاته سكنًا لهم، وسكينة أنفسهم، {الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد [وهو الحق] من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[45]، (إن الله ينظر إلى قوم كفاتا وينظر إلى قوم من قلوب قوم آخرين)[46].

إن الطاقة المطلقة في الله بلانهائي أزله في أبدي تواجداته بحقائقه، تنصب على مركز لها في الخلق على بؤرة من الخلق، على عبد من الخلق، لتمتد منه في الخلائق سكينة للنفوس، ومحوا لظلامها، وذهابا بباطلها، وبعثا لأحسن تقويم من خُلق إنسان قويمها، في قديمها. وقد أخفى الله ظاهر هذا الإنسان بين الخلق، ولم يُظهره، ولكنه يظهر به الكثيرين من عباد للرحمن يمشون على الأرض هونا، كما يولي به الحكام الزمنيين تطبيقا لقوانين الجزاء من محصلة الفعل ورد الفعل ومداولة الأيام بين الناس، ويبدلهم ويبدل بهم، كما يغيرهم ويغير أحوالهم ويغير بهم، أو ينزعهم عن سلطانهم ويولي غيرهم. إنه يعمل في دولة الله مجندا لنفاذ إرادة الله ورسوله، على ما هي به قائمة وبه ومنه مقامة، كلمة الله التامة المستخلفة أو المخلِّفة بها يملأ الله فراغ الوجود بالحياة، ويزيد في الخلق ما يشاء روحا وذاتا متجسدا.

إن الاقتداء، إن صح عند المقتَدِي، وإن صادف المقتدَى، أدرك به المقتدِي لنفسه كل صفات المقتدَى، مما رضي من خلقه، وقام بنفسه في نفسه، بكل ما عَلِم المُقتدَى، مما علّمه الله، أو علمه الرفيق الأعلى لمعنى مقتدَى.

فنحن نتحدث كالببغاوات بذكر السلف الصالح والتابعين وتابع التابعين بإحسان إلى يوم الدين، وما ذكرنا من سلف صالح قط، وما أخذنا من تابعٍ ومتابع متابِعا صدق مع متابَع وفق وتحقق. ولكن أخذنا دائما قشور الأشياء، وتوافه الأمور، وَردَ عن فلان (بال الرسول واقفا على كناسة قوم)[47]

وبذلك جاز لنا أن نتبول في الطريق وقوفا، ثم نعقب ونحلل ونفسر ونستنتج من هذا الفعل ما يحلو لنا. وبذلك نشغل الأذهان بتوافه الأمور جرف بها بعيدا عن جوهر الدين من أمر صلاح القلب وإحيائه، وتحرير الروح وإنمائه، وتنوير العقل وإذكائه، وإشعال النفس وإرضائه، وإصلاح الجمع وإعلائه.

هل الاقتداء بالرسول يكون في حركات؟ ما أتاها الرسول في ألوانها وصورها إلا ليجعل اليسر للناس ولهذه العقول الضيقة في آفاقها، إن الرسول أَحَب أن يذكره الناس في أنفسهم، وأن يذكروه في متابعتهم لفعله في أفعالهم، أنهم يقتدون به لعل قلوبهم يوما ترق، ولعل قلوبهم بالحق يومًا تدق. (...عد نفسك من الموتى تكن مؤمنا)[٤٨].

(دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثواني)[٤٩]...

فيحيون في صحبته مع أنفاسهم وبكل أحوالهم، فيتبين لهم أثر الصحبة في أنفسهم، بتغيير ما بهم إلى ما به من أمر قلبه عن طريق محبة قالبه ذكروه، فكيف بهم إن هم في جديد لاقوه! ...

فهل في أنفسهم يبصرون؟ وهل في أنفسهم أبصروا؟ إن الإسلام يتجدد مع كل مسلم صدق إسلامه. (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[٥٠]، على رأس كل قرن من حياة كل إنسان.. على رأس كل قرن من حياة كل عنوان.. على رأس كل قرن من بدء كل بنيان. إن هذه الرسالة بنبوتها وبقرآنها وبسنتها تتجدد في دوام، ولذلك ارتضاها الله، ولو أَسِنَت كالماء الآسن ما ارتضاها الله، {ورضيت لكم الإسلام دينا}[٥١]،{إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}[٥٢]،{وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث}[٥٣]. لا تظنوا أننا من هذه الآيات أدركنا أو أننا من قراءة هذه العبارات عَلِمنا، لو وقفنا مع هذه الآيات وهذه العبارات لكنا على أمثال من ترون في هذه الجهالات.

لقد تحررت العقول منا، فتعثرنا، وكبونا، ثم وقفنا، واستيقظنا، ولكبوتنا عَلِمنا، فانعكسنا إلى أنفسنا متحررين، وصاحبنا كل من أعجبنا صدقه متابعين، وما زلنا، ولن نزال، كلما رأينا للحق في الخلق مثال، فكسبنا يوم أدركنا، وكسبنا يوم أنّا لعقولنا حررنا، وكسبنا يوم أنّا لنفوسنا قومنا، ولجوارحنا أعملنا، وما زلنا، وما إلى الحق وصلنا، لا ولا من ماء الحياة روينا، فكلما شربنا عطشنا، وكلما أدركنا.. أدركنا في إدراكنا إدراك الجهل لنا، وكلما تحققنا، وحققنا، زدنا في طلب الحق لنا من الخلق حولنا، لا نطلب الله بعيدا عن خلقه، ولا نطلب الحق بعيدا عن حقائقه. إننا نرى الحق في المسيء قبل المحسن، وفي المخطئ قبل المصيب، وفي المظلم قبل المشرق، وفي الجاهل قبل العالم، نُقلب صحائف كتابه في عوالم

حجابه، فنعرف ما وراء هذه اللفائف، وما بين السطور من هذه الصحائف، في كتاب نتلوه ونقرأه في دوام، ونرجو ألا نُحرم بتكاثر فيه على قيام به، على ما نحن قيام ونيام، وعلى ما الناس نيام وقيام، في أزل وأبد ودوام.

عَلَّم آدم الأسماء كلها، وما تَعلَّم آدم أسماءً إلا كلمات الله، وما كانت كلمات الله إلا أبناؤه، وما أحاط بعلم عَلَّمه شَرُفَ به على الملائكة، وعلى الجان، وعلى الكائنات، إلا بما عرف عن نفسه يوم رآها بدء العبودية لرب له، ورأى هذه الكائنات موجودات فيه تواجدت منه به.

واضرب لهم مثل ابني آدم بالحق، فما كان آدم إلا عين الحق، يوم كان ولداه فيه حقا بالحق مثلا لألوان فعل الحق فيه، منه، إليه، بمقاربة أو بمباعدة.

إن الإنسان ما حرص في دورة الحياة القائمة على أن يجد له قدوة هي قدوة رسول الله، يشهد فيه أسوة هي أسوة رسول الله، ينشد به حقا هو حقائق الله، بعباد الرحمن يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، كوثرا لرسول الله ووجوها لله إلا بدَأ الحياة وركب سفينة السلامة والنجاة.

إن الله برحمته ولنشر كلمته أبعد القدوة والأسوة عن مقعد السلطان وعن مقعد الملك في حياة البشرية حتى الآن، ليجعل القدوة والأسوة في متناول كل إنسان، لأنه جعلها في عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)[٥٤]، وما جعل السلطان لرسوله فترة قصيرة من الزمان إلا ليكون بقدوته وأسوته في رسالته مثلا مرضيا للحاكم والمحكوم، كمال رسالته وتمام البلاغ بنعمته.

أصر الناس على أنهم لا يرونها في الضعفاء من بينهم، ولكنهم يرونها في أهل السلطان عليهم من حكامهم وأمرائهم، ويرون المنعم فيما فيه اختبر الناس، ولا ينشدون النعمة في متناول أيديهم من يد المنعم بعباد للرحمن يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. فجعلوا الدين جدلا وكلاما في خدمة أهل الطغيان من عالم هذا البنيان، يجادلون في الله بغير علم ويتبعون كل مريد من شيطان. يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، يحرفون الكلم عن مواضعه، يتلون الكتاب وينسون أنفسهم، ولا عقل لهم.

هذا هو حال البشرية الآن، سواء في أهل هذه الملة أو في غيرها من الملل. جعلوا من الدين قصصا، وخيالات، وأوهام، ومناسك، وتجسدات للمعاني ما أنزل الله بها من سلطان، سواء المسيحيين، أو المسلمين، أو اليهود، أو البوذيين، أو البرهميين، أو كل من تقل الأرض اليوم ممن ينتسبون إلى ملة أو

إلى دين، إلا من رَحم الله، وقليل ما هم. ورحمة الله لا تغيب عن الأرض في أهل مِلة من هذه الملل، بقيام أُناس في هذه الجماعات على حق في إدراك، وعلى صدق في عمل.

فلا الهندوكية وطوائفها تخلو من أهل الصدق، ولا المسيحية تخلو من أهل الصدق، ولا المسلمين يخلون بينهم من أهل الصدق. ولكن أهل الصدق في هذه الملل جميعا مغلوبون على أمرهم، مستضعفون في أقوامهم إلى أن يأتي نصر الله، وإن لله لنصره ينصر به هؤلاء المستضعفين يوما ما، لا ندري أقريبا أم بعيدا ما توعدون، ولكنه ما بين لمحة وأخرى أمر قد يكون. {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا}[٥٥].

إنه أمر الساعة.. إنه أمر الرسالة الجديدة.. إنه أمر تجديد رسالة الفطرة.. إنما هو أمر عودة الإسلام غريبا على أهله، غريبا على الناس، غريبا على البشرية، ولكن الله وعد أن يظهره على الدين كله، وهو الصادق وهو القادر، وهو مظهره يوما على الدين كله. فيوم يظهره على الدين كله، فهذه هي الساعة، يومئذ يجيبون الداعي لا عوج له، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا، لمن الملك اليوم لله الواحد القهار. يوم يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات.

اللهم مالك الملك.. اللهم واسع الرحمة.. اللهم معطيا بلا جز، وبلا حد.. اللهم خالقا بلا وصف، قادرا بلا قيد.. اللهم بعبدك ورسولك فارحمنا.. اللهم به فوفقنا.. اللهم به فيسر أمورنا.. اللهم به فقوم إمكاننا وجوارحنا.. اللهم به فحرر عقولنا وأنرها.. اللهم به فأطلق أرواحنا وأمددها.. اللهم به فأعلِ كلمتك، وانشر في الناس أمرك وحقيقتك.. اللهم به فتولَنا في الصغير والكبير من شأننا.. اللهم به فولِ أمرنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا.. اللهم به فعاملنا برحمتك وعافنا من غضبتك، وتجاوز عن سيئاتنا، وعن إقامة عدلك فينا، وعاملنا بمغفرتك وعفوك يا أرحم الراحمين، وقوم أحوالنا حكاما ومحكومين، عبادا ورابين، روادا ومرودين، قوادا ومقودين، مجاهدين ومتابعين، يقظين وغافلين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

بذاتي لذاتي لا لكم أنا ظاهر وما هذه الأكوان إلا مظاهر

تقيدت والإطلاق وصفي لأنني على كل شيء حين لا حين قادر

فمرتبة التقييد أظهرت رحمة ومرتبة الإطلاق بالرحمة ساتر

فهذي بمخلوق تسمت وتلك بخالق وفي التحقيق للرائي أين التغاير.[٥٦]

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة يس - ٨١

٢ سورة الأنبياء - ١٠٤

٣ معنى تناقله الكثيرون من المتصوفة ومنهم الشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية عن قول أبي يزيد البسطامي: "أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون حدثني فلان وأين هو؟ قالوا: مات عن فلان، وأين هو؟ قالوا: مات."

٤ سورة البقرة - ٢٨٢

٥ سورة طه - ٥٠

٦ سورة الفرقان - ٥٩.

٧ حديث شريف: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

٨ سورة الكهف - ١

٩ مقولة شهيرة للحلاج.

١٠ مقولة لأبي يزيد البسطامي.

١١ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم." أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي. باختلاف يسير.

١٢ حديث شريف ذكره الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" أن الرسول قال لعائشة: ضيقي مسالك الشيطان بالجوع.

١٣ سورة النحل - ١

١٤ سورة سبأ- ٤٦

١٥ سورة سبأ- ٤٦

١٦ حديث مشهور. يوصف بأنه موضوع ولا أصل له. ويمكن فهمه من السياق.

١٧ سورة يوسف -٥٣

١٨ حديث شريف. أخرجه البيهقي، كما أخرجه الطبراني بلفظ: "ليس عدوُّك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلته كان لك نوراً، أعدى عدوِّك نفسك التي بين جنبيك."

١٩ سورة الإسراء - ٨١

٢٠ سورة الفتح - ١٠

٢١ سورة يوسف - ١٠٨

٢٢ سورة الأنبياء - ٣٤

٢٣ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين} سورة الشعراء – ٢١٨، ٢١٩

٢٤ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٢٥ إشارة إلى حديث شريف أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة." أخرجه الحاكم.

٢٦ حديث شريف ذات صلة: "يحمِلُ هذا العِلمَ من كلِّ خلَفٍ عدولُه ينفونَ عنهُ تحريفَ الجاهِلينَ وانتحالَ المبطلينَ وتأويلَ الغالينَ." المحدث الإمام أحمد، أخرجه العقيلي وأبو نعيم والبيهقي باختلاف يسير.

٢٧ استلهاما من الآيات: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ" (إنجيل يوحنا ١٦:١٤-١٨).

٢٨ سورة البقرة-١٩٧

٢٩ سورة الذاريات - ٢١

٣٠ من الحديث الشريف "استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك." أخرجه أحمد بن حنبل والدارمي.

٣١ سورة القيامة -١٤

٣٢ إشارة لتعريف الفقهاء عمن هو الصحابي.

٣٣ حديث شريف: مَن رآني فقَدْ رَأى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُني." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٣٤ من الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد من حديث أبي جمعة - رضي الله عنه - قال: "تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فقال: يا رسول الله، أحد منا خير منا؟ أسلمنا وجاهدنا معك، قال: نعم، قوم يكونون من بعدكم، يؤمنون بي ولم يروني. "رواه الدارمي وأحمد والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وإسناد الدارمي.

٣٥ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٣٦ سورة الكهف - ٦٥

٣٧ حديث شريف: الراوي: الحسن البصري. صحيح ابن ماجه.

٣٨ سورة النساء -٦٥

٣٩ إشارة إلى الحديث الشريف: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلا نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الآنَ يَا عُمَرُ." صحيح البخاري. "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين. "متفق عليه.

٤٠ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٤١ سورة الأنعام - ١٥٨

٤٢ سورة الانعام - ٩

٤٣ سورة الأحزاب - ٤٣

٤٤ سورة التوبة - ١٠٣

٤٥ سورة محمد – ٢

٤٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤٧ حديث شريف في الصحيحين.

٤٨ من حديث شريف أخرجه البخاري. (عش في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من الموتى تكن مؤمناً).

٤٩ من أبيات شعر لأحمد شوقي.

٥٠ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

٥١ سورة المائدة - ٣

٥٢ سورة القصص - ٨٥

٥٣ سورة الإسراء - ١٠٦

٥٤ من حديث شريف: " رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، ذِي طِمْرَيْنِ، تَنْبُو عنه أَعْيُنُ الناسِ، لو أَقْسَمَ على اللهِ لَأَبَرَّهُ". خرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.

٥٥ سورة القصص - ٥

٥٦ من ديوان الشاعر العثماني عبد الغني النابلسي (١٦٤٠ – ١٧٣١ م)

(٤)

المخلوق المتخلق بخلق الخالق
النبأ العظيم والعبد الحق المقيم
الفطرة به تملأ فراغ الوجود بالحياة
بتجديد مفردات وجوده لعين موجوده
اتساعا لعالم شهوده
إنسان الحياة وحق وعبد الله

حديث الجمعة

٩ رمضان ١٣٨٣ هـ - ٢٤ يناير ١٩٦٤ م

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر. لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، عبادًا له مخلصين له الدين، إليه دوما مفتقرين. منه دوما يطلبون الإيمان واليقين، إسلاما له بالإسلام لرسوله، وإسلاما لرسوله بالإسلام للمتابعين له ظلالًا له بمعناه، دوام قيامه يقوم ويتقلب في الساجدين، تاليا كتابه على مكث ليبين عبد الله وأول العابدين.

ما جعل لبشر بفرده ولعنوانه بهيكله – الخُلد - من قبله، وله جعل في دثار متجدد بجلباب متعدد قياما دائما لنور منتشر، قبضة نور السموات والأرض لموجود عالمه من خالق السموات والأرض، بدءا ودوما وعودا لاسمه باسمه وأعلامه، عَلَما على واجب الوجود لكل وجود، ووجها للمعروف بكل معرفة، وكتابا للواسع العليم المقدر بقدره بالمطلق اللانهائي، رب الأرباب، وإله الآلهة بعظمته وتعاليه، وتحت العباد بيد رحمته وتدانيه...

لا شريك له بوجود مما أوجد، ولا موجود معه بوصف الموجود ممن به تواجد. الكل عين وجوده، ووجه شهوده، ويد قدرته، وقدم سعيه، وعين بصيرته، وأُذن سميعته. الواحد الأحد لا شريك له من عبد أو رسول، الظاهر بتواجده بوجوده لأسمائه وحقائق حقيقته في لانهائي موجوده.

بدأ خلق جلباب الإنسان ذاتا من صلصال كالفخار، موصوف الخلق له مخلوقا لخالق، خلقه خالقه لنفسه، وليصنع على عينه. خلقه الأعلى من نفسه الأدنى نفسا له، إذ هو نفس لنفسه. خلق فسوى وقَدَّر فهدى. خلقه إنسان حقه ليتواجد به، ويتعارف إليه معروف نفسه، على ما هي نفسه في معرفتها عنها للأعلى لها.

الإنسان مخلوق متخلق بخلق خالقه، حتى إذا ما كان فيها متجاوزا وزره من ماديته كان اسما لخالقه، وكان خالقا بصفات خالقه على ما شهد من أمر خلقه، فهو المخلوق المهيأ ليكون خالقا بالتخلق بخلق خالقه، وما زال معبرا عن معناه في صورته على ما هو في عالم خلقته وبيئة تكوينه.

فماذا أفادت إنسانية هذه الأرض من رسالة الفطرة؟ ماذا أفادت هذه البشرية برسالة أوادمها من الحكماء وأوادمها من الأنبياء، وبرسالة أوادمها من عباد الرحمن؟ ماذا أفادت هذه البشرية من رسالة النبوة؟ وماذا أفادت هذه البشرية من رسالة العبودية؟ وماذا عرفت هذه البشرية عنها، في قائمها، وعنها في قديمها، وعنها في قادمها؟

ماذا عرفت هذه البشرية عن سرمديتها الإنسانية؟ ماذا عرفت عن أزليتها النوعية؟ ماذا عرفت عن أبديتها البشرية الكونية؟ ماذا عرفت عن قائمها بوصف الخلق؟ ماذا عرفت عن قيومها لها باسم الحق؟ ماذا عرفت عن القيوم عليها باسم الرب؟ ماذا عرفت عن سموات معانيها لمعارج القدسية لها؟ ماذا عرفت عن انزلاقات مبانيها عن مراد معانيها لوصف الهاوية؟ ماذا عرفت عن أياديها أيدي للحق عاملة، وأيد للعدم خاملة؟ ماذا عرفت عن أيادي الرحمة مقلة أو عن أيادي القدرة مظلة منها لها، ومن الأعلى إليها، ومن الأدنى في طلبها بعينها فيها؟ ماذا عرفت عن وحدانيتها مع الأعلى أو مع الأدنى أو في ذاتها لمفرداتها ومعانيها أو عن وحدانية مبديها؟

قامت رسالة الحكمة، الحكيم بعد الحكيم، كما قامت رسالة النبوة، النبي بعد النبي، كما قامت رسالة العبودية، الآدم بعد الآدم، إنباءً عن منشودها لمعانيها، تخلقا بأخلاق مبديها ومتجليها وبانيها، لتكون وجوها له عندها، ولتكون عضدا له فيها، ولتكون هياكل له بوجودها، ولتكون بيوتا له بمعانيها بقلوب متحدة يذكر فيها اسمه، لتكون عوالم له يظهر فيها لها بمعناه لمعانيها، وبمبناه لمبانيها، مدانيا بالأعلى لمعانيه لقائم معانيها، لتعرف عنها وعن مراقيها لمعانيها، وعن قادمها من قائمها لمبانيها.

يداني الخالق الخلق ليتلاقى مع خلقه، معنى بمعنى في هياكل عوالمه في بيوت لقائه من قلوب عباده، بذوات إنسانيته لحضرة بشريته، فيرتقي بهياكل العباد إلى بيوت أسمائه، فيجعل من الخلق بتخلقهم بخلقه بيوتا له ماثلة في معاني نصبه من أهل اصطفائه، من أوادم اختياره بعد ابتلائه، وأوادم رضوانه بجزائه قائمين بنعمائه، تمسكهم يد قدرته، وتبعثهم يد رحمته جديدا لقديم، يقومون بظاهرهم عين القديم في جديدهم، جديدهم عبد قديمهم بمعناهم لعين معناه بأسمائه، عبادًا عين ربهم، وأربابٌ عين عبادهم، ملأً لفراغ الوجود بالحياة، واتساعا لموجوده، وتجديدا لمفردات وجوده علما على الموجد، باطن الوجود كلما ظهر للشهود وجود.

قامت رسالة النبوة، والحكمة من قبلها، والعبودية من بعدها، إخبارا للإنسان عن نفسه، وتعريفا له بنفسه من يكون، ومن كان، ومن سيكون، ومن سوف يكون. عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذين هم فيه مختلفون. كلا سيعلمون ثم كلا سوف يعلمون. قل جاء الحق وزهق الباطل. ولتعلمن خبره بعد حين، {ولولا كلمة سبقت من ربك، لقضي بينهم}[1]، {أتى أمر الله فلا تستعجلوه}[2].

بُعث بالحق ليتلو على مكث كتابا وبيانا، قدوة ومعلما لجنسه في جميع مستوياته. أُعطي الكتاب ومثله معه. أُنزل عليه الكتاب فأخذه بيمينه مدركا ما كُشفَ له من غطاء عنه قام عليه وحجبه عن حقيته، فتحرر من حجابه بمجاهدته وتوفيق ربه، ضالا هُدي، ويتيما أُوِيَ، وفقيرا أُغني.

أُوتي الحكمة ومن أُوتي الحكمة فقد أُوتي خيرا كثيرا، فما غَنِيَ إلا بالحكمة، لم تغره الدنيا قهرها، ولم تبطره الآخرة مَلكها، ولم تخدعه النعمة بذلها. لم تشغله النعمة عن المنعم، ولا أطوار الخلقة عن الخالق، ولا معارج القدرة عن الضعف مع القادر.

أُعطي العزة ليكون عزيزا قادرا، فلم تبطره القدرة عن المزيد وعن طلب الأعز عبدا إليه ينسب. عرفه كبيرا فقام عبدا للأكبر، وعرفه عاليا فقام عبدا للأعلى، وعرفه قديما فقام عبدا للأقدم، شهده في صلة المؤمنين به ظلالا له مثالا لأنفسهم ارتضوه، فقام بهم ربا بعثوه، وللأصغر والأضعف عبدا نسبوه، وقد عرَّفه الرب خادما لا مخدوما، فكان المعلم حقا والمتعلم من الحق صدقا، فكشف عن صفة العبد في الرب، وكشف عن صفة الرب للعبد.

ظهر الرب خادما لا مخدوما.. ظهر الرب عالما لا معلوما.. ظهر الرب قادرا لا مقدورا، ووصف ذلك معلوما له لصفة الرب منه مضافا للأعلى عليه، هو له على ما هو للأدنى منه. عَرَفَ وعَرَّف السيد خادم مسوده. عَرَفَ وعَرَّف الرب قائم موجوده بعبده مما أوجد. وبشر الخلق بقادم الحق لمعانيهم

وجوها ناظرة للأعلى، عبادا له، ووجوها راعية للأدنى، أربابا منه يوم يكون لهم ما له برضاء الأعلى ينظرهم في متابعته إليه.

كان أول العباد.. كان أول الرشاد.. كان أول السداد.. كان أول الإنسان.. كان أول العنوان.. كان أول الحق.. كان أول الخلق.. كان أول القرب.. كان أول البعد.. أنهى الإنباء عن المنبأ عنه، وبدأ الوصلة بالمبشر به، لقي ربه في بشريته عبدا يلاقي ربه في نفسه وفي قلبه.. عبدا يطرح وزره وذنبه.. عبدا يخلع الدثار، ويسفر وجها للمعروف، وجها للمنشود، وجها للمعبود، عبدا عابدا لمشهوده ومنشوده ومعبوده حق موجوده.. عبدا يرى وجه الله في الناس، ويُري وجه الله للناس. به جاء الحق وزهق الباطل.. به جاء الحق لمن يطلب الحق.. وبه يُزهَق الباطل لمن يحاول أن يزهق عن نفسه الباطل.. به جاء الرجاء.. به لبى الله النداء.. به ظهر لآدم العفو والعطاء وانقضى الحرمان.. وبه قام رباط الولاء واستقبال الجزاء، {تمت كلمة ربك}[٣]. عبد ورب الله من ورائهما بإحاطته، فلا عبد ولا رب، ولكنه لا إله إلا الله يدخلها من تخلقوا بأخلاق الله، وتواجدوا في متابعة المتخلق بأخلاق الله في القيام بخلقه خلقا معلوما لهم، قائما بينهم رسولا من أنفسهم، متجددا بذاته في عداد ذواته، ومتجددا بخلقه في بيوت صفاته، تجدد وتعدد من قديمه نبأ بالإنباء. وتجدد وتعدد من معروفه ومشهوده وموجوده أثرا وخبرا بالعلماء. آدم أوادم وحكيم حكماء.

أيها الخلق.. الله خلقكم وما تصنعون. أيها الخالقين بما تصنعون لا تنسوا أن لكم خالقا، ينشدكم لتتخلقوا بخلقه فتكونوا أكرم الخالقين، يوم تتخلقوا بأخلاق أرحم الراحمين، وقد بعث بينكم برحمته رسول رحمته وأول العابدين، وخاتم المنبئين، وما كان الخبر كاليقين. إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعين إذا دعوني على ما يليق بدعوتي، على ما فعلت، وعلى ما أجبتك فأكونهم على ما كنتك. ألم ترَ {أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}[٤]، {وضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك}[٥].

سلهم هل رشدوا فيَّ؟ وسل نفسك أنت عن جهدك بينهم باخعا نفسك على آثارهم آبقين، وعن ندائك لآذانهم صامين وما كان نداؤك إلا ندائي، فارين من قربك وما كان قربك إلا قربي، كنودين عن حضرتك، {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما}[٦]، وكم قلت لهم ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة، وما عرفوا أن ما عندك إنما هو ما عند الله، وما عرفوا ما أنت وما أنت لهم إلا وجه الله، وعين الله، عين الله الساهرة، ويد الله الهادية، وقدم الله المقاربة الساعية، وهيكل الله لشرف البشرية، ولشرف الإنسانية، ولشرف الإنسان.

أمرنا أن تعلن وتسفر وتقول جاءكم الحق بمجيئي يا من يطلبون جيئة الحق لا مكان له ولا زمان له، الذين عرفوا حق العبد فيه إن كل من في السموات والأرض إلا ملاقيه، وما قامت السموات

والأرض إلا العبد فيه، وما ظهر بمعاني ظهوره إلا معاني العبد له، فما رأى فيه العبد إلا عبدا، وما كان الأعلى للأدنى قياما ورعاية ووصفًا إلا حقا على حق، وربا على رب، وإلها على إله، فما ظهرت الحقيقة إلا في معاني العبد على العبد عزة بالله، وذلا لله في وحدانية العزيز والذليل لا تُطغى عزته عزيزا بها عبدَه، ولا تعطل الذلة له رحمة منه، أو وارد عزة به عزة تتزايد خالصة مغفورة، قرين ذلة متزايدة مرضية مأجورة.

جاءت رسالة النبوة بنبأ ذلك ببشريات موعودة على تعاقب حتى ختمت برسالة العبودية، وتحقيق البشرى بحجر الزاوية للخلق والخالق. جاءت لنفاذ ما عنه أنبأت رسالة الأنبياء عن النبأ العظيم، والعبد المقيم، والحق الكليم المتكلم، عبد لا ينقطع من بعده العباد، رشاد لا تحرم البشرية من بعده أعلام الرشاد، وجود لا ينقطع له منه به في البشرية التواجد. به تتحقق نبوءات الأنبياء لمن تابع الأنبياء بإيمان وولاء، رسول الفطرة وقائمها وكتابها، أول العابدين حقا، ربا وعبدا، ظاهرا وغيبا. إليه ينتهي السبق من أزل الإنسان، ومنه يبدأ اللحاق لأبد الإنسان...

أول البيوت موضوعة.. تمام الكلمات المدانية لبيت يذكر فيه اسم الله موضوعا، جديدا لقديم بيت يذكر فيه اسم الله مرفوعا. فما كان البيت الموضوع به ببعث معناه لمبناه إلا عين البيت المرفوع، بمعناه من عين عالم مبناه ذكر محدث هو عين الذكر القديم، ذكر هو عين المذكور، به قام ذكر الله في بيت الله موضوعا أو مرفوعا، فكان بحق عَلَم لا إله إلا الله عاليا مرفوعا، علم لا إله إلا الله حكيما عاقلا معقولا، وعلم لا إله إلا الله قائما موجودا فوق المعقول والمنقول.

هذا هو عبد الله الذي ظهر عبدا للرفيق الأعلى، وعبدا لله وصف الأعلى بمعنى الطريق المستقيم، ووصفه الأعلى قائم ودائم الطريق المستقيم، فكان ظاهر الطريق لباطن الطريق، كان ظاهر الحق لباطن الحق، كما كان باطن الحق لظاهر الحق كلما تكاثر أو تجدد بجديد بدء. كان الخلق والتخلق والعلم والمعلم بظاهره وباطنه. كان منشود الخلق لوجه الخالق، يظهر لهم من أنفسهم، في أنفسهم، لأنفسهم، بأنفسهم، ظهورا لكتاب علمه في ظاهر قيامهم من باطن قيامهم بقيومهم لقيومه عليهم.

كان الله ولا شيء معه، ثم خلق الخلق متجليا بهم وعلمهم عنهم محققا لهم، فعرفوه في قائمه على ما عليه كان، فمن عرف أنه مخلوق لخالق، وقام به يقين الخالق لقيامه لمعاني دائم الخلق له، فرد الدين للدائن، فقام المخلوق بالخالق وجها له لا تعدد لهما في حصن لا إله إلا الله، انتهى وصف الخلق عنه، وزهق وصف الباطل له، فبعث بالحق فقام به الحق. وهذا ما يكون للمؤمن بالله ورسوله يوم يتابع الرسول أو ظلاله متواصيا بالحق متواصيا بالصبر.

{قل جاء الحق}[٧].. فمن رأى في إنسان الله وعبده جيئة الحق لا شيء معه، فأضاف نفسه إليه مستقبلا فيض نور الحياة منه فكان ظلا له، حقّي الحق معلوما له ولا شيء معه، وهذا ما عناه الرسول بحديثه عن الله من أنه كان ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان.

هذه رسالة أول العابدين، تابعه عليها عباد مشوا على الأرض هونا، وسالموا الناس، ودعوا الناس للأعلى، وعبَّدوا الناس للأعلى على أنفسهم، وعبَّد لهم الأعلى الأدنى لقادم أنفسهم من صنعهم، وآخى بينهم لقائم أنفسهم وأحدية جمعهم. دين القيمة قوامين على الخلق باسم الخالق، عبادٌ وجوه المعبود، أعلام عَلَمِ المعلوم بعالمه عين معلومه، كتب علمه عرفوا أنه الحق لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية ولا يمحوه جحود، وأن المؤمن فيه من آمن به إيمانا بالحق لرسوله، وإيمانا بقربه من نفسه، وإيمانا بعظمته لا تحاط ولا تدرك، فعرفه عبدا شرف أن كانه وأن يكونه، فأشهره في دائم قيام العبد له، وحرص على وصف العبد له في كل معارجه بقيامه محلا لله ورسوله، ووجها لهما بدءا من قيامه.

هذا هو دين الإسلام.. هذا هو دين الفطرة.. هذا هو دين السلام.. هذا هو دين السلم.. هذا هو جوهر الدين.. هذا هو عماد الدين، لا تسلم عُمد الدين إلا بركونها إلى هذا العماد.

هذا هو الحق.. هذا هو التركيز.. (لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله)[٨] يصلح مجتمعكم، لا تشهدوا غير الله تستقيم طريقكم، لا يتجول العقل في غير الله يُنتفع بعلمكم، ويقوم ويرفع ويعلو علمكم. لا تتبعوا أهواءكم، ولا أهواء بعضكم البعض، ولكن ارجعوا إلى أعماقكم وضمائركم، (استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك)[٩]، {بل الإنسان على نفسه بصيرة}[١٠]، وإن كان الإنسان أكثر شيء جدلا، مجادلا مبديا معاذيره، فلا تقل إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتفون، فكم قالها من قبلك الآباء في طريق انحدارهم، وفي هاوية تقاليدهم. حرر عقلك من عقول الآباء. وحرر عقلك من عقول من حولك. وحرر عقلك عن المنقول عن الآباء بمفهوم قومك، واعلم أن الله معك يراك ويسمعك، وأنه يعلم السر والنجوى، وأنه أقرب إليك من حبل الوريد، فقم في تقواه، فمن اتقاه علمه مولاه، ولا تزعم لنفسك معناه، فالعبودية لك نهاية المطاف، كما هي بداية الطواف.

إن كنت في الأرض فأنت عبده، وإن كنت في السماء فأنت عبده، وإن كنت وجهه فأنت عبده، وإن كنت إلها على من عنه احتجبت برحمة ربك لخدمته فأنت عبده، وإن كنت ربا لمن رعيت برحمته فأنت عبده، وإن كنت عبدا في حقيقتك لحقيقتك فما زلت عبد عبده، {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[١١]، {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}[١٢]، من وراء كل شيء بإحاطته، قيوم كل إنسان بتواجده بخليقته، في خلقيته وفي حقيته، في بنائه وعبوديته. فما كان النبأ إلا الإنسان، وما كان المنبأ عنه أو المنبئ إلا الإنسان. وما كان المعلوم في الله من الله وعن الله

إلا الإنسان. وما كان المعلم في الله عن الله إلا الإنسان. وما كان العارف بالله إلا الإنسان. وما كان المعروف له إلا الإنسان. وما كان كتاب العلم عن الله إلا الإنسان. {وكل شيء أحصيناه في إمام مبين}[١٣]، وكل شيء أحصيناه في كتاب مبين. {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب}[١٤]، جعله كتابا، ومثله معه، ولم يجعل له عوجا، وجعله قيما على نفسه بقيامه على الناس بمن هو عليه قائم، وبه فاعل، وعليه قيم، جعله شهادة لا إله إلا الله، يوم يشهد الناس أن محمدا رسول الله، فيعلمونه الحق من الله، فيقومون لا إله إلا الله، على قائم لا إله إلا الله، في قيامهم إنسان على إنسان إلى إنسان في الله ذي المعارج.

إذا شهدوا لا إله إلا الله شهدوا بها محمدا رسول الله، وإذا شهدوا محمدا رسول الله شهدوا به لا إله إلا الله.

هذا هو خاتم وطابع وخُلق وخَلق النبيين. هذا هو الحق من الله، وأول العابدين، ما زالت البشرية مفتقرة إليه، وستبقى البشرية مفتقرة إليه، وما كانت البشرية في يوم من الأيام غير مفتقرة إليه، وما غاب عن البشرية يوما فهو عبد الرحمن دائما. الراحمون والمرحومون ظلاله، هو عبد الإله دائما والآلهة وجوهه ومثاله، هو عبد مطلق الله، من كان الناس عباده في ربوبيتهم وألوهيتهم بكسب أحواله.

عبد وأي عبد، به قُدِر الله حق قدره، وبه عُرِف الله حق معرفته، وبه عَرف الناس عن أنفسهم في الله، فعرفوا عن الله، إحاطة أنفسهم وقائم وقيوم حياتهم.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وعبد الله، ووجه الله، والحق من الله.

اللهم يا من جعلت من محمد آدما وخلقا.. اللهم يا من جعلت من محمد إنسانا وحقا.. اللهم يا من جعلت من محمد كلمة قائمة بك على كلمات تتواجد لك.. اللهم يا من جعلت في مشيئة الناس مشيئتك، وجعلت في رضاء الناس رضاءك، وبشرت برضوان أكبر، وبمشيئة أدرك، وبإرادة أقدر، وبقدرة أكبر، وبقيام أوسع لمن تابع محمدا، فكان عينه، وجلبابا له، ارتقى به إلى الأعلى، رفيقا يُنشد، وسماءً تقصد، وحقا يُطلب، وطورا يقوم، بدأه رسول الله يوم طلب - وهو الرفيق الأعلى لنا - الرفيق الأعلى له ليكون بجواره حتى يُخلي مكانه لمن أراده فكانه، تخلقا بأخلاق ربه خلقا لله وقانونا للفطرة، فيستخلفه الأعلى فيخلي له، وقد أراده فكانه، مجلسه ومكانه إلى أعلى، فأعلى، فيتابعه رفيقا له، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات الأعلى، أو الذات الأقدس، أو إلى الذات، فبالأعلى في

الأعلى يدرك الأدنى معنى الأعلى بقيام عين معناه يوم يدرك علميته على الأعلى لا تنقطع. وهذا هو المراد بالمقام المحمود يسفر به الرسول يوما لمن كانه.

اللهم يا من جعلت من محمد لنا حقا لمعانينا، وحياةً لمبانينا.. اللهم به فأحينا، وفيه فأحينا، حياة حياتنا، وبناء مبانينا، هو الأعلى، وهو الأدنى، في معانينا وفي مبانينا، وفي تدانينا ومراقينا، منا يتواجد بتدانيه لمبانيه، وبنا يتصاعد لعلي معانيه ومراقيه، علم لا إله إلا الله، وشعارها، وقائمها، وقيامها، وقيومها، إنسان الله، وعبد الله، وربا للعالمين رحمة بالعالمين من الرحمن الرحيم.

اللهم اجعلنا في إنسانه، من إنسانه، لإنسانه، عباد عبوديته، وحقائق حقيته، ومراقي رقيه، ومشاهد طلعته، ووجوه حضرته، وأهل عليائه، في قائم جنته أوادم جدته في عوالم خليقتك لحقيقته.

اللهم به فارحمنا.. اللهم به فاسترنا.. اللهم به فوفقنا.. اللهم به فيسر أمورنا.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا ردا لأعمالنا علينا.. اللهم به فاكشف حجاب الغفلة عنا.. اللهم به فاكشف الظلمة عن أنفسنا وعن أرضنا، وعن قيامنا.. اللهم به فأنزل السكينة على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا.. اللهم به فألف بين القلوب.. اللهم به فاغفر هذا الركام من الذنوب.. اللهم به فاستر منا العيوب.. اللهم به فارزقنا.. اللهم به فاحكم أمرنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

(من حكم القوم من المسلمين):

قل للورى فلينتهوا عن قولهم أنا أنت هو

ما ثم إلا واحد منه له المتوجه

فهو المشبه والمنزه شبهوا أو نزهوا.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة هود - ١١٠ , سورة يونس - ١٩ , سورة فصلت - ٤٥

٢ سورة النحل - ١

٣ سورة الأنعام - ١١٥

٤ سورة الرعد - ٤١

٥ سورة الشرح - ٢-٣

٦ سورة الجمعة - ١١

٧ سورة سبأ- ٤٩

٨ استلهاما من {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله} سورة آل عمران - ٦٤

٩ من الحديث الشريف "استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك." أخرجه أحمد بن حنبل والدارمي.

١٠ سورة القيامة -١٤

١١ سورة النحل - ١٢٨

١٢ سورة الانعام - ١٠٣

١٣ سورة يس - ١٢

١٤ سورة الكهف - ١

(٥)

{ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه} زويت له الأرض وجعلت له مسجدا وطهورا اللهم برحمتك فاكشف عنا الغطاء لنرانا فيه

حديث الجمعة

١ شوال ١٣٨٣ هـ - ١٤ فبراير ١٩٦٤ م

{ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه}[١].

ربنا.. علمنا، وأدركنا، وعرفنا، وآمنا أن رسول فطرتك.. وحوض رحمتك.. وعبد عظمتك.. وجيئة حقك.. وسر خلقك.. وباطن أمرك.. وظاهر سرك.. وحديث جهرك.. ولسان حكمتك.. وكتاب علمك.. وبيت قبلتك.. ونُصب شعارك.. وجنة دارك.. ونار عدلك.. وعوالم خلقك.. ورب عوالمك.. وحق ناسوتك.. ووجه لاهوتك.. ومظهر ملكوتك.. كان هو نبأ أيامك عن يوم لك لا ريب فيه.

بأيامك لآحادك (يوم لا ريب فيه). جعلته بينهم لنا ولهم (يوم الجمعة)، يوم ينادي منادي الحجيج للاجتماع بأيامه له ليوم لك.. يوم يؤذن مؤذن الصلاة للإقامة بالاتباع {ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه}، {إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}[٢]، إلا آتي عبدا للرحمن، إلا آتي الرحمن (يوما لا ريب فيه).

برحمتك بنا جعلته باطن قيامنا، يظهر في قيامنا حقا ورسولا وعبدا لا عوج له، ولا ريب فيه. رحمة للعالمين أبداه مولاه يوم جعله في العالمين اسما له وعبدا بمعناه، جاء به الحق لمعناهم رسولا من أنفسهم عالَمين بمبناهم، رسولا من أنفسهم بدأ، ومنه بدأهم. بدأهم منه أرواحا، وبدأه منهم أشباحا، فكان جماع أرواحهم روحا جامعا، على ما هم جماع أشباحه هو روح الحياة لهم. أول حقهم وخلقهم، حقا ومظهرا لأول العابدين له به فيه، (يوم لا ريب فيه).

رسول الله (يوم لا ريب فيه)، به جاء الحق للعيان ولليقين علم الحق للموقنين.. وقِبلة الله للمتقين.. وبيت الله للمسعَدين.. ومطاف الله للطالبين.. وعين الله للمبصرين.. ووجه الله للناظرين.. ويد الله للمبايعين.. وقريب الله للمجابين.. ونور الله للحائرين.. ونعمة الله للمفتقرين.. وحق الله للمتخلقين.

إنه يوم الدين.. ولولا كلمة سبقت من ربه لقضي في أمر العالمين. ما أبرزه الله للأشقياء التعسين إلا رحمة للعالمين، فما أشقاه بينهم بهم إلا ليذكر المتذكرين، إن نفعت الذكرى في عالم الشقاء نفعت المختبرين في عالم الأرض بالصدع والابتلاء، المبتدئين مرة وأخرى في عالم الألواح بجديد من موالد الأشباح، القارئين لأنفسهم في عالم الأشباح والألواح لإدراك النقيض لها ينتظرهم لعالم الأرواح، المتبصرين لما في السماء الدنيا، الراجين لما في سماوات الله العليا، النابتين كلمات طيبة في مهدها بالطيبين أصولها ثابتة للعارفين وفروعها في السماء متصاعدة، للمتجددين المبدلين تؤتى أُكلها كل حين بإذن ربها بالخبراء من عباد الرحمن الموحدين، سرمد الرسالة للمتشرعين، ودائم الطريق للسالكين.

{ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه}[٣].. في دورة الزمان.. في سرمدية الدهر.. في دورة الأمر خلقة الزمان والعصر.. في دوحة الإنسان.. في جنة العنوان.. في دار الرضوان بالإنسان للإنسان.. تبدأه الفطرة من أرض الطغيان والبهتان، تنشق عنه الأرض ببنيان، ذاتا لإحسان، عَلَما على من تنشق عنه السماء كتابا وعنوانا، تدانيا ووجدانا، فيلتقي فيه شديد القوى مع شديد الافتقار، فتتواجد العزة لعزيز الدار، فيخفض جناح الذل من الرحمة للادكار، ويبسط جناح العزة في خفاء للاعتبار، ويكشف للناس أنهم بين يدي رحمته، بين يدي رحمة الله، يذكر الله وحده أمرًا قد قُدِر، مذكرا، مبشرا، منذرا، محذرا.

يعلم أن له عقبى الدار على ما كان له من أمر عند بدء الدار، وعلى ما لربه بقائم الدار، فهو بدء العَمار، وهو مراقي المعمار. يسفر سيد الدار يوم تُبَدّل الأرض غير الأرض، يوم يُبرزها جنة قيام، وجنة مزار.

هو الفطرة.. هو عين الفطرة.. هو عودة الفطرة.. هو دورة الفطرة.. هو واحدية الكثرة.. هو عِلم اليقين.. هو عَلَم العبرة، جُعل لطالب الحق عبرة وفكرة.. هو الأسوة والقدوة والكائن والقدرة، جُعل من مظهره لظاهر الناس بداية الناس لمعاني ومعارج الإنسان، وجعل من مخبره لنهاية الناس رجاء الناس، وبشرى الناس، ومآل الناس، يوم هم به يتواجدون لأمر أنفسهم ناسوتا عبدًا للاهوت، يوم يتواجدون به آدم بنيان، مظهرا لإنسان إحسان، به عُرف الله، وبه قُدِر الله، وبه كان الإيمان به إيمانا بالله، وبدائم رسول الله. سبحان الله، وتعالى الله، {ربنا إنك جامع الناس، ليوم لا ريب فيه}[٤].

أبرزه الله يوما وليلة، ويوما وليلة، دواليك في مدار الزمان. كما أبرزه ليلة ويوم، وليلة ويوم كذلك. وها نحن يقع علينا القول فنستقبل إدبار ليل لفجر يوم جديد بعيد الفطر، بعودة الفطرة للسفور بمن عرفناه محمدا اسما، وما احتفظنا به في الناس أو في أنفسنا، لا معنى ولا رسما، وما آمناه للناس كوثرا، وما قَدَّرناه في الساجدين جوهرا، وما استخبرناه في الخبيرين خبرا، ولا تابعناه في العالمِين عَلَما، ولا في المعلمين كتابا ومِنةً وأثرا، ولا في المشرقين به لله نورا، ولنور الله نُصبا، ولحق الله ساحة وحضرة وشمسا وأرضا وقمرا.

ها نحن يقع علينا القول مرة أخرى، برسول من أنفسنا تواجد بيننا عجيبا، وعِيد إلينا غريبا، عندما طلبته في يومه قائما قلوب تنشد الحق، وقد ظهر الحق بفجره من ليله بيوم لقبله قلوب لباها فعرفته، قلوب أحبته فأمسكت به لظاهر الحق حجابا، وسألته عن الله ورسوله في الناس عشقته معرفةً، قربا من الله ورسوله آمنته، فرفعت أغطية المظاهر، وتكشف الحق بجوهر ظاهر، وقد لبى الله ورسوله لا يفرق بينهما فارق النداء، وحقق الله لطالبه الرجاء، فظهر الأب السريع مجيبا لأهل الدعاء، وهو الكل الملبي للجزء منه بأهل النداء، أولى بالمؤمنين من أنفسهم ظلاله من أزواجه، لأحدية أمره عَلَم الأحد وحقه في خدمة المؤمنين والأبناء - ظهر العبد وربه لطالبيهم فقام الطالب بالمطلوب، وعُرف به ظاهرا هو لهما له باطنا الحق المرغوب.

يقوم ويتقلب في الساجدين عبادا للرحمن، وأبوابا لحضرته، ونوافذ لإشراقه بطلعته، وأحواضا للحياة برحمته، وسفن للنجاة بشرعته، والطريق السوي باستقامته. {ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه}[٥]. ربنا لا تناسانا في هذه الكرة، ولا تدعنا نتخلف هذه المرة، ربنا عليه فاجمعنا، ومدخل صدق فيه فألحقنا.

ها نحن نطأطئ الرؤوس لبيت قبلتنا، وواقع شريعتنا، بدورة رسالتنا.. ها نحن ندخل الباب سُجَّدا.. ها نحن نعرف مواضعنا عند أقدامه، ونعرف افتقارنا وحاجتنا لقسمه من يد إحسانه، نؤمن به إيمانا بالله ورسوله، لا شريك في الأمر لله ورسوله، نعرفه رسول الله، ونؤمنه وجه الله، ونستقبله يد الله، وننتظره قرب الله، ونتواصى به حق الله، ونسعد به وجها من وجه الله.

محمد.. عيد.. غريب. محمد في الأولين، ومحمد في الآخرين. نسي اسمه يوم ظهر في العالمين، وقد سقطت قيمة الأسماء عند الراشدين، وتجاهل وضعه يوم نزل للوضيعين، وأنكر على نفسه عين الحق للعالمين يوم ظهر في الأمة الوسط للحق والدين، ولم يُبَئِّس أو ييأس من كسب الحق للهاوين.

بَشر بالأعلى.. بشر بالرفيق الأعلى من المرسلين، وهو جماع الرسل للعارفين، وهو رسالة الله للمكبرين، هو الله أكبر للعالمين، وهو لا إله إلا الله للمؤمنين، وهو سفن الخلاص للعاملين، الداعين، المجاهدين. وهو الجزاء والعطاء للمؤثرين، المضحين، الأصفياء، الصافين، يقوم ويتقلب في الساجدين.

إنه بين العالين، وإنه إلى الهاوين، وإنه في القائمين، جعلت به حضرة الأرض وسطا بين العالين والسافلين من العالمين. وما اتصف العالون بالعالين إلا عليها قائمين بكسب معناها لعين معناهم بادئين، به مرتقين. وما سُمي السافلون بالسافلين إلا لأنهم دونها لفقدان معناها منها هاوين. وما سميت حضرة للحق للموحدين إلا بالحق به في المتواجدين، ليتواجدوا بمعناه متحققين. شجرة الإنسان طيبة به أصلها ثابت وفرعها في السماء متصاعد، تؤتي أكلها كل حين.

إن الأرض بسماواتها وبسفلها وحدة إنسان، أو وحدة نفس لإنسان، قيام أحد بعنوان، اسما لله بالإيمان. استوى على عرشها علم الإحسان، ووجه الرحمن، وسر الإنسان، وباطن العنوان لظاهر القيام والكيان، {مالك الملك تؤتي الملك من تشاء}[٦]. تأملوه يوم قال بظاهره لرجل من أصحابه صحا به، (تحشر على يدي هذه إلى الجنة يوم القيامة)[٧]، يوم تستكمل نموك فيَّ معي. وتأملوه يوم قال (أعلمني الله في موقفي هذا، في دورتي هذه، في قيامتي لكم بالحق، ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة)[٨]، يشير إلى أنه أحدية بمعناه لها أطرافها من الخلق والحق. تأملوا قول الله له، وهو إلينا يوجه القول وهو يقول {قل جاء الحق وزهق الباطل}[٩]، وقوله {أولم يروا أنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}[١٠]، {أرأيت الذي يكذب بالدين}[١١]، {فذلك الذي يدع اليتيم}[١٢]، الذي يدعك أو يدع كوثر ذاتك، يتيما مُآوىً دائما، أنت اليتيم المُآوى، بلا عَد وبلا حد، أما السائل فلا تنهر، وأما اليتيم فلا تقهر.

وقد أظهرك على الدين كله، خاطب الناس على قدر عقولهم، واخفض لهم جناح الذل من الرحمة، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه}[١٣]، فأنت وجهه لهم حتى تُرفع الغشاوة عن أبصارهم، ولا تعدو عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا من الناس، ملكتهم دنياهم عبادا لها.

إن الله جامع الناس عليك يوما لا ريب فيه في دوام، وقد جعل في الاجتماع عليك الدين والعلم والحياة، وأنه مُظهرك يوما بالمحمود عندهم {يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا}[١٤]، يعرفونك اليوم لا ريب فيه، اصبر وما صبرك إلا بالله، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا عندهم، فما عرفوا ربهم إلا بعزته، وقد أنكروه عليك وجها له برحمته، وقد جعلك الله رحمة للعالمين بوجوهه بآياته لمعناك ليشهدوك يوما، وقد جعلك لهم يوما لا ريب فيه، يوم تنشق الأرض عنك، ويخرج الله لهم دابة من الأرض تكلمهم، أن الناس كانوا بآياته منهم لهم لا يوقنون.

{فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى}[١٠]، لا نسألك رزقا من عباد فأنا الغني عن العالمين، ولو شئت لهديتهم أجمعين، ولكن أرزقك ظلالا لك وعبادا لي لعين عبوديتك، فاصبر وما صبرك إلا بالله وسأعينك على الصبر فلا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون، إنما يريد الله ليذهب الرجس عن أهلك ويطهرهم تطهيرا، وقد جعلك لهم بيتا موضوعا يذكر فيه اسمه بجمعهم عليك، يوما لا ريب فيه يتحقق لك بهم ظلالا لك، ولهم بك عقبى الدار، ولله بهم أسماءً له عقبى الدار، ولعباد الله سادةً وعبادا لهم عقبى الدار، وجوه الله لوجهك ناظرة، ومنك منظورة، وجوه ناضرة لربها ناظرة.

يسفر ذلك للمؤمنين يوم يكون أمر الله أمرك. أرسلناك أمر الله ولم نجعل فيك عجلة الإنسان. وجعلنا لك بالرفيق الأعلى في رسالتنا استواء، وجعلناك وإياه سواء، قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، قل إني ومن اتبعني صراط ربي المستقيم، قل إن ربي لعلى صراط مستقيم، قل إن الرفيق الأعلى لي والأعلى له على صراط مستقيم، قل ها أنا أظهره صراطا مستقيما إلى أبد وهو لي ظاهر الصراط المستقيم إلى أزل.

اسألوني ما شئتم، فإن سألتموني عن ربي أجبتكم، وإن سألتموني عني كنتكم، فلا فرق بيني وبينكم، اتبعوني يرحمكم ربي كما هو راحمي، وكما رحمني، وكما سوف يرحمني، فإني بافتقار لرحمته كنت، وفي افتقار لرحمته ها أنذا كائن، ولن أتخلى عن معاني الافتقار لرحمته مهما أعطيت ومهما كسبت.

فمهما تكاثرت، ومهما تجددت، ومهما في الناس امتددت أعلمه لا إله إلا هو، وأشهده لا إله إلا هو، وأقومه لا إله إلا هو، وأدعو إليه لا إله إلا هو، وأدل عليه لا إله إلا هو، وأُعلمه لا إله إلا هو، وأقومه بقيامي لا إله إلا هو، وأنزهه لا إله إلا هو.

لا إله إلا هو شعاري، ورسول الله شعاركم، وفي شعاري مَنْ يكون محمد، وفي شعاركم من تكونوا أنتم.

لقد بُعث الرسول بالحق، وغاب عن وصف الخلق، وقام بوجه الخالق روح قدس الله، ورسول الله، وعبد الله. عبد الله وأي عبد.. ورسول الله وأي رسول.. روح الله وأي روح.. رب الناس وأي رب.. ورب العالمين وأي عالم للعالمين.. إنه الحق من الله لطالبي الحق.. إنه الصدق يوم يصدق الصادق مع الله في طلب الله.. إنه الوفاء يوم يُوفى الإنسان في الله.. إنه تلبية النداء يوم يدعو الإنسان ربه فيجيبه إليه.. إنه الإنسان يوم يتجاوز الآدم ظاهر مبناه إلى باطن معناه.. إنه اسم الله لذات الله.. إنه روح الله لقدس الله. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

إلى رسول الله.. إلى عبد الله.. إلى ابن عبد الله.. إلى إنسان الله.. إلى عبد الإنسان في الله.. إلى إنسان وجه الله للإنسان.. إلى يد الله، وصفات وجوارح إنسان الله.. إلى عَلَم الله، وشعار الأقدس لأعلام الله.. إلى الأقدس لأعلامنا، أعلاما لله.. إلى الوجود.. إلى مظهر الوجود.. إلى سيد الوجود.. إلى وجه الوجود.. إلى يد الوجود والجود مبسوطة.. إلى رسول الله نلجأ، ونجأر، وندعو، ونفتقر، ونطلب، ونصل، ونصلي، لنتواجد بدائم موجوده لتواجده حتى نحيا بكسب دائم الحياة فيه، ودائم الحياة له.

به نتوسل إلى الأعلى في معارج الله، وبه نستعين عزة الله وعزة الأعز للرفيق الأعلى في رسول الله، أن يولي أمورنا خيارنا، وأن لا يولي أمورنا شرارنا ردا لأعمالنا علينا. وبه نسأل الله أن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يستغفر عنا إلى الرفيق الأعلى لمعناه حتى يرضى، {ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما}[١٦].

ها نحن في ساحة مَن عَاد غريبا بيننا، محمدًا لنا، فما عرفناه بنا إلا بالأسماء لنا روح إرشادنا، روح القدس لعوالمنا، روح القدس لأرضنا، روح الأرواح لسماء عوالمنا، وسماوات مراجعنا، ومعالمنا، الروح المرشد لنا بعلمه عليه لمعناه، روح قدس الله، كما عُرف قديما بمحمده، قد عِيد غريبا بيننا على ما شَرُف، وما عرف، به نتوسل على ما أمرنا ونتابع على ما هُدينا.

لقد قَدَّر الناس لمحمد أمره فيهم بمقياس أنفسهم، أنه كلما غاب علا، وأنه كلما أعطى استعلى، ولم يدركوا أنه كلما غاب بنى، وكلما أعطى تواضع بيننا. رُب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره، قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وكيفما تكونوا يولَ عليكم.

إن الأشعث الأغبر تحت الأقدام، إنما هو السيد المالك فوق الهام، تيجان الملوك عند نعليه، وقلوب العباد بين أصبعيه. ما ظهر إلا بجناح الذل من شامل معناه ليرث الأرض ومن عليها بذاته ومبناه، {يوم لا ريب فيه}، عبدًا وعبادا للرحمن في معناه.

ما عرف صدر الإسلام رسول الله، إلا حاكما، إلا أميرا، إلا آمرا، إلا أمير قرية، أو أمير قريتين، أو أمير بلقع من صحراء، وهو الذي بدأ بينهم مثالا لهم يحتذوه من القاع. بدأ بينهم من تحت الثرى مغمورا، انشقت عنه الأرض وعمل عليها حتى صار عَلَمًا مذكورا. انشقت عنه عين انشقاقها عنهم، وقام بينهم رسولا منهم فما عرفوه، هل هبط عليهم من السماء في أمسه أم أن السماء هبطت عليه، وها هو يعود غريبا فلا يقدروه، ويظهر أبا سريعا من أنفسهم فلا يستنجدوه، وتجتمع فيه الأرض والسماء عَلَمًا وحجابا فلا يستقبلوه.

وهم ما زالوا يتحدثون عن الله، وعن رسول الله، وعن رسالة الله، ويتبعون كل شيطان مريد باسم الله ورسوله، فإنهم لا يعرفون الحق حتى يعرفوا أهله، ولا ينظرهم الحق فيحسون بالحق يوم يتخلل أنفسهم بروحه ونوره. وكيف يتخلل أنفسهم، وأنفسهم مزورة عن الحق، وهو الغني عن العالمين؟ فليربحوا كرتهم، أو ليخسروا كرتهم كما يشاءون، فإن الله معهم يخسروه وإن الله معهم يربحوه، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فهكذا أراد من كانت إرادته لا تعصى ولا تخالف، ولا ترد.

إنه الهادي للسبيل يوم تكفر النفس، وإنه الهادي للسبيل يوم تؤمن النفس، هدى السبيل شاكرا وكفورا. عَلَّمنا ذلك كله مَن عَلِمَ ذلك كله ومثله معه، أُعطي الكتاب لأمته يتلوه فيهم على مكث له بينهم، ومثله معه لحقيقته في دوام تجمعهم.

نسأل الأعلى فيه أن يرحمنا به، ونسأل الأعلى عليه أن يحقق له في دوام إرادته بالرحمة لنا، ونسأل الأدنى فيه أن يصلي عليه بنا، {إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}[١٧].

تذكروه في أوقاتكم، وفي أنفاسكم، وفي كل وقت وحين، وكلما عِيدت فطرة بعيد الفطرة. وكل عام وفي دوام وأنتم بخيره آمنين، وأنتم بخيره سالمين، وأنتم بخيره مسلمين.

أضواء على الطريق

عن المرشد الحكيم السيد الروح (سلفربرش)

(ما زلتم تفكرون بلغة الأجسام المادية. إنكم لا تفكرون بلغة الأرواح التي تعبر عن نفسها خلال الأجسام المادية. الجسم عرضي والروح أبدية. يجب أن تركزوا جهودكم في الروح، لأنه إذا ما علمتم الروح وأعددتموها فإنها سوف تظهر خلال الجسم ومن تلقاء ذاتها ما هو صواب وصالح وضروري.

إني أعلم أن هذا كله شيء يسير جدا، وسبق أن قيل لكم ولكنه يجب أن يقال ثانية وثالثة لأهميته وخطره في حياتكم. إذا كان الثأر هو دفة القيادة اقتلعت العاطفة الجامحة المنطق المستقيم من الناس، وماتت الحكمة.

أنتم تعيشون في عالم مادي، وبذا تصبحون منهمكين في الأمور المادية. وهي مهما كانت مُرَّة وصعبة، مهما كانت شاقة ومتعبة، مهما كانت مرهقة ومظلمة، فهي ظلال الحقيقة الخالدة هي ظلال الروح.

أُريد منكم جميعا أن ترددوا دائما نغمة الثقة الهادئة، وأن تتمسكوا بما لديكم من معرفة. تأكدوا أن الضوء يسطع خلال الظلام، أن أشعته سوف تحيط بعالمكم. وإن الظلام لا ينكشف للغارق فيه. ويراه على حقيقته من خرج منه إلى النور).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة آل عمران - ٩

٢ سورة مريم - ٩٣

٣ سورة آل عمران - ٩

٤ سورة آل عمران - ٩

٥ سورة آل عمران - ٩

٦ سورة آل عمران - ٢٦

٧ من حديث شريف ذات صلة: "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته في الدنيا، إلا أنا فإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، وإنها نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً." صحيح البخاري.

٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٩ سورة الإسراء - ٨١

١٠ سورة الرعد - ٤١

١١ سورة الماعون - ١

١٢ سورة الماعون -٢

١٣ سورة الكهف - ٢٨

١٤ سورة طه - ١٠٨

١٥ سورة الأعلى - ٩:١١

١٦ سورة النساء - ٦٤

١٧ سورة الأحزاب - ٥٦

(٦)

من عَرَف فيه قبلتَه
واجتمع به أحدٌ صحبتَه
واستقام له بيته فطرتَه
وقام لجمعه وأبعاضه شرعتَه
وبعث بهواه حقيقته
كان وجها للهو واسما ونُصبا لاللاهو
مركز دائرته وحجر زاويته

حديث الجمعة

١٥ شوال ١٣٨٣ هـ - ٢٨ فبراير ١٩٦٤ م

لا إله إلا الله، نِعمّا هو.

برحمته نقوم، ومنها نستعين، وعليها نتوكل، ولمرضاتها نعمل، وبها فيها نحيا، وبدائمها نُبعث، حياة قيامتنا، وحي قيومنا، وجوه قيامه، وأعلام سلامه.

جاء الحق بجيئة رسوله الحق. وقام الحق بقيام عبده الحق. وتجدد البيان كلما تجدد الإنسان، طبقا فوق طبق يرفع، وطبقا بعد طبق يوضع. فقامت لا إله إلا الله. وتعارفت وعُرفت بقيام عبد الله خلقا يحدث وحقا يبعث، فكانت لا إله إلا الله كتاب الله، وشرعة الله، وعَلَم الله، ببعث عبد الله بحق الله لخلق الله.

حجر الزاوية شهدناه، وحجر الزاوية علمناه، وحجر الزاوية قرأناه، وحجر الزاوية آمناه، فبه ظلالا له آمنَّاه، وبالأمان تابعناه، فأيقناه حجر الزاوية للزمن، بين الأزل اعتقدناه، والأبد طلبناه، في القيام استقمناه،

وحجر الزاوية للإطلاق والتقييد شهدناه، وبمتابعته قمناه وتقلبناه، وفي مرتقانا بمرتقاه جمعناه واجتمعناه، وافترقناه، وتعددناه، وتكاثرناه.

بُعث بالسلام لمن طلب السلم مع الله بالسلم معه، وقام بالأمان من الله لمن دخل في الإيمان به إيمانا بالله ورسوله إيمانا بالرب وعبده.. إيمانا بالخالق وخلقه.. إيمانا باسم الله بباطنه وظاهره.. إيمانا بالله قيومه وقائمه.. إيمانا بالوجود مظهرا للموجد وذاتا وقياما للموجود.. إيمانا بواجب الوجود عند كل موجود، بما يستوجب وجودَه لوجوده.

انتظرته البشرية موعودا ببدء خليقتها لجديد خلقتها، وببدء خلقها لبدء حقها.. انتظرته البشرية نبات الأرض وحيوانها، وبهيمة الأنعام وبشرية الأنعام، رسولا من أنفسهم لكمال خلقها، وبعثها بحقها لكمال عنوانها لمن عنونت بحبها ووجدانها. وعرفت لحكمتها وبيانها بنعمة الله عليها، يعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم على مكث بينهم، ومرجو حال لهم، لتحقيق مآلها بخلقها إلى مآلها لحقها. خلقها مبدعها لنفسه وخلق لها كل شيء، خلقه بها ومنها ومن أجلها.

انتظرته البشرية فكان المنتظر، وطلبته فكان المطلوب وسعادة الطلب. انتظرته وفي دوام تنتظره فهو في دوام المنتظر للفرد والجمع. إنه الحياة والأمل. عرفته المهدي وآمنت بالرفيق الأعلى له الهادي، فكان إلى الأعلى وسيلتها، فطلبت من الأعلى به أن تهتدي، يقوم ويتقلب في الساجدين أزلا وأبدا وسرمدا، ويظهر برسالته لله كلمة تبدأ، وكلمة تتم، في ثلة من الأولين، وثلة من الآخرين، وهو عن القيام لا يغيب بين بدء وتمام في القائمين بعباد للرحمن على الأرض يمشون، وفي هوان من الناس يُعَامَلون، وبمظاهر الضعف من رحمته يظهرون ويتعاملون، يتعاملون مع الناس معاملة مع ربهم ربا للعالمين، هم له الأيدي والوجه لرب الناس منه من الرحمن الرحيم رحمة منه بالآبقين، {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة}[1].

يظهر بهم الحق لطالبه، ويقوم بهم السبيل لطارقه، ويفتح بهم الباب لمن وقف أمام الأبواب، وانتظر رفع الحجاب ليكشف عن بصره العماء، ويكشف عن روحه الرداء، ويكشف عن عقله الغطاء، ويكشف عن نفسه بالغفران الابتلاء.

مصاحبه به وظلا له ذاتا لروح يستقبل من سبقٍ لقيامه الجزاء، فيعلم ما قدمت نفسه وما أخرت، فيرجع إلى الأعلى في نفسه هو في معيته، فيطلب الإنظار، ويطمع في الانتظار، فينظر ويؤجل، ويكشف له عما قدم وأخر، وسبق أن أساء فقدر، وهو برحمة الله مع من رافق وصاحب إلى الحق فيه عبر، وبهدي الله ذُكِّر فتذكر، وتأمل فادكر، فعقد العزم على أن يعمل ليحقق لنفسه ما أخر،

ويخرج إلى تدبير الله له عما سبق أن لنفسه بوعيه دَبَّر، فإذا ما أوتي الحكمة، وكشفها الخير الكثير، والعفو الوفير، والرحمة المغدقة، وأحواض الحياة المتدفقة، فمنها نهل، وبها استكمل، وطلب من الأعلى كمال إنسانه، ووعد إحسانه، بشرا مُبشَّرا لعَلَمِه وعنوانه، وقَدَرا مُقدَّرا بقدرته وعزته، فكتم أمره حتى بلغ رشده، وقد اختار جوار ربه، معتذرا عن السفور بحقه، يوم هو بالحق أُنزل.

وهو في القرب وفي الجوار لخير قومه طلب أن يعلم قومه ما غفر له ربه فترك له أمره فبالحق نزل، فبالحق نزل فبُعث في دنياه على سنة الله معه مغفورا بقديمه، وقام مغفورا مطمئنا بقائمه، وعمل جريئا في الحق مغفورا بدائمه، فقام عبد إحسانه ورسول إيمانه، وعنوان الأعلى لمعناه رفيقا أعلى لروحه، ونصبا ظاهرا بمبناه، آدم أوادم لمن يليه، وعبد إمامة لمن يرتضيه، وبيان قيام لمن تقوم صفاته فيه.

برسالة الذات نتكاثر آمناه، وبرسالة الروح تتجدد استقبلناه، وقد جعله الله رحمته للعالمين، أول بيت يوضع عنون به أول بيت رفع، ولم يُجعل منه آخر بيت يرفع، فكم رفعت من قبله بيوت استكملت معانيها بعيدا عن الأرض، ذكر فيها اسم الأعلى فيها، ورحمة للعالمين كم توضع من خلاله بيوت مرفوعة لتكون من خلاله بيوتا موضوعة، تخلفه ويستخلفها فيبرزه القديم الأزلي، قديما للقائم، وقياما وبعثا للأبدي الدائم، كتاب علمه، وطريق استقامته، وإنسان لقائه، فهو إنسان الأمر الوسط بين الأزل والأبد الإنساني في الله لله.

يصطفي الله به من بعده من يصطفيه لعينه ومعناه، دواما لبيانه، وتجديدا لبنيانه، ومثاليةً لعنوانه، بعثا بما بُعث به من الحق، لعنوانه رحمة مهداة لطالبي الحقائق، وبدءا للحق للمجاهدين والمتابعين بعلمهم وباستقامتهم لكسب ما لهم من الحق في أنفسهم لأنفسهم، وقتل ما بهم من الباطل لها بإحياء قلوبهم، وتحرير عقولهم، وإطلاق أرواحهم، وإحياء أشباحهم، وتطوير ذواتهم من معدومها إلى الأبقى لها، طلبا للباقي بها، والقائم عليها، والمحيط من ورائها، من أبرزها في حال استقامتها في قائم قيامها، وجها له، وجها يَنظُر، ووجها يُنظَر لوجه يقوم به التجلي والنظر.

فمن يكون الأمر المنتظر؟ ما كان إلا من عُرف ونُظر، وذَكَر فذُكِر، وجاء به الحق ذكرًا محدثا لقديمه ذكرا أسبق من أقدم بمعناه إلى أزل، فكان حقيقةً حجر الزاوية في طريق الله، نقطة فيها يلتقي خط الحق الأزلي مع خط الخلق الأبدي، نقطة يتقاطع الخطان عندها بيتا لحق متصل إلى أزل، وخلق متواصل إلى أبد. مجمع البحرين ومحل الأمرين.

إن الرسول.. إن عبد الله بقلبه وبقالبه، وبرأسه ووجهه، وبجوارحه وخلاياه ودمه، جماع هيكل ونصب به قام الحق على ما كان في قديم به، وبه يقوم الحق في كل قيام به، ولكل قائم به، وبه يُنتظر

الحق لينظر في كل تواجد ببدء له، أو تواجد ببدء منه. إن للقلب عبادة.. وللقالب عبادة.. وللرأس عبادة.. وللذات بكلها عبادة.. ولمفردات الجوارح عبادة.. يتعبد ويتهيأ بها القلب والهيكل، وملحقاتهما للأعلى من الحق، وللأقوم من الخلق، قياما وظهورا، وبعثا بين فرق وجمع.

لو أوتينا الحكمة لعرفنا أن العابد من قيام المعبود، اسما، وذاتا، وصبغة، وأوصافا، واتصافا. فالمخلوق هو ظهور الخالق، والوجود علم على الموجد. فالقلب العابد له قلب معبود.. والعقل العابد له عقل معبود.. والقالب العابد له قالب معبود.. والذات المجتمع عابدًا له ذات مجتمع في وصف المعبود. وما عبادة العابد للمعبود إلا طلب الغذاء بالحياة لمعنى وبنيان العبد فيه والعبد له من موائد المعبود عنده. فعبادة العقل طلب نمو الوعي، ومزيد الكشف من العلم عن المعلم الذي هو أكثر عقلا، وأوسع معرفة وعلما. وعبادة القلب بامتداد الذكر قياما بالمذكور بوصف الأعلى. وعبادة القالب الاستقامة لقانون الفطرة طلبًا للقيام الأقدس شهودا ووجودا. وعبادة الهيكل مجتمعا الإيمان بواجب الوجود، وكماله وصوله للعرفان للأعلى بقائم العلم عنه فيه، واستقامته في رحمته للأدنى بقائمه، قائما بالقيوم عليه قيوما به، وبرحمته رحمة مضافة للقيوم عليه، على ما قام عليه من عَلِيّه قام.

لقد جاء رسول الله وعبد الله.. وحق الله.. ووجه الله.. ولسان الله.. وعين الله.. وأُذن الله.. ويد الله.. رحمة للعالمين بهذا كله رسولا به بعرفانه لقيامه.. جاء به إلى مرسل إليهم بُشِّروا به فطلبوه لأنفسهم ليكونوا بمبانيهم له عنوانا، وتكون معانيهم به له ظلالا. وهذا مراد الله به للناس رحمة. وما أرسلناك إلا كافة للناس، وما أرسلناك إلا لتكون مثالا مرضيا، محمودًا، محمدًا، أحمدًا من كل مثال لكل الناس، يرتضونه لأنفسهم فيعطونه رحمة مهداة ما لأنفسهم قبلوه وبحقه عاملوه.

إن محمدا العربي.. إن الوجه العربي لرسول الله، لا وطن له، ولا قومية له، ولا أرض له، ولا سماء له. إن الكتاب العربي.. إن الإنسان العربي الذي جُعل مثالا وقدوة لكافة الناس لم يكن بذاته المعلومة ونُصبه المقام خلقا بين الخلق ليتحدث إلى كافة الناس. فالمراد بتعميمه رسولا متحدثا أن يتحدث بمعناه، بظلاله لمعناه في قيامه الدائم قياما للناس، قبضة نور الله به لمعاني الحياة لهم، مبعوثا على رأس القرون في قرن كل نفس في لمحات الزمان.

كان وما زال نورا يسري في الناس فيقومهم، ناحرا ظلامهم، محييا قيامهم، موقظا نيامهم، مجددا دثرهم، محررا ألبابهم، محييا قلوبهم، في كل أمة بمن صلح من أبنائها، وفي كل أمة بكل لسان انتهجته وتكلمته وتعارفته رسول الفطرة بدين الفطرة لقائم الفطرة، {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم}[٢]، وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، بلغة قومه، بقائم قومه، بعادات قومه، بخلق قومه، بقيام قومه، بطبيعة قومه، ليُعرِّفهم، ليبين لهم، ليتواصى معهم بالحق، ليتواصى معهم بالصبر. فنقل

الحكمة من لغة إلى لغة لا يكفي لقيام حجة الله به، فما كان محمد فردا، ولكن كان جمعا في فرده يوم قام فردا وجمعا بظاهره تعبيرا عن أمر الله به بباطنه، مزوية له الأرض لرسالته، وتعريفه مسجدا وطهورا.

فكان أمة بأمته بمن استقام منها أمة له. وكان إنسانية بأممه، ما تجمعت أمم على ما قام به من الحق مثالية الوجه الحق لله للكافة، ما حرصوا على أن يكونوا وجوها لله.

ما بين قريتين عمل، ذَكَّر فجُحد، فعن قومه جاحديه غاب غاضبا مسالما، ولطالبيه من الناس آوى معاهدا مناصرا مكالما، ثم رجع إلى جاحديه قويا قاهرا عادلا حانيا مسالما، فعرفوه حقا للرب وللأعلى مسلما، وعرفوهم لأنفسهم معه ظالميها فأسلموا له، فسالمهم وغفر، ونسي ماضيهم، وبقادم مغفور مرحوم وعد وذكَّر.

فماذا كان منهم؟ كان منهم ما كان مما عرفتم مع عترته وأهله، فرجع إليهم كلما رجع بما كان، رجع بما كان منه مع كل إمام جدد أمر دينه، وعادوا إلى ما كانوا فيه معه، فكان منه ما كان منه كلما انتصر، وكان منهم ما كان منهم، كلما تكنز أو ظهر.

فعلى ما عمل بين قريتين، وعلى ما عمل كلما جدد بذات رسالته هو يعمل اليوم في الاتصال الروحي بين سمائين، من السماء الدنيا سِفل العالين، وعالي سمائه وجوه العليين، فهكذا هو حجر الزاوية دائما، ورسول الغيب للشهادة دائما، وظاهر القيوم دائما، وقيوم القائم دائما، رسول الحق بالحق، وعبد الحق لحق الخلق، لا يعرفه إلا حق، ولا ينكره إلا باطل، ولا تشهده إلا حقيقة، ولا يحيط علما به إلا من كان في الله فانٍ، وبه قائم، وله مُذَّكر، وبه مُذكِّر.

اقترنت الشهادة بلا إله إلا إله بالشهادة له محمدا رسول الله. رُفع ووضع ذكره وبيته. رفع محمدًا، ورُدّ محمدا، وعلا محمدا، وذُكِر محمدا، وذَكَّر محمدا، وقام على من رضيه محمدا عبد الله، ورسول الله، وحق الله، وحجر الزاوية لمعارج الله كلما تلاقى قيوم بقائم، وكلما تعارف موقوت لدائم، وكلما تقارب أزلي لأبدي. به عرفنا الألوهية والربوبية والرسالة والعبودية معاني للوجود وصفات لكل موجود، فقدرنا الله حق قدره، وعرفنا الله اسما ومسمى ومعنى ووجودا وزمنا وظاهرا، وغيبا ومنزها ومشبها، وعَالِما ومُعَلما ومعلومًا، وموجودا ومتواجدا، وواسعا ومتسعا، ومحكما وحكيما، ومتعاليا ومدانيا، ولطيفا وذاتا. أظهره على الدين كله وأظهرنا به على الدين كله، وبه على ما تخلق من خلق الأعلى ظهر فبه رضي لنا الإسلام دينا، وأتم علينا نعمته ووعدنا نصره ما استنصرناه بنصرنا لكلمته بيننا.

اللهم به فأصلح أمرنا، أمرًا له، وأمرا لك.. اللهم به فارحمنا، وارحم بنا.. اللهم به فقومنا، وقوم أمورنا، وقوم بنا أمة له، وعبادا لك.. اللهم به فأصلح شأننا حكاما ومحكومين، قادة ومقودين، مجاهدين ومتابعين، معلمين ومتعلمين.

اللهم به فأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا. اللهم به فألف بيننا، وألف بين قلوبنا، وألف بين عقولنا، وألف بين نفوسنا، وابن بنا بناءً لبيت موضوع، مرفوع، نحن لبناته يذكر فيه اسمك.

لا إله غيرك ولا معبود سواك

أضواء على الطريق

{يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان}[٣]، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله}[٤] {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم...}[٥] .. (يقوم ويتقلب في الساجدين)[٦].. {إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}[٧].

والرسول يقول (أنا روح القدس)[٨].. (من رآني فقد رآني حقا)[٩]

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة النحل - ٦١

٢ سورة ابراهيم - ٤

٣ سورة الحجرات - ١٧

٤ سورة الحديد - ٢٨

٥ سورة الأحزاب - ٦

٦ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين} سورة الشعراء – ٢١٨، ٢١٩

٧ سورة يوسف - ٨٧

٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٩ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُني." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

(٧)

لا تطلب الحقيقة وجودا بعيدا عن وجودك
فلن تشهدها قياما بعيدا عن شهودك
كن لمن كانته فكانها تكنه وتكونها
لا إلى الله إلا الله

حديث الجمعة

٢٩ شوال ١٣٨٣ هـ - ٧ مارس ١٩٦٤ م

تصحيح التاريخ الهجري: ٢٣ شوال ١٣٨٣ هـ

سبحانك.. لا نحصي ثناءً عليك، كما أثنيت أنت على نفسك، تعالت ذاتك عن النوال، وعن المثال، وعن المَقامات والأحوال، سبحانك لا إله غيرك.

باسمك يقوم الوجود، وباسمك يقوم كل موجود، ومن اسمك يستمد كينونته كل كائن، ومن كائنك يستمد شيئيته كل شيء.

بك تقوم الحياة، وبالغفلة عنك تُفقد الحياة. بمرضاتك تكون النجاة، وبالغفلة عن رضائك يُعرف معنى الشقاء والبلاء والجزاء، لا إله غيرك.

منك تبدأ الأمور، وإليك تصير الأمور، يوم لا يفرط الإنسان في أمره بك فيعلمه أمرك به. منك يتواجد الوجود، وبك إليك فيك يتجدد ويتحقق الوجود، بموجود الإنسان له على موجود الإنسان منه في موجود الإنسان لك.

سبحانك.. لا إله غيرك، ولا موجود سواك.

الليل من خلقتك، والنور من رحمتك، والحياة من حقيقتك، والروح من أمرك، والأمر من إرادتك، والإرادة من وجوه طلعتك.

سبحانك.. لا إله غيرك، ولا معبود سواك.

إن أرسلت الليل سرمدا مَن غيرك يأتينا بنهار؟ وإن أرسلت النهار سرمدا من غيرك يأتينا بليل؟

أحطت ظلام الليل بنورك، وأحطت نور النهار بليلك. جعلت في الليل السكينة، وجعلت في النور العلم والمعرفة. وجعلت في الروح الحياة واليقين. وجعلت في الأمر الحكمة والطاعة. وجعلت في الوجه الطلعة والشفاعة.

يا من يملك ذلك كله، مما نعلم، ومما يصح أن نعلم، ومما يصح أنَّا لا نعلم، ومما لا نعلم، تعاليت فتنزهت، وتدانيت فتشبَّهت، وجعلت الإنسان عَلَما عليك في تنزيهك وتشبيهك، فهو المنزه والمشبه، وخصصته بالمعرفة عنك في المعرفة عنه عبدا وربا في تنزيهه وفي تشبيهه، لا معبود غيرك، ولا إله سواك، سبحانك، سبحانك، سبحانك.

جعلت الإيمان بك قرين الإيمان بالنفس، مقروءة معلومة.. ما هي، وما كانت، وما تكون، كتاب علمك، فأخطأ أهل النفوس وظنوا أن الإيمان بأنفسهم هو الإيمان بك، والاستجابة لها هي الاستجابة لك، {ويحذركم الله نفسه}[1]، ولقد جعلت معانيك لمعانيهم تعريفا عنك وتشريفا لهم تقوم وتعرف بالإنسان منك، يرسل إليهم ويدانيهم، يرسل منه ليكونوا أسماءً لك بإحسانهم، وجعلت الصلة بهم صلة به، والصلة به صلة بك، {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}[2]، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وابتغوا إليه الوسيلة، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض.

عَرَّفهم عن معانيه لمعانيهم، يوم يغيرون ما بأنفسهم مما عداه ليكونوا به لله أسماءه الحسنى، يوم يحسنون إلى أنفسهم بالصلاة صلة بينه وبينهم. {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[3]، وعَرَّفهم، وحذرهم نفسه لأنفسهم، وقد بدأها بهم في عزلتها بالابتلاء {ليبلوكم أيكم أحسن عملا}[4] قبل إقامة وصلتها بالاصطفاء والجزاء، {الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس}[5] وَبيَّن لهم الرسول أمرها (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[6].

يا من تواجد في الظلام، ابنا للظلام، واسما للظلام، ووجها للظلام، يغمر الظلام مشكاة صدرك، ويتكاثف فيغلف مصباح قلبك، ويطغى فيطفئ جذوة نورك، يا عبد الظلام، يا اسم الظلام، آمن بالظلام لنفسك، وآمن بالظلم لفعلك، وآمن بالانحراف لإرادتك، (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)[7]، {إن الإنسان لربه لكنود}[8]، فكيف تطلب معناك به لرسمِك؟ وكيف تزعمك لله بكسمك، وأنت لم تغير ما بنفسك؟

نعم إن الله معك، وهو أقرب إليك من حبل الوريد. إنه معك يراك ويسمعك. إنه بلطيفه بين جوانحك.. إنه عليك يرعاك، إنه من تحتك يحملك بما كرمك لفوقيته على تحتيته وليد قدرته، (يقوم

ويتقلب في الساجدين)[٩]، (واخفض لهم جناح الذل من الرحمة)[١٠]، يرعاك برحمة فوقيته، ويتخللك بقويم إرادته، ويُعلمك بما فيك، وبما بين يديك من حكمته، ويحملك على يد رحمته. لا تطلبه - وهو الحق لك - معنىً بعيدا عن معناك، ولا تعرفه نفسًا في غير نفسك، فلا سكينة في غير ليلك. تخلق في خلقه هي لك ما تابعته مع من أخرج الله لك من أنفسكم من وجوهه بأخلاقه وصفاته بأئمتكم من رسله وظلال رسوله.

إن للظلام استقامة تجعل منه ليلا، كما أن للنور استقامة تجعل منه نهارا، فليس الشرف والتفاوت في الطبيعة للجلباب من النور، أو من الظلام، أو من النار، فالإنسان لجلبابه يجمع ذلك كله، {في أي صورة ما شاء ركبك}[١١]، ولكن الشرف والتفاوت في العلم، في المعرفة، في الحكمة، وهذه سر القدرة، والكسب لها، في العمل عند من كسبها مع من كسبها وأكسبها، لمن عرف، ولمن أحكم، رسولا من أنفسهم بعوالم الظلام أو لعوالم النور والنار.

إن بدء من بدأ للتخلق بخلق الله معلومة له بإنسانها وهو في الظلام، تخلق باسم الله النور فيه، ومازال بظلامه هيكلا لنوره. إنا أنزلناه في ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها، بإذن ربهم من كل أمر. أُنشد واطلب ربك رفيقا أعلى، واعبد واستقم للانهائي، واحكم أمرك بما جاءك من الحكمة مع ما دَرَّاك ما ليلة القدر، {إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا}[١٢].

لا يعيبك، بل يشرفك أن تكون ليلا، ولكن يعيبك أن لا تكون مستقيما في حجابك من الليل. ففي الليل يحكم خالق الليل كل أمر، وفي الليل يُعَبِّد الخالق كل عبد، وبالليل يسري رسول النور في أهل الليل ليشرقوا بالنور، فيعلوا العليم الذي أصبح عالما، بمن عَلَّمه، وبمن أدراه، فعرفه من الرحمة رسولا يُوحِي، فيكون له وحيا به يوحى، فيُصبح به رسولا يُوحي إلى من يُوحَى إليه.

فما كان الرسول إلا وحيا أُوحِي إليه، وما كان الموحَى إليه، بما أوحى إليه، لمن أوحَى إليه، إلا عين الوَحي إليه وحيا يُوحَى. فإذا أُوحِى وَحيًا يُوحَى إلى من إليه أُوحى، كان الأعلى. والذي أَوحَى ما أُوحَى، هو من خلق باصطفائه لمصطفاه خلقا من بعد خلق، فسوى مصطفاه لنفسه بنفسه نفسا لمن أوحى، علما على من أَوحى، فعرفه في نفسه، فسبح الموحَى إليه الأعلى ربا كريما بعد أن أكبر عظمة الأدنى، لمن دنا فتدلى، فكان لمن إليه دنا، وعليه تدلى، ومَحَبة له تدانى، أقرب من قوسين أو أدنى، لجامع القوسين من الأعلى.

من عرف روح الله رسولا لله تمثل بشرا سويا فلاقاه، وكان معه بباطنه لمعناه وجها لوجه في الأعلى من مولاه، كان ظلا لمن داناه، ومن باسم الأعلى قاربه فرعاه، وعَلَّمه فولاه، ورحمه فطواه، وأدخله في نفسه لمولد منه بمعناه، (أنا روح القدس)[١٣]. (حسين مني وأنا من حسين)[١٤].

{النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[١٥]، {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم}[١٦]، إنه يقوم ويتقلب في الساجدين مشهودا من رب العالمين، يسجد لله في الطائعين، الموالين، المحبين، المتابعين الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه، ويُسجد المتكبرين بعزة الله فيه، الكبر على أهل الكبر صدقة. ويَهشِم الطغاة والطاغين {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}[١٧]، ويوقظ النائمين رحمة للعالمين، مؤذنا في الناس بالحج يأتوه رجالا وعلى كل ضامر إلى نصب الله، إلى بيت الله نصباً لمعنى بيت الله، برجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، لبيوت ترفع وتوضع، قلوب واسعة لعوالم يذكر فيها اسمه، عترة رسول الله وظلالهم.

من لا ولي له من الله بعبد لله قد تولاه، فوليه الشيطان، وعدوه الرحمن، وقاليه الرحيم، وبعيد عنه الإحسان، ولا يكلمه الكليم ممن كان له من الأعلى كليم، {إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين}[١٨]. {ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا}[١٩].

إن الذين لا يذكرون الله لأنفسهم في أنفسهم لا يكلمهم الله، يوم يحين الحين فهو يكلم الناس أجمعين، ويكشف الغطاء للطالبين، ويحقق الرجاء للسائلين، ويوقع الجزاء على الغافلين، في يوم للدين عند طالب الدين، قام بقيام الدين فيه، وتَكَشَّفَ بقيام اليقين له، في كل زمان وفي كل حين، ما غفل عنه إلا الغافلون، ولا نام عنه إلا النائمون، وما غاب عن اليقظين، وما احتجب عن العالمين العاملين، وما قصر عن البيان مع العارفين. هل طلبه الناس مع من عرفه من الناس، فعز عليهم المنال، أو احتجب لعيونهم المثال، أو قصر عن التواجد في أمرهم الحال، أم احتجب عن عقولهم أمر المآل؟ ولكنهم ينتظرون يوم الفصل في أمر المحسنين وقد علوا على الكافرين والمستكبرين، وهو يوم الكشف عن أمر الناس محرومين، في حالهم تعساء مبلسين، بتغيير في نظم الحكم وأيدي الحاكمين، وهو ما لا يغيب عن الحكماء الناظرين، وإن تكشف بقدر للعالمين، وله دورة باليقين للمنكرين والطاغين.

بُعِث الحق برسول الفطرة، وكم بُعث الحق في الفطرة برسول للفطرة، وكم بقي رسول الفطرة مبعوثا بالحق في فطرته، على فطرته، للناس في الفطرة، في كل وقت وحين، وكم جدد رسالته على رؤوس القرون في حسبانها مع كل إنسان لإنسانها تبدأ من لمحات اليقين، وما كان الله عليها لطالبها بضنين، ولكن الناس هم الناس، والنفوس هي النفوس، أليست هي مملكة الظلام بمادياتها! أليست هي مثوى الظالمين بمشاقها وأعبائها وآلامها! أليست هي مرتع العابثين بفتنتها! أليست هي خيبة الضالين بجلدتها!

أليست هي خدعة الظالمين الطاغين بعزتها اختبارا للمؤمنين حتى يوم الفصل المبين، يوم يرثها من العباد الصالحون المحققون، وهم وارثوها في دوام متعاقبين، بعيدا عن نظر السفهاء الغافلين! (أخفى الله الولي في الخلق)[٢٠]، (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)[٢١]، (كيفما تكونوا يولَّ عليكم)[٢٢].

ما كان الغيب للشهادة تعريفا عن الحق يوما بضنين، وما كان الإنسان في معرفته للحق بظنين. ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والبصيرة واليقين. يجادلون في الله بغير علم ويتبعون كل شيطان مريد، باسم الدين، واسم اليقين. تعالى الله عما يصفون. إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض يقولون بأنهم هم المصلحون، وهم المفسدون وما يشعرون.

انتظر إلى أن يأتي يومهم الذي يوعدون. إن يوم الفصل في أمرك إنما هو يوم الدين، يوم تظهر لهم ما وراء مالك يوم الدين عبدا لله وربا للعالمين، رحمة الله وسيدًا للأولين، وقُدسا للآخرين، حقا لله ووجها لمن عَرفت بيقين، شهدك وشُهدت به في العالمين، وما كنت في شهود أو في شهادة بظنين. عَلِمت وعَلَّمت، وما كنت فيما أعلمناك لمن يطلب العلم عنا من الضالين. وما حجبناك بمعناك لمعنانا عن الصادقين.

جعلنا بك أمرنا للمفتقرين. جعلناك أمرا لله لأهل اليقين. جعلناك أمر الله على العالمين. جعلناك الحق من الله للناظرين. جعلناك عَلَمًا على ما كان يوم كان للحق في الخلق مكان. وجعلناك علما على ما يكون يوم يستيقظ لطلب الحق الغافلون.

جعلناك أمرا وسطا قائم القيوم عبدًا وربًا، ورسول الله ربًا وعبدًا، عبدا لله عند من رآك، قام عليك القديم لك ربا، وجعل منك حقا ورسولا لتعريفك عنك في مولاك، في التعريف عنه عند من والاك، فكنت ربًا وعبدًا، ربًا لمن والاك، وعينا له عبدًا لمولاك.

يا من تفتحت بصيرته للقديم والجديد، وللإطلاق والتقييد، وللإحسان والمزيد، وللحكمة لله بالمؤمن والعنيد، فعرِفت وعَرفت أنه هو الذي يبدئ ويعيد، يبدأ من بدء في طاعة وإيمان، فيختبره في الحجاب لمقام الإحسان، فيقوم أهل الجنان بين مقسط لأمر الغناء، وبين معتز بالمكنة والاستغناء، فيرتقي المقسطون إلى عليين ويسقط إلى الهاوية باستغنائهم المعتزون. فالناس بين هاوٍ في الاختبار يوم جاءه الادكار وبين صاعد بالاعتبار، وما اختلفوا إلا بعد الذي جاءهم من العلم، وهذا هو شأن الأمر لله بهذه الدار، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين، ولذلك خلقهم. لا يزالون مختلفين حتى يعنونوا معالم الحقيقة، وأسماء الحق، ووجوه الخلق، وألوان النور، وأطياف الظلام، ومعارج الحقائق، وطرائق الحكمة، وأساليب الأحكام.

إنكم على أرضكم هذه بمادياتكم بمجتمعكم هذا من حيث الحقيقة وجود لا وجود له، وبمعانيكم وأرواحكم هو أمر ما قبل الوجود. إنه أول عوالم الروح بقلوب في أكنانها لإنسان حق واحد، لروح قدس جامع واحد. منه يبدأ التواجد بعملكم، بيقظتكم، باستجابتكم لداعي الله من أنفسكم بينكم، بامتثالكم لأمر الله مع كلمات لله قدوة لكم، بقيامكم في طاعة الله في متابعتها، وبحرصكم على كسب الله على ما كسبته في شهودكم. أنتم أمر الله في كنزيته كلمات لله في مهدها. وقد جاءكم أمر الله مفارقا كنزيته ليُعرفكم عن الله بتعريفكم عنكم. جاءكم رسول الله ليحدثكم عن نفسه لأنفسكم كتاب الله لكم، جاءكم أمر الله ليعرفكم عن أمر الله لكم، وأمر الله بكم، وأمر الله عليكم، وأمر الله دونكم، في جلابيب المادة احتجب عنكم، وبحياة القلوب قام بكم.

جاءكم رسول الله ليعرفكم من أنتم، لا ليعرفكم من هو، فما عرفه غير ربه، وهو غني عنكم بنفسه معروف لها مكتفي بها، ولكن كبرياءكم، وغفلتكم، وجهلكم، وظلامكم، جعلكم تزعمون أنكم برسول الله أحطتم، وله عرفتم، وبه آمنتم، وربه دونه طلبتم. وأنتم بحالكم وفعلكم من المجانبة له والرغبة عنه، وتجاهل نعمة الفناء فيه وحقية القيام به، لربه قليتم، ولأمره فيكم لكم أفسدتم، ولدينه لكم وللناس أتلفتم، وبكتابه حيا مبينا بعترته عبثتم، والرحمة معه هدية لكم رفضتم، والنور لقلوبكم نور الله جافيتم، والحق لأمركم من أمره أنكرتم، وبالظلام إلى الظلام سكنتم، وبالجهل في الجهل وللجهل طلبتم.

وأنتم بعبثكم هذا بوهم العمل وزعم الاجتهاد فضلتم العدم على الحياة، وفضلتم الظلام على النور، وفضلتم الجهل على العلم، وفضلتم الفوضى على النظام، وفضلتم الطغيان على العدل، وفضلتم الفقدان على الكسب، ورضيتم النصب، ورفضتم الوهب. ورسول الله رحمة مهداة لا تكسب لكاسب ولكنها تُوهب لمفتقر طالب.. هو وحي يوحى.. هو أمر يقوم.. هو نور في مشكاة الظلام من الصدر يشرق.. هو الاستقامة في بيئة الفوضى من الجوارح في مملكة الفرد بالظلام، تذهب يوم هو به يؤمن وله في ظلاله يتابع.

به استقامة عوالم الجوارح.. وبه حرية انطلاق الروح.. ومنه استنارة العقل أصلا لعوالم النور.. إنه شعلة مصباح القلب.. إنه الحياة.. إنه اسم الله لمن يطلب الله.. إنه سفينة النجاة لمن يطلب النجاة.. إنه جنة الوجود لمن طلب التواجد في الموجود.. إنه كل شيء يوم يؤمن به الشيء.. إنه كل أمر يوم يؤمن به الأمر.. إنه كل نفس يوم تؤمن به النفس.. إنه كل عقل يوم يشرق به العقل.. إنه كل ألوان الحياة يوم تهتز أرض القلب بالحياة.. إنه كل القلوب يوم تحيا القلوب.. إنه الحق من الله لمن طلب الله.. {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد}[٢٣]، فكيف لا يقوم الحق منه في الخلق له

بما لله في نفسه من الغناء والاستغناء! {حسبك الله}[٢٤]، {ومن اتبعك من المؤمنين}[٢٥] حسبهم الله، ألست معهم؟ ألست لهم؟ ألست الحق؟ {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله}[٢٦].

يرددون حديثه ثم يعقبون أو كما قال.. أي أنهم الأمناء يزعمون متابعته، ومتابعة من تابعه، يقولون التابعين وتابع التابعين بإحسان إلى يوم الدين. من يكون التابعون؟ وأين هم من تابعوهم؟ أأمثالكم؟! وما يكون يوم الدين!؟ أليس يوم الرسول يوما للدين! إن الكفر بكم إيمان برسول الله. لقد أصبحتم بحالكم اليوم على أمثال سابقيكم بمعانيكم قذىً في العيون، ورمدا للجفون. أنتم بؤرة المجتمعات فيها كل إفك وكل مأفون، أنتم القذارة للوجود، أنتم مراحيض الجهلاء من طالبي التخلص من الأوزار بالسجود، تحملون أوزاركم وأوزارا مع أوزاركم. أأنتم التابعين ومتابعي التابعين وأنتم للقرآن عضين! تتخذونه هزوا، حديثا حُكمُه عندكم حُكم حديث أي متحدث منكم كتابا مهجورا، لا واقع له فيما هو واقع بحياتكم وأحداثكم. جعلتموه كلاما ممجوجا بتحريفكم له عن مواضعه من الأعمال، ألفاظا تقال بالأفواه لتطرق الأسماع، لا واقع لها في العقول، لا تقشعر لها جلود، ولا تخشع لها قلوب، ولا تحار لها أفئدة. أين هي القلوب والعقول لموضعها من الإنسان عندكم؟ وما تكون النفوس في نظركم؟ ألا تحيا به النفوس وهل هي في حياة؟ أين هي استقامة النفوس! وما تكون! وكيف تكون! وأين هي البصائر لها!

ثم هم بعد ذلك أهل السنة! إنهم أهل السنة! وغيرهم أهل مواجيد، أهل خيالات، أهل أوهام، هؤلاء فرقة ضالة من المسلمين، إنهم قوم يعيشون في أوهامهم. أما هم فإنهم يحملون أمانة الدين! فهم أصحاب الفضيلة وأهل التفضيل! ويسألون للرسول الفضيلة والوسيلة متفضلين! ليكون يوما على مثالهم صاحب فضيلة! وليمنح ما هو محروم منه من وسيلة!

فليتأمل الناس الآن كيف يعبث بهذه البشرية الجان، وهو على حق، ونصيبه من الله أكثر منها من الصدق، إنها رسالة الله للشياطين على الكافرين تؤزهم بالحق، وقد وقع القول على الناس بفعلهم. إن الجان يبحث، إنه يطرق بيوتا في البشرية سائبة لا مالك لها من الحق، لعله يرى عن طريقها نورا لله في الأرض، لعله يرى في البشرية رجلا سعيدا مسرورا، فيطلب السعادة معه، يطلب الرحمة معه. إن الجان يبحث عن رسول الله في البشرية، وقد استيقظ لأمر الرسول يقوم ويتقلب في الساجدين. ومن قبل فعل الصالحون منهم مع من صلح من البشرية لذلك.. أو هو يوقع جزاءً على مسيء مقتا له ومجاهدة منه في الله.

إننا في هذه الجماعة نتحدث كل يوم إلى هذا العالم فيمن يتواجد فيه من البشر من بيننا، حديث خير لا عنت ولا استعلاء فيه. سبحان الله.. سبحان الله.. سبحان الله.. لقد وجدنا في هذا العالم أُذنا صاغية، ما تحدثنا معه بحق إلا وعاه، وما رددناه عن مسلك معوج إلا استمع فجافاه، وما طالبناه أن

يتخلى عن دارٍ شغلها هي لغيره، وكشفنا له عما غمض عليه من أمره وأدرك ذلك إلا عن هذه الأرض تخلى، وعما فعل اعتذر، ولما أتلف قَوَّم وأصلح. صدق الله إن الذي كان في أحسن تقويم من القيام بالبشرية رُد بغفلته.. رُد بكنوده.. رُد بجحوده.. رُد بظلمه لنفسه أسفل سافلين، فتحكم فيه الجان وهو في سمت الإنسان وابن الإنسان صورة لآدم أو لابن آدم، فتمتد يد رحمة الله إلى من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فتخلصه من هذا السلطان.

إن العوالم الغيبية عليكم من الأعلى منكم والأسفل عنكم لأحدية عالمكم، أمرا وسطا لله تنشد الحق عند أهل الحق منكم، ظاهرا على أرضكم بوجه له من وجوه ذاته وظلا له هي كلمة الله من ذات للمطلق لأحدية حضرته في اللانهائي، لدائرة قدسه بروحه لأهل السموات والأرض.

وهذه العوالم يوم لا تنشد الحق عند أهل الحق مستخلفا من عالمكم تعتبر من الهاوين السافلين. وأنتم في عالمكم من الأرض أغفل من الغافلين منهم عن الحق فيكم، وأنتم أسفل من السافلين منهم، فأنتم الأسفلين، وطريقا أسفل منهم هاوين حتى إذا ما زعمتموكم الصالحين، ووهمتموكم الأولياء المخرجين بصحبة من الجن تتابعون، وبالخوارق تقومون، كرامات لكم من الله تزعمون، وهم لكم مخادعون يزعموهم لكم متابعين، وهي رسالتهم عليكم مختبرين في الأولين والآخرين.

وتأبون إلا أن يكون الجان عليكم محكمين، وفي أمركم حاكمين، وأنتم عليهم المكرمين المقومين، يوم تكرمون، وهم عليكم جزاء غفلتكم مسلطون. ونرسل الشياطين على الكافرين فتأزهم هالكين، وتذهب بهم في الغابرين. بعضكم لبعض عدو إلا المتقين. شياطين الجن والإنس يوحي بعضهم لبعض زخرف القول وزورا مختالين.

إن هذا قائم أزلا وأبدا، وما هو بطارئ أو بحادث. وما مَر على البشرية زمان كان هذا فيه أمرا بعيدا عنها، ولكنه بغفلة البشرية يصبح رسالة ويصبح طور قوامة.

وهكذا كان يوم ساد به على جنسه سليمان، فأخذ طابع الجان ومثل أثرة الإنسان. تخلى رسول الله ورحمة الله للعالمين بحكمته عمن كان لهم رحمة رفضوها، وذكرًا لله جفوه وحقًا من الله، قلوه، {لا أعبد ما تعبدون لكم دينكم ولي دين}[٢٧]، ولم يتملكه الغضب، فيظهر بقهرهم، إذ يظهر بما فيه من الحق، فيصبح أمره فتنة أخطر من فتنة النفوس لأنفسها.

تركهم لأنفسهم.. ما حجوه.. وما طافوه.. وما سجدوه.. ما أعلوه.. وما كسبوه.. ما دانوه.. ولكن بكل قبيح عاملوه، حتى إذا ما قبلوه فتابعوه، فبكل ظلم قاموه، وفي أنفسهم على ظلامها زعموه، عبدوه وعبَّدوه، وعن الجادة حرفوه، وفي ظلام أنفسهم لاقوه، وفي أرواحهم ما عرفوه، وفي عقولهم

ما حرروه، لأنهم بأي لون من الإدراك ما أدركوه، وبأي أمر من أمر الله ما أقاموه، فرأى أن من الحكمة ومن الرحمة بهم أن يتركهم لأنفسهم لبعض الوقت لعلهم يجأرون، ولكن ما أصبرهم على النار يصطلون، وعن الثرثرة لا يفترون، وعن العبث لا يكفون.

إنا نرى في ظاهرنا من عالمنا من آيات الله في كل يوم ما تنفطر له القلوب، ما يملأنا ألما، ما يملأنا حزنا، ما يُشهدنا أنفسنا في عجزها، ونفوسنا في انحراف أمرها، ومجتمعنا في ظلامه، كيف يعبث من الغيب علينا فيه عوالمه، يعبثون بهذا الجانب للعالم من الشهادة، الذي ما أوجده الله وهو لعوالم خلقه في كل معارجها غيب الغيوب، إلا ليجعل منه نُصبا لشهادة كل عالم طالب للحق لم يقمه بعد.

خلق الأعلى البشرية على هذه الأرض متجليا بخليقته من اصطفائه منها عليها، معمرا بهم عوالم السموات ليجعل من أهل الأرض حضرة ربانية، ترتد إليها أنظار أهل السموات من أبنائها، ومن ثمارها، هم منها بدءا هي لهم شجرة طيبة، هم كلمات الحق منها وإليها شجرة باقية بالله، باسقة مثمرة، مورقة، عالية، قطوفها دانية، تؤتي أُكلها كل حين، هي حجاب أعظم، لما قبلها من الأزل لجنسها ولحقائق الله لها، وهذا لها دائما بحقها لا بمادياتها على ثمارها وما ينشأ عنها، لتقوم على نفسها في مادياتها بحكمة الله ورحمته، ممتدة من روحه بقلوب في أكنانها، بذوات أهلها من نبات أرضها هيا كل عوالمهم.

ولكن الرحمة تبدو وقد تخلت أو تتخلى عنها إرهاصا لجديد من ساعة كما نرى اليوم لبعض الحين، وقد بدأ هذا مترددا بين القوة والضعف في ظهوره من أوائل هذا القرن، فانتظروا في أيامكم القادمة قضاء من الأعلى في أمر قام بينكم منذ ألف سنة وبضع مئات ونيف من عشرات السنين. وهذه ليست نبوءتي فإني لا أتنبأ ولست نبيئا، ولكنها نبوءة من محل التنبؤ، وممن يقومون بالإنباء، وممن يصنعون النبأ، من عوالم الصلة، تصلنا ونستقبلها راضين، ونحن لأمرها طائعين، ولندائها مجيبين. إنها عوالم الروح، إنها هي التي تتنبأ.

إن الأرض الآن في طريقها لزلزلة عاتية بدأت بداياتها. إنها تتعرض لسيل من الأحداث يعم جميع الأجناس، ستزلزل القلوب والنفوس زلزالا شديدا دونه زلزلة الأرض لهدم أبنيتها أو خراب مدنها، إنها زلزلة القلوب، إنها زلزلة أرض القلوب، إنها زلزلة النفوس، إنها زلزلة العقول، إنها رد أعمالكم وأعمال آبائكم إليكم وإليهم، إنه سفور لساعة الله القائمة عند عالِمها، إنها كشف للقيامة الدائمة عند قائمها.

إنها العلم، إنها المعرفة، بكشف الغطاء للإنسان عن نفسه في حاله بحاضره. إنه كشف الإبلاس يعم سائر الناس. ليس هناك فرد ينتظر، فأي أمر ننتظر ولله الأمر كله! {ومن يهد الله فهو المهتد}[٢٨] وهو المهدي، وهو الهادي، {غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين}[٢٩]. هل هذا جديد على البشرية؟ هل خرج به الأمر من يد الله يومئذ أو من سلطان روح الله سواء غلب الروم أو غُلبوا؟ لا، بل الأمر لله من قبل، والأمر لله من بعد، والأمر لله في كل ما يقوم. فمتى غاب أمر الله عن خلقه وعن ملكه؟ {وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم [بني إسرائيل آخرين] عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا}[٣٠]. ولكن الأيام نداولها بين الناس، ثم رددنا لكم الكرة عليهم، ورددنا عملهم إليهم، يوم أساءوا الخلافة لهم منا على أنفسهم، وأمددناكم بأموال وبنين، وجعلناكم أكثر نفيرا، فإذا جاء وعد الآخرة وقد عدتم للإساءة بدوركم ليسوؤوا وجوهكم، ويدخلوا البيت كما دخلوه أول مرة، ولعلنا في أوانها، ولعلنا قاربنا زمانها، والقول في طريقه ليقع علينا، ولله الأمر من قبل ومن بعد، تلك الأيام يداولها بين الناس.

إن الدين إنما هو قانون الفطرة، وإن الله إنما هو الحياة، وإن الرسول إنما هو نورها، والنفوس إنما هي ظلامها، والنور إنما هو العقل، والطريق هي انتظام الحركة والسكون على مراده يوم تُشعَل جذوة النفس فتعمل فتتحرك بأمره فتكسب الحياة، أو تطفأ فتسكن، وتفنى بتعطيله، فتفقد الحياة.. له المحيا والممات.. له النور والظلام.. له الظل والحرور.. له كل شيء، وليس كمثله شيء.

إنه الله وكفى.. إنه يداني بمن اصطفى لمن اصطفى.. إنه يظهر بمن توفَّى، وبمن داناه وهدى وأوفى، ما عرفه الأعلون إلا في أنفسهم وما شهدوه إلا برسول له، ولن يعرفه القائمون إلا في أنفسهم ولن يشهدوه إلا في رسول له، ولن يعرفه الأسفلون إلا في أنفسهم ولن يشهدوه إلا في رسول له فيفارقون وصفهم، لم يعرفه الماضون إلا في أنفسهم ولم يشهدوه إلا في رسول له، ولا يعرفه الآتون إلا في أنفسهم ولن يشهدوه إلا في رسول له، ولا يعرفه النيام إلا في معاني يقظتهم في أنفسهم ولن يشهدوه إلا في قائم رسول له، هو الحق منه للأعلى فيه، وهو الحق بعينه لنفسه في الأدنى، فلا يعرف حقه لنفسه إلا في النفس بمعارج حقائقه من معاني رسول ومرسله عند مرسل إليه. وهذا ما جاء به رسول الفطرة بشهادة أنه لا إله إلا إله، وبمعراج الله أكبر، وبإيمان محمد رسول هو اسم الله.. هو وجه مرسله.. هو رسول الله الأزلي الدائم.. هو الحق من الله كلما ظهر الخالق لتجلياته بخلقه في قيام قائم وحدانيته، بالسفور بحق من أنفسهم عبدا ورسولا له.

نشهد أنه لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدا رسول الله. نشهد أنه جماع رسل الله، وأنه روح القدس له، وجماع المسحاء لإنسان ذاته رفيقا أعلى، وأنه إنسان حضرة قرب الله، وإنسان عين الإنسان بالإحسان، وإنسان الوجود، وإنسان الشهادة في كل شيء موجود، عبد الله وإنسانه، عبد الرحمن وعلمه وعنوانه، عبد الرحمة وعين الرحمة، ورسول الرحمة، ومرسل الرحمة.

لا إله إلا الله على ما عَلَّمها، ولا إله إلا الله على ما أشهدها، ولا إله إلا الله على ما قالها، ولا إله إلا الله على ما عَلِمها. لأنفسنا معه نسألها، فنشهد أنه لا إله إلا الله، ونقوم محمدا رسول الله، ظلالا له، حقا لنا، به نحيا، وبه نسعد، وبه عنا نموت، وبه بنا لمعنانا به نُبعَث، وبه نقوم، وإليه حقا نؤول.

محمد رسول الله.. محمد حبيب الله.. محمد خليل الله.. محمد اسم الله.. محمد وجه الله.. محمد روح الله.. محمد نور الله.. محمد الحق من الله. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا.. اللهم به فادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا.. اللهم به فأصلح حالنا، حكاما ومحكومين، أئمة ومتابعين، مجتهدين ومقتدين، يقظين وغافلين، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

من هدي السيد الروح المرشد الحكيم (سلفربرش)

(كونوا جنودا أمجادا. اثبتوا في مواقع معرفتكم. ولعل قوة الروح الأعظم تظهر في كل حياتكم يوما بعد يوم، ساعة بعد ساعة، دقيقة بعد دقيقة، وثانية بعد ثانية، حتى تشعوا حبه، وحكمته، وصدقه، حتى تكونوا وسطاءه حقا، المجاهدين للخدمة، المجاهدين للمساعدة، المجاهدين لتعليم من هم أقل منكم حظًا.

متى تتعلم دنياكم دروسها؟ يجب أن يكون في قلوبكم الحب، والإرادة، الطيبة، والتسامح، والعطف، والمشاركة الوجدانية للبشر جميعا، مهما ضلوا السبيل، مهما اغتروا أو انساقوا).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة آل عمران - ٣٠ , سورة آل عمران - ٢٨

٢ سورة يونس - ٢٦

٣ سورة النحل - ١٢٨

٤ سورة الملك -٢

٥ سورة الحج -٧٥

٦ حديث شريف. أخرجه البيهقي، كما أخرجه الطبراني بلفظ: "ليس عدوَّك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلته كان لك نوراً، أعدى عدوِّك نفسك التي بين جنبيك."

٧ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم." أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي. باختلاف يسير.

٨ سورة العاديات - ٦

٩ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين} سورة الشعراء – ٢١٨، ٢١٩

١٠ استلهاما من {واخفض جناحك للمؤمنين} سورة الحجر – ٨٨، و{واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} سورة الشعراء - ٢١٥

١١ سورة الانفطار - ٨

١٢ سورة المزمل - ٦

١٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٤ حديث شريف: "حُسينٌ مِنّي، وأنا منه، أحبَّ اللهُ مَن أحبَّ حُسيناً، الحسَنُ والحسينُ مِن الأسباطِ". أخرجه الترمذي وابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير.

١٥ سورة الأحزاب - ٦

١٦ سورة الأحزاب -٤٠

١٧ سورة الأنفال - ١٧

١٨ سورة الأعراف - ١٩٦

١٩ سورة الكهف- ١٧

٢٠ مقولة للإمام عليّ (عليه السلام): إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئا من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عباده، فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم.. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

٢١ من حديث شريف: " رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، ذِي طِمْرَيْنِ، تَنْبُو عنه أَعْيُنُ الناسِ، لو أَقْسَمَ على اللهِ لَأَبَرَّهُ". خرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.

٢٢ حديث شريف: "كما تكونوا يولَّ عليكم." رواه الديلمي والبيهقي.

٢٣ سورة فاطر- ١٥

٢٤ سورة الأنفال - ٦٤

٢٥ سورة الأنفال -٦٤

٢٦ سورة الحديد - ٢٨

٢٧ سورة الْكَافِرُونَ - ٢ و٦

٢٨ سورة الكهف - ٩٧

٢٩ سورة الروم ٢-٤

٣٠ سورة الإسراء - ٥

(٨)

وجه الحق للخلق
رب الناس ملك الناس إله الناس
حق الله وعبده

حديث الجمعة

٦ ذو القعدة ١٣٨٣ هـ - ٢٠ مارس ١٩٦٤ م

أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس، شهدناه ونشهده بعبده ورسوله، لشهودنا ووجودنا أقرب إلينا من حبل الوريد. هو الحق القائم من الله حقا وربا للعالمين.

وأستعين باسم الحياة له، الحي القيوم. أذكره وحده لا شريك له، تنتهي كل الأسماء إلى اسمه، وتنتهي كل المسميات إلى مسماه، وتنتهي كل الموجودات إلى وجوده، وتنتهي كل الأنوار إلى شامل نوره، وتنتهي كل الأرواح إلى روح قدسه.

باقٍ لا شريك له، على ما كان أزلا، لا شيء معه، ولا شريك له، وعلى ما هو قائم أبدا لا شيء معه ولا شريك له.

شرف الإنسان، اسما، ومسمى، وروحا بإضافته إليه حقا وخلقا، بوصف العبد له. واصطفاه فوصله وأكرمه ذاتا وروحا، وجعله بكرمه في السماء والأرض أطوارا. ورفعه أبعاضا درجات طباقا.

دانى به حقائق لحقيقة. وبعثه من الخلق حقا وحقيقة. وأقامه بالأحدية صدقا، والحق به للتقوى صديقا. وتجلى به للواحدية شاهدا ومشهودا. ورحم به سفورا للقدرة قائما محيطا. وأدخل فيه ساحة كرما ورحمة، كما جعله لحقه بذاته لمعناه بابا لمأوى، وبيتا لسكينة، رحمة مهداة. أظهره من أنفسهم حقا وخلقا، حول مبناه هو لهم أصلا ووصلا.

كان ويكون كما هو كائن، إليه المسعى ومنه المروى، وببيته الطواف، وفي بيته السكينة والاعتكاف. فالحجيج لا يصح إلا إليه على ما كان منه مع الأعلى، والذكر لا يعطر إلا به فبذكره ذكر الله، وباستقباله

قامت الصلاة، وبوصلته تقوم العزة والجاه، وبجانبته يكون العدم، ويتصف المجانب له بالكفر والندم، وبتجاهله يقوم الضلال، وبالصد والصدع عنه تكون الفتنة والإضلال، فأشباح الناس في الظلام بعيدة عنه، بين ضال ومضل ومضلول به، إلا من رحم الله، عرفه قوم محمد في رب محمد ربا لهم.

إلى الرغبة في قائمه وقيوم معناه مثلا ضرب من الله لمن ارتضاه لنفسه، وفي الناس تولاه رسولا من أنفسهم تقوم الاستقامة. وبطرق الباب معه تبدأ الطريق للسلامة. وبقيامه على قائمه تقوم القيامة. وبلمحة الرضوان من رضاء به، ورضاء منه، تقوم الساعة. وبمعرفته تكسب كنوز القناعة. وبالدلالة عليه يُكسب مقام الضراعة والشفاعة.

هو حق الله.. هو أحد الله.. هو إنسان الله.. هو قائم لا إله إلا الله.. هو مجيء وشهود الإله.. هو قيام النجاة.. هو رسول الله.. هو حضرة الحق لله.. {يا أيتها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي}[1].

هو العترة والكتاب.. هو الحاجب والمحجوب والحجاب.. هو ما وراء الحجاب.. هو ما أمام الحجاب.. هو ما قائم الحجاب.. إنه اليوم، والأمس، والغد.. إنه دورة الأيام بدورة الإنسان، بدورة البيان، بدورة القيام والعيان، بدورة الإحسان، بدورة الحق في قائم الخلق بالعنوان.. بدورة الخلق في قائم الحق للعيان، بين زيادة بقرب أو بعد إلى نقصان، أو بين خلق لإيمان أو كشف لكفران.

من يكفر بالطغيان سلك طريقه للإيمان إلى ساحة الحق وبيت الرحمن. ومن يُخدَع بالبهتان فقد سلك طريقه للضلال والإضلال، فما استقام له أمر، ولا حقق الله له سعيا إلا ما أراد من مسخ على مكانته، دجَّالا في رسالته، أعورًا في نظرته، في حال من عمى عن آخرته، وفي حال من خدعة بنظرة إلى هالك من دنياه في عاجلته.

يجادلون في الله بغير علم ولا هدى، ويخدعهم كل مَريد من شيطان، باسم الله، وباسم قدرة الله، تحريفا للكلم عن مواضعه، وابتعادا بالهدي عن مراجعه، وقياما في البهتان بوهم الإحسان. إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون.

أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، فإذا انخدَعت بها واستجبت لأمرها، وقمت في رسالتها، بظلامها، وجهالتها، معينا لها في ظلمها بوهم عزتها لمتخيل حكمتها، بزعم استقامتها.. إن فعلت فقد كانت كرتك خاسرة.. فَقدت في أمرها فرصة الدنيا وحظ الآخرة.. ولم تتعظ بأيامك القديمة الغابرة لأيامك القادمة العابرة، فأفسدت يومك من أمرك في الكرة الحاضرة.

تلك هي النفوس الخاسرة، والعقول الجاحدة الناكرة، والأواني الفاقرة الفاجرة، والقلوب الميتة المنقبرة، والأرواح السجينة الحزينة المنحسرة، خابت في أمر صحبتها مندحرة، فيما كانت تأمل من ظهورها في بيئتها بجديد لجبلتها لتعرف وتعرف على ما كان في أزل لحكمتها، فلم تعرف لنفسها ولمبناها، وبقيت بعيدة عن كنزية معناها، قابعة في سجن مرعاها، حتى فاجأتها سكرة الموت بالحق معيتها، فقدته بغفلتها، وباعدته بخصومتها، وبعثت خصما له بكنودها فاقدة حقها لوجودها.

الكتاب والعترة.. الصلاة والقبلة.. البيوت والذكرى.. ومن شاء ذَكره، فذَكَرَه. إن في ذكر حضرة الرحمة لمن تذكر حياة المذكور، فمن ذكرته الرحمة، كان ذكريا. تأمل، واذكر، واقتدى، وارجو ذكر رحمة ربك عبده زكريا.. ذَكَرَ الله، فذكرته رحمته، فحيا مذكورا، وبقي مرحوما، وانتشر راحما، وعمل ذاكرا، وقام ذكرا، وتحدث وبلغ رمزا، وقُوم وأُوحي لله أمرا.

كان زكريا ذكرا لمذكوره بذاته، وذكرا له بروحه، وذكرًا له بمسماه، وذكرا له باسمه، وذكرا له بمعناه. ألم يكن زكريا ذكرا محدثا لذكرٍ قديم، ذكرته الرحمة قديما فقام بها لرحمة الله ذكرا؟ واصل الذكر فواصل الحياة بيحيى، فكان يحيى جديده، ودائمه، وعتيده، لم يُجعل له من قبل سميا بالحياة، فكان عين معنى ومسمى من تجدده موالي وموالي من بعده. كان من عَدَّد الغيب ولدا ولد عين والده لوالده، به عرف الباطن في مرآته من الظاهر. ظهر به حق الشهادة للغيب بوالد ومولود، بشاهد ومشهود، بموجد وموجود.

كن مثلا للحياة، يحيى، ويحيى، ويحيى.. يا يحيى خذ الكتاب بقوة.. يا من يحيا خذ الكتاب بقوة، مثلا لمن يذكر الله خالدا بذكره، قائما على ذكره، فيذكر أباه حيا، ويذكر به قديمه له يحيى، فيذكر ويذكر ويذكر، فتبقى الحياة، ويبقى الذكر.

فما كانت الحياة في أزلها، وأبدها، وسرمدها بقائمها، إلا قديمها وعين قادمها. وما كان الذكر إلا قرينها وعين قائمها مذكور الحياة لذاكرها، يذكر الحياة فيجددها، فتذكره الحياة فيشهدها، {وآتيناه الحكم صبيا}[٢]،(المَلِك من ملك نفسه)[٣].. إنسان سلم لإنسان، من إنسان لأزل في إنسان. بذلك كانت دورة آدم، ما تكشفت، وما عرفت، وما قام أمرها إلا لمن رضي لنفسه أمر الله بعباده.

عرف الإنسان أزلا وأبدا الدين كله، وقام كل آدم بالدين كله، {وعلَّم آدم الأسماء كلها}[٤]. ظهر رسول الله آدما لقديم إنسان، وإنسانا لآدمه بقادم، قياما لأمر الله، قائما بالدين كله، طلب الدين ولم يقنع من الدين إلا بالدين كله.

إن آدم له على أرضكم، وفي حياة الأرض قبلا لها، دورة لا بدء لها يعرف، كما أن هذه الأرض لا نعرف لها بدءا بوجود يشهد إلا يوم انشقت عن الشمس. أما دورته في إنسان الله، أرضا تحيا، فلا بدء له فيها، ولا بدء لها به في إنسانية الأزل، تقوم بلا بدء إذ لا بدء لها، وتتجدد في دورتها بين عالمي الخلق والحق بلا انتهاء إذ لا انتهاء لها، إذ به تتجدد إنسانية الأبد في دورتها، كما تجددت به في أزلي الإنسان. فالإنسان لمعناه بآدمه يتجدد، وبآدم مبناه لعين معناه بأطوار أديمه إلى تمام، في حركة دائبة وفي دوام.

إن المعرفة لا تبدأ إلا من نفس العارف، يوم يطلب الكائن الإنساني أن يعرف عن الحقيقة في طرقه لأبوابها فيه، بالرغبة في المعرفة عنه فرعا عن معروفه، ووجودا عن موجوده، لواجب الوجود عنده، بقيام وجوده.

إن الإنسان الآدم.. إن الرجل الآدم.. هو كتاب الله.. وهو عترة دائم رسول الله.. وهو جديد لقديم، في رسول الله، قياما وظهورا بحق مرسله، في دائرة المرسل من الواسع العليم أزلا وأبدا وسرمدا.

إن الرسول من حيث ذاته الآدم كانت بعثته بالحق لقديم له بآدم، كلمة تمت لله في الله من الله، قامت أصلا خالقا لقادم لآدم، فصار برسالته مذكرا بالحق، أصلا يبعث به آدم حق، لقائم له بجديد ذات، يقوم وقد انشقت الأرض عنه ليقوم في الناس بالمقام المحمود عنده وعند قومه، أي بمقام الرفيق الأعلى، ربا ومعلما له ولهم، مستخلفا منه على المؤمنين بهما، أولى بهم من أنفسهم، ربا راعيا لهم، وحقا معتقدا عندهم، ومعلما عين الأعلى، ورسوله وجها وعينا للأكبر والأقدم في معراج الربوبية في حقائق الرحمة، لمطلق عليم في اللانهائي، لا يحاط ولا يدرك ولا يعلم.. {إني جاعل في الأرض خليفة}[٥]، {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك..}[٦].

إن الإنسان بحقائقه فيه، يكشف عن حقائق الحقيقة هو فيها، وبقدر ما يكشف من حقائق فيه، يتكشف له من أمر الحقائق هو فيها. فمن لم يؤمن بأنه في الله لم يشهد أمر الله فيه، ومن لم يشهد أمر الله فيه لن يعرفه، ولن يؤمنه في الله قائم، وله عابد، وفيه دائم.

هذا ما جاء به رسول الله بشعاره لا إله إلا الله، فذكر الله وحده، فما في النفس إنما هو من الله، وما النفس إلا في حقائق الله، وما النفس في أمرها إلا أمرٌ من أمور الله، فليذكُر الله وحده لا إله إلا الله، وليُعلَم الله أكبر، وأكبر، وأكبر، واسعا عليما، لا يحاط به، لنعرف العبد حقا يبقى بالحق عبدا.

إذا ما عرف ذلك آمن العبد بنفسه حقيقة، وللحق وجها، وبالحق للحق قياما، وله اسما، وذاتا، وعلما، فيعلم أنه ليس الشأن، وليس الهدف، وليست الغاية في أن يضع هو لله اسما أعظم يرتضيه له أو

يعرف لله اسما أعظم قد ارتضاه الله لنفسه، ولكن الشأن هو أن يكون هو لله اسما ارتضاه الله لنفسه ذكرا، وارتضى هو الله له ربا يراه له عبدا، ويرى وجهه أسماءً وعبادا عرفها فآمن، وعرف أن الله هكذا يُعرف، له المثل الأعلى في السموات والأرض، وله الأسماء الحسنى من خلقه ومن عباده ومن حقائقه يوم يصطفيها تمام كلماته لروح قدسه، جماع أسمائه، وأوادم خلقه، وكتب رشاده، ومشاعل قدرته، ومصابيح هديه، ونور جماله، ودور رحمته، ويد قدرته، وجلال طلعته.

الإنسان للإنسان في الإنسان مِنة الإنسان للإنسان في الله على ما يجب أن يعلم، وعلى ما يجب أن يكون، وعلى ما يجب أن يعتقد، وفي هذا سعادته يوم يتخلص من نفسه فيسعد، وفيه طريقه يسلك، وفيه سلامته منه يغنم، وفيه حياته لدائمه يشهد، يوم يطلب الحياة، ويطلب السلامة، ويطلب النجاة من فتنة نفسه إلى قائم أمره بربه، علما على معروفه، لشهوده، بشهوده الله أحد، الله الصمد.. الله لم يلد.. الله لم يولد.. الله لم يكن له كفوا أحد.. الله واقع الوجود.. الله واقع الشهود.. الله واقع الأمر.. الله واقع الحياة.

فمن طلب الله على ما يليق بطلبه، وجد الله على ما يليق بوجوده، ولكن الذين يجادلون في الله ولا علم لهم عنه ولا علم لهم به، ولا اتصال بين شهادة الحياة لهم مع غيب الحياة عليهم، إذ لم تتكشف لهم غيوبها لعين شهودهم من قلوبهم، فهؤلاء ما استقام أمرهم حتى يكون لهم برسول البصيرة صلة، ويكون لرسول البصيرة بهم قيام، فيدعون بدعوته على بصيرة، لا يعرفون معنى الاجتهاد ولا معنى الحيرة.

فالاجتهاد في مجال العقيدة والأمر والنهي عند أهل البصيرة ضلالة. هل قام الدين في عقائده على قالة ولم يقم في معاملة وحالة؟ هل قامت الصلاة في أشكال وأقوال ولم تكن في صلة بحال من أحوال؟ فكيف يكون الاجتهاد في دين الفطرة، وهو دين الرشاد، ودين البصيرة والعلم، ودين التخلي عن العناد والجهل.. دين السلام.. دين السلم.. دين الإسلام.. دين التسليم بمعلوم قيام لمعلوم قيام؟ فكيف يقوم الدين على أسسه من الرشاد، ويسمى فيه أمر بالرجم وبالاجتهاد؟

{أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٧]، فكيف يدعو الداعي على بصيرة، ثم يوصف بأنه المجتهد؟ {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه}[٨]، {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}[٩]. إن الذي فرض عليك القرآن جعلك مستقيما قيما ولم يجعل لك عوجا، وأعطاك مكنة العودة لتتلوه على مكث ولتبين لهم. ما أنت بناطق عن الهوى، لا تسموه بالهوى، فما ينطق عن الهوى، وما كان بينكم هو إلا وحي يُوحى، أرسلناه كافة للناس، رحمة مهداة، روح قدس الله يوحى بإذنه ما يشاء. فالذي أعطى

القرآن بلا اجتهاد وعد ببيانه لأهل الرشاد، ففيم الاجتهاد يوم تقوم العقيدة ويستقيم التسليم والانقياد، وتبقى الروح بوحيها للبيان وللرشاد؟ {إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}[١٠].

فما كان الرسول إلا نور الله، يمشي به الله في الناس، يسري به الله في الوجود، يُحيي به الله القلوب، يُحيي به الله الأرض من القلوب بعد موتها، هو الذي أمات وأحيا، خَلَّقك بخلقه، وتخلقتك بخلقه، لا تخشى شيئا، فصل لربك وانحر، قم وتقلب في الساجدين. اقتلهم عنهم، وخذهم منهم، وابعثهم بك ظلالا لك، ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض وظلالهم، وأوج إليهم على ما أذن لك بما تشاء.

يا أمة العباد.. يا أمة الرشاد.. يا خصيم العناد.. يا مدثرًا بالخليقة.. يا قيوما بالحقيقة.. يا قائما بالطريق.. يا صدقا ويا صديق.. يا مستقيم الأمر.. يا يتيم الخلق.. يا وليد الحق.. يا أول العابدين.. يا حضرة الراشدين.. يا مثال الإحسان، يا مثلا أعلى للعيان...

يا أمر الإنسان.. يا رسول السماء.. يا إمام الأرض.. يا باب الرجاء.. يا حوض الحياة.. يا مشعل الطريق.. يا عون الصديق.. يا غيب الشهود.. يا شهادة الوجود.. يا دوام الإنسان.. يا سرمد الإحسان...

قم بنا فيما أنت فيه قائم، ودم لنا فيما أنت به دائم، نبوةً لا تغيب، وعبودية لا تنقطع، وكتابا لا يُغلق، ومنبرا لا يهدم، وحوض حياة لا يفرغ، وماءً جاريا لا يأسن، ومحيطا لا ينقطع صاعده من عزب غيومه، بحار الخلائق، ومردود الحقائق، أنهارا وروافد، لا يتخلف فيضها بمزيد، ولا يمتنع على وارد ووريد.

يا دورة الوجود بتواجد.. يا دورة الحياة بتزايد، فيما يكون الأنبياء من بعدك، وشمس نبوتك بهم، أمة لا تغيب.. يا نبي الأنبياء.. يا ولي الأولياء.. يا شهيد الشهداء.. يا إمام الأئمة.. يا علم العلماء.. بك تمت نعمة الحياة على هذه الأرض.. وبك تتم نعمة الأرض، على كل أرض تتواجدها، بأبنائها تتواجدها.

بك يرحم كل كوكب تعتليه، فتحتويه، فتتضاعف لأهله الحياة فيه، بك تشرق مصابيح الحياة، في كل سماء دخلتها، وها هي تشرق السماء الدنيا، من أرض آدمك يوم وطأتها.

قل جاء الحق، قل زهق الباطل.. يا حق كل حق.. يا نصير من تغلبت عليه بطشة القوة بالباطل.. يا حرية كل حر.. يا عزة كل عزيز بالله ورسوله.. يا قاسم كل عزة ما قامت بعبد الله عزة بالله ورسوله.. يا قاصم كل جبار، إذ تظهر عليه الأقدر والأعز.

(الكبر على أهل الكبر صدقة)[11]، {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين}[12] للمؤمنين بالله ورسوله، فلا إيمان بالله بعيدا عن الإيمان برسوله، ولا إيمان برسول الله بعيدا عن الإيمان بمرسله، ولا إيمان بهما بعيدا عن الإيمان بالنفس منهما، ولهما، وبهما، ولا مكان للنفس فيهما ما لم تشهد النفس لها وجودا بهما، غير مشهود لها، مشهودا لهما...

فإن ارتضياها لنفسهما واحدا في أمرهما، وواحدة في أمرها بهما، شهدتها منها وشهدتهما لها، بما شهدت منها لهما فعرفتها وعرفتهما في جديدهما لقديمها، هو أحدية جديدها لهما، هي في ذاتها حجاب قديمها عن قادمها، وحجاب قادمها عن قديمها.

تراها وقد أضافت معناها إلى قديمها عبدا، حرصت على إضافتها إلى قادمها بما عرفت لقديمها، إذ عرفت في قادمها شهود قديمها ذكرا لله وحده، هو لها في معناها حق حقها، فكانت للأعلى والأدنى رفيقا، وعبدا مسيحا، وكان ذكرها لهما ثناءً ومديحا، وكان فعلها بهما جميلا وصحيحا، فما نسبتها لها وما نسبت فعلها إليها، ولكن ذكرت الله وحده فقالت لا إله إلا الله، وقامت لا إله إلا الله، وعلَّمت لا إله إلا الله، وأشهدت شعارها لا إله إلا الله، وحققت شعارها فأقامت في الناس لا إله إلا الله، ناسبة كل أمر لله، منكرة على نفسها وجودا، أو حقا، أو سلامة، أو شهودا. بذلك دخلت في حصن لا إله إلا الله، وأدخلت في حصن لا إله إلا الله، وقامت لا إله إلا الله.

أشهد أنه لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبد الله ورسول الله ووجه الحق لله.

اللهم يا من أوجدت الوجود في لا إله إلا الله، بلا إله إلا الله، فأقمته لا إله إلا الله.. اللهم أدخلنا في حصنها، كما أوجدتنا من بحارها.. اللهم قمنا محمدًا رسول الله، على ما قمته، واجعلنا فيه ظلالا له منه، نشهد به في أنفسنا، على ما شهد في نفسه من أمره أن محمدا رسول الله، لاسمه ومسماه، عبدا لله، رأى الله روح قيامه، وحياة ذاته ودوامه، فشهد الأعلى هو الحق لأدناه، بشهادته من أدناه لأعلاه، ومن أعلاه لأدناه.

أشهدته خلق نفسه، وأشهدته خلق السموات والأرض، وأقمته خلقا للسموات والأرض، وأقمته خلقا لنفسه بنفسه، وعلمته كيف يجدد في الخلق نفسه، وكيف يتجلى في تواجده بجديده، بأمره في تواجده بقديمه، حقا من حقائق الله، وعبدا من عباد الله، ووجودًا لوجود الله في وجود الله.

أظهرته على الدين كله، ورضيت الإسلام له على ما كان الإسلام منه دينا للكافة، وجعلته مثلا أعلى لأهل السماء والأرض شعار لا إله إلا الله، نبيا في مجال، وعبدا في مجال، وحقا في مجال، وحقيقة

لكل الحقائق في حال وأحوال، في جولة وتجوال، في عوالم وجودك لا يحاط بها، ولا يكشف أمرها إلا لمن كان أمرا لك من عبادك بحقائقك.

يا من أكرمتنا بمحمد.. وهديتنا بمحمد.. وأحييتنا بمحمد.. وقومت سبيلنا بمحمد.. اللهم أنقذنا مما نحن فيه بمحمد حتى بك نسعد، وحتى بك نحيا ونرشد، وحتى بك نستقيم ونتواجد.

اللهم بمحمد هدية منك لنا لا تؤاخذنا بما صدر عنا، ولا تعاملنا بما هو قائم منا، وعاملنا به مِنَّةً منك، ورحمة بنا، واجعل اللهم أمره أمرًا لنا، في ظاهرنا، وفي باطننا، وفي مفرداتنا، وفي جماعاتنا، وفي أممنا، وفي بشريتنا، لا إله غيرك ولا معبود سواك، اللهم فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا.

أضواء على الطريق

(وفروا دموعكم للذين يظلون في عالمكم المادي، فهما بدا الموت مزعجا فهو ليس بالحظ التعس. إني أتكلم في المبادئ التي تبقى، ماذا تريدون مني أن أقول؟ هل تريدوني أن أملأ عقولكم غلا؟ ومتى نتعلم دنياكم دروسها؟ لا يمكنني أن أخدع الذين أعرفهم، لكم أتمنى لكم أن تعودوا أنفسكم على الحياة كما هي واقعة في كل مظاهرها، كيف تحكمون جميعا على الأمور من وجهة نظركم المادية. أنا لا أقول لكم تجاهلوا العالم الذي تعيشون فيه، إنه مُهم ما دمتم هنا. ولكنه مجرد جزء بسيط من الحياة التي عليكم تجربتها. إنكم لستم أجساما مادية بأرواح، أنتم أرواح بأجسام مادية، وهذه ما هي إلا مظاهر مؤقتة). (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الفجر – ٢٧, ٢٩, ٣٠.

٢ سورة مريم - ١٢

٣ استلهاما من الحديث الشريف: "ليسَ الشَّدِيدُ بالصَّرَعَةِ، إنَّما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ. أخرجه البخاري ومسلم

٤ سورة البقرة - ٣١

٥ سورة البقرة - ٣٠

٦ سورة الأنعام - ١٥٨

٧ سورة يوسف -١٠٨

٨ سورة القيامة - ١٩:١٨

٩ سورة القصص - ٨٥

١٠ سورة يوسف - ٨٧

١١ مقولة شائعة ذكرها عدد من العلماء بصيغ مختلفة، منها ما قاله محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي (ت ١١٥٦هـ) في كتابه (بريقة محمودية): التكبر على المتكبر صدقة، لأنه إذا تواضعت له تمادى في ضلاله، وإذا تكبرت عليه تنبه، ومن هنا قال الشافعي تكبر على المتكبر مرتين، وقال الزهري التجبر على أبناء الدنيا أوثق عرى الإسلام، وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أظلم الظالمين من تواضع لمن لا يلتفت إليه..

١٢ سورة المنافقون - ٨

(٩)

خليفة الغيب وحق الشهادة
شرف الجنس ونعمة الريادة
أوادم الناس وإنسان القيادة

حديث الجمعة

١٣ ذو القعدة ١٣٨٣ هـ - ٢٧ مارس ١٩٦٤ م

باسمك اللهم نعوذ.. وبحقك اللهم نستعين.. وعليك اللهم نتوكل.. وفيك بك منك إليك نعمل.. وبتوفيقك نستقيم، ولرحمتك ندين، وبها نقوم ونؤمن.

اللهم إنك أنت أنت على ما أنت.. الإنسان فيك منك لك، وإليك منك، من الله، وإلى الله، وفي الله وبالله.. الإنسان فيك ظاهر الله وجها واسما، وباطن ظاهره حقا وقدسا، وأحد قيامه وقيومه قياما ومعنى.

اللهم يا من تجليت من كنزية ذاتك لظاهرك بخلقك إنسان حقك، وجددت في الوجود لك بالإنسان اسما وعنوانا، جعلته عبدا وحقا ورسولا بأحدية حقائقه، من وإلى موجود دانيك، لقيام تجليك بوجودك للوجود، جعلته بأديمه ظاهرا لإنسانه في إنسان ربه وجها لك، وجعلت بحضرة الإنسان حقا وخلقا على حقية الرسول عنوانا، خلقا وحقا لك. وجعلت منه لله أمرا لبيان أمرك وسفور وجهك، فكنت في ظهورك وفي خفائك تظهر وتتكنز بالإنسان دائما، وبالإنسان أزلا، وبالإنسان أبدا، وبالإنسان قياما، فجعلت بالإنسان لك أسماءً وصفات. وجعلت لأسمائك وصفاتك بالإنسان ذاتا.

شرَّفت آدم أن يكون للإنسان عنوانا، وأن يكون من الإنسان بيانا. وشرفت الرسول أن يكون فيك منك إليك إنسانا، بآدمه لنا من إنسانه لك، جعلته عنك ترجمانا وبنوره فينا منك بيانا، وبروحه لنا بالحق قياما وإحسانا.

يا من كنت للإنسان في الإنسان لا إله إلا الله، ويا من كنت في لا إله إلا الله بحقك ربا ورسولا وعبدا، إنسانا أظهرته محمدا رسول الله، ليكون الإنسان من الإنسان إلى الإنسان أمرا من الأعلى، وهديا إلى الأدنى، واستقامة للأنا للذات في المعنى والمبنى.

يا من جعلت من الفطرة دينا، وجعلت من رسالة الفطري فطرةً.. يا من جعلت من الإنسان بفطرته صبغة، فطرت له السموات والأرض بفطرته، من فطرتك فاطر السموات والأرض، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، {قل جاء الحق، وزهق الباطل}[1]، فاستدار به الزمان على هيئته كيوم خُلقتْ السماوات والأرض بسبقه لمعناه، ياقوتة أحدية ذاتك الصمدية لعين مظهر صفاتك الأزلية.

إن الذي كان مما كان، وإن الذي سوف يكون مما يكون، إنما هو كائن. إنما هو قائم. صبغة الله الصمد.. فطرة الله الموجود الأحد.. قدسية الله حق الوجود، وجمال الشهود، وجلال السجود، بموجود آحاده لأحديته في دائمه تجليا وتكنزا، من روح إنسانه لذات روحه بعنوانه.

إن هذه الدحية من الأرض، إن هذا العالم بين عوالم الوجود به يقوم البدء الفطري. وما كان ما قبله مما هو له إلا تهيئة له، وما كان ما بعده له إلا تواجدا منه بأحديته في أحدية الأعلى إلى المطلق.

إن ما قبله له إليه به يتواجد فيه، أولَ عوالم الروح وسماء الأشياء والكائنات، وسدرة المنتهي لعوالم النار والتراب في حضرة الحق يدانى الإنسان، وحضرة البشرية بروح اجتماعهما لبحارهما لبدء معراجهما. إليه يرتد كائنه مما كان منه كان رسلا إليه بما إليه صار. وإن ما بعده تصاعدا في معناه إلى تمام معناه، لمعنى الإنسان، يرتد إليه رسلا وكلمات منه إليه بتمامها فيمن يعلوه بمعناه، فيه تتم ثم تعود بوصف من فيه تمت إلى من منه بدأت وله كانت حتى تواصل بدءا آخر، وجديدا من حق ومن عنوان.

إن هذه الحياة البشرية.. إن هذه الحياة الأرضية.. إن هذه السماء الدنيا لما قبلها من حيوان.. إن هذه الأرض السفلى لما يعلوها من حيوات الإنسان، هي مجمع البحرين للإنس والجان.. هي برزخ الأمرين للإنسان ورب الإنسان.. هي مدرسة العالَمَين لخالق النور وخالق الظلام.. هي بيئة الحقين من العبد والديان.. هي بدء التواجد في الوجود لكل موجود بإحسان أو بفقدان.

تقوم بها كرات الحياة لكسب بدء الحياة، وتقوم بها دورات الحياة لكسب أطوار الحياة، هي مهد البدايات لكل بداية، وهي حضرة النهايات لكل نهاية، سعيد من كسبها، شقي من فقدها، رابح من كانت كرته بها رابحة مثمرة، خاسر من كانت كرته بها ضائعة غير منتجة.

إن هذه الحياة على هذه الدحية من الأرض يتواجد بها، لها، وعليها خليفة الغيب، وحق الشهادة، ورائد القيادة، وجنة السعادة، وباب الولادة، وأول البيت يذكر فيه اسم الله تتجمع لبناته بعترته، ويتصاعد بناؤه بأمته.

يتواجد بها اسمه اللهم، يظهره هم، ويظهروه واحدهم وأحدهم، سر الفرد، وسر الجماعة، وسر الجنس، قدسية الفرد، ووحدانية الجمع، وفناء الكل في الواحد البيت. بالجمع سعادته، وبالجنس قيامته، وبالفرد معرفته.

الناس منه كتابه، والناس عنه حجابه، لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله، الكل في وحدانيته ربه، والكل عند شهوده، رسول أنفسهم عبده أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ظلاله أمهاتهم، حقيقته جمعهم وقيامهم، روح أرواحهم، وحياة حياتهم، وطيب ريحهم، وسفين سبحهم، وطريق مسيرهم، ومنارة بحارهم، وبحار الحياة لحيواتهم.

كافةً للناس، بُشر به الناس.. كافة للناس، وعد به الناس.. كافة للناس، تقومه كل الأجناس.. كافة للناس، رحمة الله لعوالم الناس.. كافة للناس، أمر الله في أمر الناس، ما أُعطيه فلمتابعيه على ما فعل يحددهم الفعل، ولمجيبيه إلى ما إليه دعا تحددهم النوايا، ولراضيه على ما عليه قام يحددهم الخُلق، ولناظريه فيما به تحلى من التخلق بأخلاق الأعلى تحددهم العقيدة في الله.

حرمانه لا يكون إلا لقاليه، ولمخاصم معانيه بمشهود معانيه بمبانيه، ولفاقده في جنسه بمغانيه. ذَكَرَ الله وحده، وهو اسم الله لطالب الله.. وهو وجه الله لمشاهد الله.. وهو روح الله لطالبي الحياة.. مبعوثا بالحق موضوع الوزر من الخلق دائما، صلى عليه وملؤه الأزل في قديمه من إنسانية الوجود، تطلب أن تُعرف للقيام وللشهود، فمن خلاله تتواجد بجديد ليكون لها به مشاهدا، وتكون به عليه شهيدا بشهيد القدم في معناه على شهداء التواجد في مبناه، أحدية حق من حقائق الله بمرسِل ورسول وحق مرسَل إليه.

رسول الأزل إلى الأبد في الدائم السرمد، يقوم ويتقلب في الساجدين، ما جُعل لبشر من قبله الخُلد، لإنسانية هذه الدُحية من الأرض في هذا التواجد من الإنسان، فجُعل أمرا وسطا قلب قيامها، وفؤاد وجودها، وقائد عوالم الأبد إلى الأزل، مسحة الحق لطالبيه.

عند هذه البشرية الأرضية تحدد معنى الأعلى، ومعنى الأدنى، ومعنى الحق بها، فما علا على حقها متحقق من أبنائها، وما تخلف عن السجود لها ممن تواجد لوجودها من عوالم كانت هي المهد لتواجدها متخلف. الرفيق الأعلى سبقها بسبق معناها، ومثالها لمرجو مرتقاها، والرفيق الأدنى

لحقائقها مهادها لعين معناها، وجديد مبناها. {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون}[٢]، {والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون}[٣]، {وما كنت متخذ المضلين عضدا}[٤]، {ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم}[٥].

بها وعليها ومنها ولها، ولمن عناها فعرفها، أرضا، وسماواتها، في أحديتها، يتواجد ويظهر إنسان كلمة الله، وجلال قيامة الله، وجمال طلعة الله، ودائم رحمة الله.

نعم.. إنها بدحيتها وما نبت عليها من كائنات ترابها، هين أمرها، تافه شأنها من حيث وزر ذاتها، ولكنها باسم الله.. ولكنها بذكر الله.. ولكنها بجمال صنع الله.. ولكنها بجلال قدرة الله.. ولكنها بأمانة الله لأهلها بحكمته خطير أمرها، جليل شأنها.. نعم هي جيفة وطلابها كلاب إذا ربيوها مادة على أرواحهم حقائق.. نعم هي قذرة وقذر ما فيها إن جعلوا أنفسهم جيفا بعيدة عن الحياة وزينة لها، ولكن ذكر الله بها.. ذكر الله للعوالم في أمرها وشأنها.. ذكر الله يطلبه كل من قام في الله، وكل من قام بالله، وكل من ظاهره الله، وكل من قام على نفسه الله، يطلبه مشهودا لينظره في مرآة وجود، فيشهده الحق للموجود، فهو أمر يتحقق أول ما يتحقق لأهله في تواجد عليها، في تواجد بها، في موجود موجدها، عَلَم وجوده. (قذرة قذر ما فيها، عدا ذكر الله وما والاه)[٦].

إن الله تعالت قدرته، وجلت على الإدراك للعقول حكمته، وتسامت عنده للكائنات فيها غايته، الكل في رحمته، والكل ينشد طلعته، والكل في مشهد طلعته، والكل طلعته، والكل ينكر عليه وحدانيته، يوم يقول أنا، عانيا بها جبلته، ولا يقول هو، عانيا بها فيه منه قدرته ورحمته.

آلاء الله.. ذات الله.. اسم الله.. روح الله.. وجود الله.. قديم الله.. جَدُّ الله.. ظاهر الله.. غيب الله.. قيام الله.. إنما ذلك كله في شهود لا إله إلا الله.. في وجود لا إله إلا الله.. بدخول لا إله إلا الله.. بقيام لا إله إلا الله.. في قيامة لا إله إلا الله.

ولا يكون ذلك إلا في متابعة لحق الله بإنسان الله.. لرسول الله.. بموجود كلمة الله.. لدائم كلمة الله.. بجديد في قائم شهيد لقيوم روح قدس الله.. وجها لنور السموات والأرض من روح الحياة. ولكن الناس يجادلون في الله ويزعمون معرفتهم بذلك كله شهودا في مَريد يتبعونه، وهو لرسول الله في موجود الإنسان، إيمانا بموجود الله في شهود رسول الله، فيمن قام بالله ورسوله في صمد الله، وصمد الإنسان لله.

يزعم ذلك لنفسه فريق من المسلمين يحاكون قولا من قامها حقا وصدقا من أئمة قاموا في المسلمين أنكرتهم أمة المسلمين، وآخرون تابعوا من ينكر لا إله إلا الله على نفسه لمرجوه في متابعة أئمتها، بوهم

الاستقامة في العقيدة، ممن يجادلون في الله بغير علم ويتبعون كل شيطان مريد، فهم عندهم السلف الصالح.

هكذا كان، ولم تخلُ الأرض من يقين بلا إله إلا الله قام بها أهل صدق، قاموا بالله ورسوله في مشارقها ومغاربها.. وهكذا يكون، فلن تخلو الأرض من أهل يقين بهما بلا إله إلا الله.. وهكذا هو كائن، ولا تخلو الأرض ممن يقومون بالحق بحقائقه قامت بكلماته. إنها كلمة الله بعلميته لا إله إلا الله حصنا لمن دخلها بين حصون الله، فبدخوله في حصن لا إله إلا الله قام علما عليها، وكلمة لله، وآدما للناس، ورسولا من اللهم من أنفسهم.

"إن البُغاث في أرضنا يستنسر"[٧]، استخف فرعون قومه فأطاعوه، وهكذا يُمتطى الدينُ لخدمة الدنيا عند الفراعين من الناس في كل أمة، وفي كل مكان. يحرفون الكلم عن مواضعه، ويجادلون في الله بغير علم، ويتبعون كل شيطان مريد. هكذا كان، وهكذا يكون، وهكذا هو كائن، إلا من رحم. ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، اتباعًا لعباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. فلا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله، والمؤمن مرآة المؤمن، ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض.

(رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)[٨]. إن الدين.. إن الإيمان.. إن الصدق.. إنما هو في المخالة في الله في حاضر من قيام، والمؤمن مرآة أخيه، (والمؤمن مرآة المؤمن)[٩]، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[١٠]، {إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى}[١١]، {إن يوم الفصل كان ميقاتا}[١٢]، {للطاغين مآبا لابثين فيه أحقابا}[١٣]، {والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل}[١٤]. إنها دورة الحياة بين حياة الأشباح، وحياة الأرواح، بين حياة عوالم المادة وعوالم الأثير.

{فمهل الكافرين أمهلهم رويدا}[١٥]، انتظر معهم مع المنتظرين، وقُد الركب للسارين، ولا تغفل عن الرحمة بالهاوين، فقد جعلناك رسولا للسافلين والعالين، والوسط من المؤمنين، أرسلناك للبشر أجمعين، للأبيض والأحمر والأسود، رسولا من رب العالمين رحمة بالعالمين، أنت رَبٌّ وراعٍ للعالمين يوم يدخلك العالمون، فيصيرون من العالمين، فياضا بعلمك للطالبين، لا ترد السائلين، ولا تنهر المفتقرين، واحرص أن تأوي اليتامى الحائرين، ليعرفوك، فيعرفوهم، فيؤمنون ويوقنون، تُكَفَّر سيئاتُهم، ويُصلح في الله بالهم، يا رحمة العالمين، يا معلم الأولين والآخرين، يا حق الحقيقة يا رسول الله.

اللهم يا رحمة العالمين، ويا سيد الأولين والآخرين والقائمين، ويا من جعلك الله في نجدة المفتقرين، وفي إجابة السائلين، وتلبية الداعين، وفي عون المظلومين، أمدد يدك إلى أمة من المسلمين ضاعوا بين المنافقين، وغُلِبوا على أمرهم في طغيان الطاغين، وظلم الظالمين، وغفلة الغافلين، وظلام المظلمين. يا من جعلك الله رحمة للأولين، ونجدة للآخرين، ويقينا للقائمين، امدد يدك للطالبين، وأنر الطريق أمام الساعين الطارقين الفارقين، وأيقظ من أمتك الغافلين، ورد عن الظلم منهم الظالمين، وخذ بيدهم وبنواصيهم حكاما ومحكومين، يقظين وغافلين، يا رحمة أرحم الراحمين، يا واسع الرحمة للمذنبين، يا غافرا للمسيئين، يا شافعا للضالين، كن معنا، على يقين، كما أنت عند كل صاحب يقين، لا إله إلا الله شعارك، ومنارك، ومدارك، وساحتك ومزارك، يشهدها من شهد محمدا رسول الله.

أشهدتنا لا إله إلا الله في دورة الزمان، أشهدنا محمدا رسول الله للقيام وللعيان، يا من كنت حق الحياة كن لنا حق الحياة، أحياءً بك في حياة الله يا حي يا قيوم، يا رسول الحي القيوم إلى الإنسان الحي القيوم، أفض علينا بالحياة من محييك، من مُبديك، من مُخفيك، من مُظهرك، من مُغلِّبك على شانئك.

بك شهدنا لا إله إلا الله، وبك نشهد محمدا رسول الله، ونسأل الله أن يشهدنا دائما لا إله إلا الله بك، وأن تشهدنا محمدًا رسول الله بالله، فنشهد في سرنا وفي نجوانا أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

أضواء على الطريق

سُئل الروح المرشد الحكيم السيد سلفربرش: (ماذا يحدث إذا كان القادة من البشرية لا يستجيبون لتوجيه عالم الروح؟) فأجاب:

(لا شيء. ولكن لا تنسوا أن هناك غالبا استجابة لا شعورية وتمثيلا لأفكار عالمنا من حيث لا يدري المستلمون لها. فليس الإلهام عملية شعورية دائما، وإنما يدرك الوسيط فقط أنه قد استقبل من مصدر ما خارج نفسه فكرة، أو شعرا، أو نثرا، أو رسما، أو مقالة، أو قصة. هو لا يعرف المصدر وربما لا يدين به إلى عالم الروح. وهذا لا يهم ما دامت الفكرة تحمل ثمرة).

وسئل: هل هناك خطة روحية لكل مجموعة من الأقطار، بحيث تناسب مطالبها الخاصة؟ فأجاب:

(هناك خطة لكل الأقطار لأن هناك خطة للحياة بأكملها. كل الذين عملوا في عالمكم لا يتوقفون عن أعمالهم بسبب الحادث الذي تسمونه الموت، والذي هو خطوة في الحياة الأبدية. حب الوطن لا يموت، ولما كان حبا بدائيا فقوة الفرد سوف تظل تستغل لتقديم خدمة للبلاد التي ينتمي إليها.

وبزيادة التطور سوف نتلاشى كل الأفكار عن الجنسية والحدود، ويجيء التعرف على الرابطة الروحية العامة لكل طفل من أطفال الروح الأعظم. إنما نستخدم الحب بكل أنواعه لأجل الخدمة. ولأن يحب الفرد بلدا واحدا على الأقل ويرغب في خدمته لهو أفضل من الذي ليس عنده حب متيقظ في ضميره ولا يقدم أي خدمة بتاتا).

{إن لك في النهار سبحا طويلا}[١٦]، {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}[١٧]

قرآن كريم.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الإسراء - ٨١

٢ سورة غافر - ٥٧

٣ سورة الذاريات - ٤٧

٤ سورة الكهف -٥١

٥ سورة الكهف - ٥١

٦ حديث شريف: "إنَّ الدُّنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلَّا ذكرُ اللهِ، وما والاه، وعالمٌ أو مُتعلِّمٌ". رواه الترمذي وابن ماجه..

٧ مثل يضرب يدعى البُغاثَ وهو طائر صغير لونه لون الغُبار، بطيء الطَّيران، طويل العنق، والمثل يعني: يُساق للضَّعيف يَقْوَى ويستبدُّ إذا وائته الظروف، وقد يُراد به أنّ مَنْ جاورنا عزَّ بنا.

٨ من حديث شريف: " رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، ذِي طِمْرَيْنِ، تَنْبُو عنه أَعْيُنُ الناسِ، لو أَقْسَمَ على اللهِ لَأَبَرَّهُ". خرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.

٩ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

١٠ سورة آل عمران - ٦٤

١١ سورة العلق ٧-٦

١٢ سورة النبأ - ١٧

١٣ سورة النبأ - ٢٢ ، ٢٣.

١٤ سورة الطارق - ١١:١٤

١٥ سورة الطارق - ١٧

١٦ سورة المزمل - ٧

١٧ سورة التوبة - ١٠٥

(١٠)

دورة من دورات تتعدد
لرسول الحياة والممات
بدورة بكة تتجدد
في الطريق من الأزل إلى الأبد

حديث الجمعة

٢٠ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ - ٣ أبريل ١٩٦٤ م

تصحيح التاريخ الهجري: ٢١ ذو القعدة ١٣٨٣ هـ

نستغفر الله من وهم قيامنا، ونتوب إليه من دعوى أعمالنا، ونتوكل على الله لعقولنا وقلوبنا، ونستعين به لطوايانا وسلامة نوايانا.

ندعو الله للقيا مجيبا، ونعوذ باللجوء إليه قريبا، ونعوذ به من أنفسنا متهمة عندنا، ومن الأشرار لا نميزهم بيننا.

نشهد أنه لا شريك له من أنفسنا، أو من غيره، إذ لا غير له في وجوده، ولا شريك له في شهوده عند مشاهده به في حقيقة موجوده.

نشهد أن محمدا عبده ورسوله بيننا ولنا وفينا، ومرتضاه لمثاليتنا مثلا أعلى لمعانينا، حي في عقولنا وفي ضمائرنا، وفي مجتمعنا، وفي مراقينا. نشهد عموم مبناه في مبانينا، وعموم مرتقاه في مراقينا بمعناه لمعانينا، وندرك عموم رحمة الله به لنا في أوانينا، ونعلم أن رسول الله إلينا، بصفة الرسالة له، كان وما زال معنا، ما فارقنا ولا قطعنا، على ما كان مع من كان من قبلنا. نؤمنه حقا من حق الله، حقية العبد له، ورسالة الرب منه، حي في قبره من قلوبنا. به تنزهت الألوهية فيه وجها لها وعَلَمًا على الرفيق الأعلى في مولاه لمعناها.

تعالى موجود الله بمطلقه عن أن يحاط به، وتنزه أمره عن أن لا يدرك في الوجود للوجود، في أمر الناس بهم منه لهم، ما تنبه الناس لأمرهم من غفلتهم عنهم، واستيقظوا من نومهم بهم، وتحركوا من ركودهم فيهم، ليشهدوه الحياة، فيكسبوه لهم في معاني الحياة لأوانيهم أنانية لهم، بالنجاة والخلاص من مادي مبانيهم بالإخلاص لمعانيهم بعتق عقولهم وتحريرها من مادي قوالبهم بإحياء قلوبهم، وانطلاق لطيفها ليحيط بأجهزتهم معية أنانيتهم بالحياة، لتكون ذواتهم أفئدة لواسع تواجدهم في جديد أمرهم.

زُلزلت الأرض زلزالها، في كل زمان، وفي كل مكان، في داخل المعالم للإنسان، وفيما يحيطه من معالم بالأكوان، ولكن هذا الذي كان، والذي سيبقى على ما كان، له دورة للظهور برسالة في الزمان، يكون بأمره فيها في القيام للعيان، {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}[1]

فالدورة في النفس عن تبين الحق لها فيها ومن حولها، وها هي كما هي في كل زمان وفي كل مكان قوارع الله. ها نحن نشهدها في أقصى الأرض من نقطة تجمعها في أعلاها قطباً أعلى لمعناها تزلزل زلزالا شديدا، يحمل من الآيات، ويحمل من المعجزات، ويحمل من قوارع الواقع ما يسترعي الانتباه، وما تتفتح له الأسماع، وما تتأمل فيما وراءه العيون والعقول. وكم سيتلاحق من مثاله (نعني ما وقع من زلزال خطير في ألاسكا وامتد إلى بقاع أخرى حتى تأثرت به استراليا). وها هو يقترن بأحداث سوف تلاحقها أحداث في أدنى الأرض، في كعبة الأرض، في قبلة الأرض، في نقطة ارتكاز روحية الأرض، في الأرض المقدسة، في ساحة بيت الله الموضوع، رمزا لقلب إنسانه المنطلق المرفوع، وموعود حقه بعبده وإمام خلقه، إذ ينتزع صاحب العرش فيها انتزاعا عن عرشه من قريته وقرنه. فهل كان خادم الحرمين حقا؟ وليكن خادم الحرمين على وهمه أو زعمه، فهل حماه الحرمان؟ إنما هي خدمة الطين للطين في مجانبة الرحمن، إنما هي عبادة الشيطان ردت أعماله إليه، وزلزلت الأرض تحت قدميه حتى يهوي عرشه، ويذهب عنه سلطانه، ويحفظ له في المظهر عنوانه، ويفارقه وهم عنونة الحق به إلى ظهور البهتان له، اللهم لا شماتة، ولا غيبة، ولا حقد، ولا حسد، ولكنها الحكمة نلتقطها في أحداث الحياة وقد زلزلت الأرض زلزالها وحَدَّثت أخبارها، تقوم من حولنا، كما تقوم فينا بتدبير المحكم لكل أمره. صدق رسول الله عن نجد وأمر نجد ورسالة نجد، وعن الحفاة الرعاة المتطاولين في البنيان. ومن قبل تشققت جدران البيت من نفاق طائفيه وبهتان عاكفيه.

إن هذا الذي أشير إليه إنما هو قليل من كثير مما يصح أن نذكر أو نسرد مما هو معلوم أو مشاهد، أو مغفل عنه، ولكن هناك ما هو أخطر، وما هو أقوى، وما هو أعجب، وما هو أحكم، وهو ما نشهده

من زلزلة النفوس من داخل الناس، وهو ما نراه مما نستقبله كل يوم وكل لحظة، وخصوصا في دوائر العلاج الروحي مما يأتينا به طالبوا السلامة لذواتهم مثقلة مما بها من سقم يزلزل كيانها، ويزعزع عقيدتها على ما هو معتقدها، ويغير مفهومها في أمر نفسها، وفي أمر الله بها، بين مصاب بحالة من المس الأرضي أو العلوي كشفت ضعفه، وعَرَّفته عجزه أمام تافه من قوارع الحياة تحيط به ويقوم بها، يفقد معها إرادته على نفسه، وسلطانه لعقله، ويفقد معها حرية عقله، ومستقيم تدبيره، ومعلوم حكمته، كما يفقد معها حركته وحياته على ما عهدها في أمر نفسه.

ها هو هذا الأمر ينتشر في الناس في صورة وبائية ولا من يتعظ. {ألم ترَ أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا}[٢]، {ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين}[٣]. {شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا}[٤]. هذه صور من أحوال الناس إذا {وقع القول عليهم}[٥]، وشهد الناس في مجتمعهم ما هم معرضون له في مفرداتهم من تطبيق قوانين الفطرة برد الأعمال وكشف الأحوال.

ها كل ذلك يدور فينا، ويدور من حولنا، فهل من مستيقظ؟ هل من عاقل متبصر؟ هل من نفس متحرج؟ هل من قلب مفيق؟ هل من إرادة كابحة لجماح نفسها، آخذة بقياد ذاتها، متوجهة بنور العقل فيها، عارجة بحركة الحياة لها؟

يتكلمون عن الله، ويجعلون ترديد الاسم أسطورة من أساطير الوجود، أو من أساطير الحياة. ويتكلمون عن رسول الله، مفقود قيام، معدوم إرادة، خابي نور، منطفئ نار، مدفون ذات، ما له عندنا من معنى، ولا في قيامنا من آيات، لا يتقلب في ساجد، ولا ظل له بيننا متواجد، ولا وجه له بيننا يُشهد فنشهد به شهوده، ولا معنى له فينا يوجد فندرك به وجوده في مستقيم وجودنا. فلا هو كلمة لله سرمدية، ولا شجرة طيبة مرضية في طيب حياتنا، وفي مرضي قيامنا بسليم عقائدنا.

نطلب من الله الصلاة عليه وننتظر الإجابة، ونسترضي الله لأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين ولا صاحب له منا، ولا محسن باتباع له فينا، ولكنه المفروض ولا وجود له، والمعلوم ولا شهود له، اللهم إلا في كل شيطان مريد فرض نفسه علينا بطغيانه، وحملنا على الإسلام له بوهم إحسانه.

ضيعناه لأنفسنا فضِعنا في أنفسنا في قائم معناه بجهلنا لقيوم معناه على قائم معناه لمعاينا. وما عرفناه للكافة يكون بكينونة الكافة له تكون ظلال كائنه، ورحمة مكونه مهداة به لطالبها، مجيبا سؤل السائلين، مسئولا لا يغيب عن سائل، للأواخر كما كان للأوائل بدوام قيامه بشرا متكاثرا بذاته وبصفاته ومعنوياته، {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}[٦]، فما ظهر إلا من خلوده أول العابدين بيتا مرفوعا، وأول

الحقائق رحمة مدانية للعالمين بيتا موضوعا، يقوم ويتقلب في الساجدين، أُعطي الكوثر، {أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٧]، شانئه الأبتر. {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم}[٨]، فهو امتداد الحياة بامتداد نور الله، لخلقية الحياة، ولحقية الخلق.. صبغة الله.. فطرة الله.. أمر الله.

{أتى أمر الله فلا تستعجلوه}[٩]، {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث}[١٠]، والذي فيه نحار أن الناس في أمر رسول الله لا يحارون، وهو الذي نطمع به أن نخلع الأوزار، وأن نتحرر من دار إلى دار، في معارج الدور، في دُنى الوجود، الآخرة منها دائما خير وأبقى، الآخرة لطالبها خير له من الأولى، يوم يكون للأولى زاهدها وقاليها، يوم يخلع منها موجدا له، ويقوم في الله عبدا له، فيصبح بالله موجدا لها، خالقا لوجودها، (ربانيا يقول للشيء كن فيكون)[١١].

لا يشغله إلا الله، ولا يقوم في الناس إلا برحمة الله، وقد جعل الله من نفسه للناس جنته عالما، رضوانا، ومتاعا لمن به يُوجد من أمره بها. وقد جعل الله منه اسمه منعما عَلَم الله في إنعامه مُوجدا.. وعلم الله في إيجاده حقا.. وعلم الله في حقيقته إنسانا.. عَلَم الله بإنسانيته.. وقد جعل الله الدين في معرفته، والمجاهدة في البحث عنه، والطريق في متابعته، والخلاص في الظل له، والإصلاح والفلاح في إشهاره واعتباره.

هذا دين الفطرة.. هذا دين القيمة.. فهل تأملنا الفطرة لنعلم عنها دينها؟ وهل قمنا الفطرة فكان دينها ديننا، فكان ديننا دين الفطرة، فعنونا الدين يوم قمنا الفطرة، فكنا الدين يوم كنا العلم واليقين؟

ما كان الدين علما ظنيا ولكنه يقين مدرك حِسي، فيه حمل النبأ عن المحسوس المدرك، وتبليغ من إنسان الغيب لإنسان الشهادة، فهو حديث الغيب إلى الشهادة بالعلم والمعرفة.. وهو حديث الشهادة للغيب بالشفاعة والريادة.. لمسه يقين.. ويقينه معرفة.. ومعرفته علم.. وعلمه طريق.. وطريقه استقامة... واستقامته رشاد.. ورشاده توجيه وقيادة.. وقيادته عمل وانتظام.. والانتظام فيه حق وعدل وسلام.

بهذا جاء الإسلام.. بهذا جاءت الفطرة.. وبهذا في كل يوم يأتي وحي الإسلام، وبه تجيء آيات الفطرة، لا ينقطع لهذا مجيء، ولا يغيب له في الحياة في كل زمان تعليم وعلم، أو آية وآيات. وها أنتم في هذا العصر وفي هذا القرن بالذات وقد مهد له قرنان طفرت فيهما البشرية في المعرفة آلاف السنين، تشهدون بما أصبحتم تدركون، وتقرعون بما أصبحتم تعلمون، وتعلمون بما صرتم تحسون، ما تقعون به تحت وطأة ما لا تدركون من فعل الفطرة، وآيات الفطرة، وقوارع الفطرة، ما بين زلزال وإعصار، وما بين فيضان وإقفار، وما بين تجريد من مسكن، وتجريد من سكينة، وما بين غناء يرتضى، أو

وطأة بضيق، من إحاطة بثمار بمظاهر بإغناء وإفقار، وأنتم ما بين غفلة وادكار، هذا إلى نزع سلطان، ردا لعمل من بهتان، وبسط لسلطان، تكرارا لفتنة في العنوان.

{إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة}[١٢]، فعلى أي صورة تريدونها؟ وها أنتم في كل بلد تشهدونها، ما بين لمحة عين وانتباهها ترونها، وتحسونها، وتدركونها، فعلى أي صورة تريدونها تكون حتى تخرجوا مما أنتم فيه من غفلة ومن فتون؟

في داركم، وفي الدور من حولكم، وفي أمم بعيدة عنكم، وفي أنفسكم، قوارع الحياة تترى، وفي الناس تشرى، ولا خفاء لها، وقد برح السر الخفاء. وإرهاصات الحياة، وإرهاصات الفطرة، في كل مكان، وفي جميع الأرجاء تزلزل الأرض زلزالها، وتخرج الأرض أثقالها، وما زال الإنسان فيما به في لهوه لا يتنبه، ولا يستيقظ، ولا يفيق.

يتساءل إنسان اليقظة إلى نفسه، ما دهاها؟ ما مبتلاها؟ فتجيبه فطرته في معناه، أنكروا الوحي على أنفسهم، فأوحَى لها، ليروا أن الوحي إنما هو الحياة، وأن الأرض تحيا حياة على حياة، وحياة بعد حياة، وحياة فوق حياة، وحياة من حياة.. الأمر الذي أنكره الإنسان عليها على نفسه، يوم جاءه به الإنسان، ورسول نفسه. جاءه به العنوان وحق ربه. جاءه به العرفان ونور كونه.

جاءنا الرسول وجه الحق للمتواصين بالحق، وجه الحق لطالبي الحق، وجه الحق أدنى الحق ذاتا لروح، ذاتا بها تتواجد وتسفر الروح عَلما على روح. إليه تنتهي الأمور هي أعلى الحق روحا لذات، فكان الأعلى له حياة ذاته، وكانت ذاته حياة أرواحنا لذواتنا، {ما قدروا الله حق قدره}[١٣]، {إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}[١٤].

فقال العبد الموعود (ما عرفني غير ربي)[١٥] فما عرفوه، وأفلت منهم ما أحسوه، وقد عدهم عدا ما قدروه، وأعدهم إعدادا ما أدركوه، وعدهم عددا ما حسبوه، وجمعهم فيه له توحدا رحمة مهداة ما ارتضوه، فكانوا له ظلالا أمرا ينتظرهم ما طلبوه، وكان لهم الحق في حاضرهم والمثال لأنفسهم ما حققوه، فكان موعود المثل الأعلى لله لمن طلب الله في المثل الأعلى له في السموات والأرض، ما آمنوه، وما أشهدوه، أو شهدوه.

من عرف كيف يطلب الله فطلبه على ما يليق أن يطلب، فآمن بالله ورسوله على ما هُدي ثم لم يرتب في نفسه فيجعل منها خصما لله ورسوله بعدو ومختبر، فلم يستكبر أن يستعين بالله ورسوله عليها، ولم يأنف أن يراها خصما لهما وعبدا آبقا من حضرتيهما، يوم يتكشف له أمر نفسه في اختبارها فيستعين

بالله ورسوله عليها، فيعينه الله ورسوله، ويخضعها له، ويسلم قيادها لعارية وجوده، اسما لله وذكرا له، فيتواجد الله ورسوله به ذكرا محدثا لهما، حقية العبد لهما، وظهور الوجود بهما من موجود غيبهما.

بذلك كانت حقية العبد، وحقية الرب، وحقية الإله، أمرا واحدا في الله، وأحدية واحدة لموحد الله، قائما على نفسه بيتا وذكرا له مع رفيق أعلى لشهوده، دانى وجود يراه فيعرفه مقيما لله على نفسه بقيامه ربانيا، منكرا عليها وجودا في الإنكار على قائمه لقيامه، يذكره معدوم وجود، مشهود عدمه، رفيقا لأعلى من رفيق أعلى، مسيح الأعلى وقيوم الأدنى، غريبا في الدنيا، ميتا ومن الموتى وبين الموتى. {إنك ميت وإنهم ميتون}[١٦]، يوم تشهد أنه لا إله إلا الله ويوم يشهدون.

فماذا لمس الناس من نور الكتاب؟ ماذا طرق الناس من أبواب الحجاب؟ ماذا صعد الناس من معراج الإياب لحقائق الأصول من رد الفرع إلى أصوله؟ بدخول في ثمرة الأصول بموعوده، وأصل الفروع في موجوده، يعرفون فيه على ما هدوا حجر الزاوية في أحدية إنسان الأزل والأبد والقيام، فيطلبوه في المعلوم، وينتظروه في قيامات القيوم، فيشهدون رسول الله في رسول الله في سرمد رسول الله لا ينقطع له تواجد، ولا يجز له وجود، ولا يحجبه الظلام عن الشهود عند عاشقه، ولا يجانب طالبا له يوم تواجده في قائم وجوده. فهو معنى الرسالة في الله.. ومعنى الرحمة من الله.. ومعنى القدرة بالله.. ومعنى العزة في كنف الله، ومعنى السكينة بقرب الله.. ومعنى الرضا في رضاء الله عند راضي الله ربا.. ومعنى الرب من الله عند منزه الله، ومكبر الله، ورائي الحق في رسول الله.

ها هي السماء والأرض ترهص لأمره يتجدد ولا جديد له، ولأمره يتقادم ولا خفاء له، يظهر ولا إحاطة به، ويختفي ولا احتجاب له عند مدرك له وطالب له، إنما يختفي على مخفيه، ويظهر عند مُظهره. إنه الحياة من الحي القيوم للأحياء بالحي القيوم.. إنه لا إله إلا الله لمشاهدها.. إنه محمد الحق ورسول الله لمتواجدها.

علمنا به أنه لا إله إلا الله، وها نحن نشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

اللهم يا من جعلت محمدا للكافة.. اللهم اجعل به لنا منك نصيبا. اللهم اجعل به لنا فيك أملا لا يخيب.. اللهم يا من جعلته الحق منك.. اللهم به حقا علينا لا تغيب.. اللهم أجب دعاء الداعين، قريبا من أنفسهم وأقرب من كل قريب.. اللهم يا من جعلته أولى بالمؤمنين من أنفسهم.. اللهم به فاجعلنا من المؤمنين بك بإيماننا به إيمانا بك، قريب حق به، وعالي حق علينا، أقرب إلينا من حبل الوريد.

اللهم اجعل بوجوده فيك وجودا لنا فيه حتى يكون لنا وجود فيك بوجودنا فيه، موجودين به أعلاما عليه ووجوها لك، امتداد رسالته وأيدي لك، عين وجوده في الوجود وعضدا لك، وجودا به نتواجد

بك، في تواجده بنا متواجدين بحضرتيكما حضرة لكما، لا ينقطع لها تواجد، ولا يغيب عنها فيها لها وجود، حتى نعلم ما الحياة وما الخلود من خالق الحياة، وخالق الخلود.

اللهم لا تقطع عنا وصف العبد لك حتى لا ينقطع لنا تواجد الحياة بك، عبدا لعبد، وربا لرب، وإلها لإله، بأنفسنا ندرك الحياة فنعلمنا لكما وأنه لا انقضاء للمعراج بكما، أنتما معارج الحياة، نحن صاعدوا معراجكما، ونحن المدانون بكما من جديد خلق لنا، خلقتمونا وما نصنع، حملنا أمانة الحياة بكما لأمانة الحياة ترد إليكما، فلا احتجاب لكما، ولا غيب لكما، ولكن الاحتجاب والغيب لنا بكما، أدبا معكما، وقياما بأمركما.

إن حقية العبد هي وجه الرب ويد الإله. إن حقية العبد هي داني الحق لعالي الحق، في وحدانية الحق تجمع عاليه ودانيه، تجمع غيبه وشهادته، وما الشهادة فيه إلا مظهرا للغيب له، إيمان الإنسان بنفسه عين غيبه، وغيبه عين وجوده في شاهده وشهوده في لا إله إلا الله، يوم يقوم باقتدائه عين مقتداه، فيشهد محمدا رسول الله في مرآة نفسه، وفي مرآة أخوته في مرآة مؤاخيه، وهكذا رضي الغيب الفطرة في إيمانها به رسالة مرتضاة، تبقى في مدى الحياة على ما كان في أزل الحياة.

وبذلك كان محمد الله.. وآدم الله.. وعبد الله.. ونبيء الله.. وكتاب الله.. وحق الله.. ورسول الله.. واسم الله.. ووجه الله.. ويد الله.. وقدرة الله.. ورحمة الله.. هو حجر الزاوية ما بين القديم والقادم للوجود، علم القائم والقيام للشهود.

أخذ الله من كل أمة ويأخذ بشهيد، وهو الباقي على كل شهيد، شهيد في القديم والجديد، في القائم والمزيد، فهل عرف الناس رسول الله، وهم يلوكون اسمه، ويدعونه على رسمهم رسمه، وكسمهم كسمه؟ وهو الذي ما عرفوه، وما عرفه غير ربه، وهو الذي ما شهدوه، وما شهده غير ربه ذاتا وامتدادا، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[١٧] لا يشهدون به ربا لهم إلا بامتداده فيهم، قياما لهم وبعثا له بحقه بقائم له من بينهم، رسولا من أنفسهم.

فهل اعتقدوه؟ وكيف يعتقدوه وما عَلِموه؟ وهل عَلِموه؟ وكيف يعلموه وما طلبوه؟ وهل طلبوه؟ وكيف يطلبوه وما عرفوه؟ وكيف يعرفوه وما صافوه، وما صَدَقوه، وما أحبوه، وما آثروه، وما أفنوهم فبعثوه، وأنكروهم فتواجدوه؟ (لا إله الإ الله محمد رسول الله) ما شهدوها وما شهدوه، وما آمنوها وما آمنوه، وما عرفوها وما عرفوه، وما صَدَقوها وما صَدقوه، وما صدَّقوها، وما صدَّقوه، ولكن عبثا باللسان لاكوها، واسما له لاكوه، لا واقعا تواجدوها، ولا واقعا وجدوه، سبحان الله عما وصفوه، وتعالى الله عما زعموه، إلا من رحم الله فدخله رحمته، وقامه نعمته.

ظهر لهم في كل شيء فما صَدَّقوه، وقامهم في كل صورة فكذبوه، وفي غفلة عنه ألفاظا قدروه، وألفاظا عبدوه، وخيالا وثنوه، وأوثانا سجدوه، فلا حول ولا قوة إلا بالله، له المحيا وله الممات، بحي رسول الله في حي رسول الله لحقي العبودية لله، في الله، من الله، إلى الله.

اللهم به فارحمنا.. اللهم به فادفع عنا.. اللهم به فتولَنا.. اللهم به فقوم طريقنا.. اللهم به فحقق سجودنا.. اللهم به فأحيِ وجودنا.. اللهم به فخلصنا.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به في الحق وحضرة الحق فأسلكنا.. اللهم به في حقي الرشاد فأدخلنا، وبالوداد فسربلنا، وبدثر الأنوار له فدثرنا.. اللهم اجعله لنا الفؤاد، واجعله لنا الرشاد، واجعله لنا الحب والوداد، يا من جعلته رحمة للعالمين، به فارحمنا، وبه فاذكرنا، وبه فذكرنا، وبه فارحم من رحمنا، ومن رحمنا، لا إله غيرك ولا معبود سواك.. اللهم فقوم فيك سبيلنا، وخلص أمورنا، واجعل السعادة بلقائك خاتمة لنا.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة فصلت - ٥٣
٢ سورة مريم - ٨٣
٣ سورة الزخرف - ٣٦
٤ سورة الأنعام - ١١٢
٥ سورة النمل - ٨٥
٦ سورة الأنبياء - ٣٤
٧ سورة الأحزاب - ٦
٨ سورة الأحزاب - ٤٠
٩ سورة النحل - ١
١٠ سورة الإسراء – ١٠٦
١١ حديث قدسي متداول في بعض كتب المتصوفة والشيعة، واجاء في الأثر بلفظ "يقول الله عبدي أنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون، فأطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون".
١٢ سورة الواقعة ١-٣
١٣ سورة الحج - ٧٤
١٤ سورة مريم - ٩٣
١٥ حديث شريف ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكّاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
١٦ سورة الزمر - ٣٠
١٧ سورة الشعراء – ٢١٨، ٢١٩

(١١)

الفطرة

مصدر الدين وكتاب العلم وطريق اليقين فيها وبها ومنها ولها المرسل والأعلى والرسول والأدنى في صمدي قائمها صبغة آحاد الحق في الحق المطلق جماع آحاد الله في لانهائي أحديته

حديث الجمعة

٥ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ - ١٧ أبريل ١٩٦٤ م

أعوذ بالله، وأستعين بالله، وأبدأ باسم الله، وأشهد أنه لا إله إلا الله واجب الوجود، وأشهد أن محمدا رسول الله واجب الشهود. وأشهد أن الكون عبد الله ظاهر الموجد، ووجه الحق من الله حقية الموجود، ومعروف الله عَلما على المعلوم، وصبغة الله فطرة المعروف. أشهده مسلما لرسول الله وللأعلى لرسول الله إسلاما لله، وقياما بلا إله إلا الله، مؤمنا يتواصى في صوره بالحق على ما أسلم له وعلى ما آمن وقام به، طلبا لكمالٍ للإيمان وللمزيد منه، ولقيام للحق والتخلص من نقيضه بوهم العزلة عنه.

كلنا يردد شعارا له لفظ لا إله إلا الله، وكلنا يردد عبارة رسول الله (الإسلام دين الفطرة)[١]، قالها رسول الله، إنسان الفطرة، وإنسان الحق، ومحمد الله، وعبد الله، مات عن خلقيته خلقا من بعد خلق، حتى عرفها ميتا لا حياة له كلما تواجد بموجود خليقة له. وبعث بحقيته حقا من بعد حق حتى عرف الحق لا تبعض ولا غيبة له. وما زال متواجدا على ما تواجد بين خلقيته وحقيته، يموت عن خلقيته ويبعث بحقيته، قيام الفطرة، وصفة الفطرة على ما كان، وصبغة الفطرة على ما بقي، وما كانت الفطرة إلا صبغة الله لأسمائه وصفاته، ومن أحسن من الله صبغة.

قام خلقا بالفطرة، وكشف عن وصف الموت ومعناه لخلقيته بالفطرة. ومات عن خلقيته بالإنكار على نفسه لمعنى الموجود بالفطرة. وبعث حقا يشهد وينتشر ويقوم بالفطرة. وقام عَلَم حقّيته علما على الحق بالفطرة. تواجد العلم والعالم بالفطرة. وتجمع الكتّاب والكاتب بالفطرة. وانتشر وتبعض الفرد والجمع بالفطرة، أُمةً صارت به فردا بالفطرة، وفردا لذاته انتثر أمة بالفطرة، وموجودا لوجود صار وجودا لموجود بالفطرة، فكان الفطرة في قيامها، وكان الفطرة في دوامها، وكان الفطرة في ظهورها بأزليتها في أبديتها، وكان الفطرة بدخولها بأبديتها في أزليتها. وقام وبقي الفطرة في بقائها بصفاتها. وتكاثر الفطرة في تواجدها في خلقيتها. وتجمع الفطرة تتجلى في حقيتها وأحديتها بسرمديتها.

اجتمعت فيه أبعاض الفطرة لقيام أحديتها. وظهر به قانون الفطرة لكشف إرادتها. وكسبت به الفطرة لقيام صفتها لمن طلب الفطرة، يوم آمن بالفطرة، فدخل الفطرة، دخولا في شعارها (لا إله إلا الله)، وقياما بحقها بمحمدها (محمد رسول الله) دخولا في رحمة الله، وقياما لعبد الله، بعبد الله، في عبد الله.

محمد الله حق الله.. محمد الله اسم الله.. محمد الله كلمة الله.. محمد الله روح الله.. محمد الله عَلَمُ الله.. محمد الله عِلمُ الله.. محمد الله قيام الله.. محمد الله قيامة الله.. محمد الله بعث الحق من الله.. محمد الله قيام وقيامة الله، وساعة ويوم الحق من الله.. محمد الله لا إله إلا الله.

محمد فطرة الإنسان.. محمد ابن الإنسان.. محمد أب الإنسان. محمد أخ الإنسان.. محمد فرع الإنسان.. محمد أصل الإنسان. محمد كسب الإنسان.. محمد فرد الإنسان.. محمد جمع الإنسان.. محمد خلق الإنسان.. محمد حق الإنسان.. محمد محدث الإنسان. محمد قديم الإنسان.. محمد قادم الإنسان..

محمد العلم والعالم والمعلوم.. محمد الكتّاب والكاتب والمكتوب.. محمد الحق، وشعار الحق، وقائم الحق في الخلق، وكسب الحق من الخلق، وباطن الخلق بالحق. محمد والأعلى في أحديتهما عرف الله، ومحمد والأدنى في أحديتهما عرف رسول الله، ومحمد ومن يحب في أحديتهما قام عبد الله، وبعث الخلق بالحق من الله.

(الإسلام دين الفطرة) عبارة اجتمع فيها العلم، واجتمعت فيها معالم السبيل للاستقامة، وأشرقت بها منارات الطريق.. عبارة كان فيها جماع البلاغ مع كل مبلغ، وكان فيها كمال البيان من كل مبين، وكان فيها صدق وصدّيقية الإيمان في كل إمام، وعلم ومعالم اليقين من كل راشد، وشعار ومشاعر العارف الرشيد، وقيام وقيومية الروح المرشد.

الإسلام.. دين الفطرة، وكل مولود يولد على الفطرة، فينمو على فطرته في الفطرة بتغذيته من الفطرة، على موائد الفطرة، حتى يستوفي أحديته قائم فطرة، ونعمته قيوم فطرة، أو يطرأ عليه ما يبعده عن الفطرة، إذ يُهوِّده أصوله على ما هم جديد من كانوا، أو يُنصِّره أبواه على ما تخيلوا لأنفسهم على ما خال آباؤهم، أو يُمجِّسه هواه على ما توهمت نفسه. وذلك كله على سنن من سبق في الفطرة، فجلهم من رآه على أمة من سابقيه، وعلى آثارهم اقتفى، يدور حول ظلام نفسه على ما داروا، وحول مادي أنانيته على ما كانوا، بعيدا عن كل كله له فيه من الفطرة، معه أينما كان وكلما تواجد، خَلقه لنفسه وليصنع على عينه وعلى عين ما هو بما يصدر عنه من عمله بمن هو له أقرب من حبل الوريد.

إذا كان الإسلام دين الفطرة، فما تكون الفطرة؟ هل الفطرة هي ما هو قائم مما هو مشهود مدرك، أو ما هو قائم مما هو مدرك دون أن يشهد، أو مما هو قائم لا يدرك ولا يشهد مما هو واجب الوجود وراء كل مشهود، أو واجب الوجود وراء كل معروف للإدراك، أو واجب الوجود بما هو موجود أو لما هو موجود؟

فما هي الفطرة؟ هل هي قيام متدين، أم الفطرة قيام مُدين؟ أم هي القيام والوجود على ما هو منتظما في فعل، ممتثلا لأمر، مستقيما في طريق، مُدركا لما هو فيه قائم، ظاهرا بالعلم، في علمه عنه، ومعلومه له؟ هل الفطرة هي مصدر الدين للقيام وفارضه عليه دون القيام نفسه، أو هي القيام نفسه دون الفارض عليه، أو هي هما مما في وحدة لها تجمعهما فيها؟ أم هي ما لا ندرك ووراء كل ما ندرك؟

الفطرة في الحقيقة هي القيام متدينا في نفاذ قوانين الطبيعة، والفطرة هي القيام المعلِم بآيات وجودها عند مدركها، فالفطرة هي القيام المرسل لمن يعلِّم بثمار عملها، والفطرة هي القيام الماحي لكل جهل بصمداني حكمتها، غير مبق على أي جاهل ببقاء جوهرها، محتفظا بالعلم، مجددا للعالم بحرصها على سلامة الحياة لها.. الفطرة هي كل شيء لأي شيء، وهي كل كون لأي كائن.

فإذا كان محمد عَلَمَ الفطرة، ورسول الفطرة، وثمرة الفطرة، وهدية الفطرة، وصبغة الفطرة، فهو للإنسان صبغة الله بالإنسان، والصابغ بصبغة الله لكل إنسان، هو كافة للناس يوم يقوم ويتقلب في الساجدين ناحرا ظلام نفوسهم، مصليا لربه، يسجد بشبحيته لقدس روحيته، أقرب إليه من حبل الوريد، ينقلب إلى نفسه، فيتكشف له منشوده، فهو كافة للناس، يكونوه يوم يطلبوهم ليكونوهم على مراد الفطرة، في أمرهم، وبهم، {إن الله بالغ أمره}[٢]، (رحمتي غلبت عذابي)[٣]. رحمته خالدة لمن رحم، وعذابه موقوت لمن من نفسه ظُلم. به كانت الفطرة دين.. وكانت الفطرة متدين.. وكانت الفطرة رسول الفطرة إلى الفطرة.. وبه كانت الفطرة هي المرسل لما عرف بالرسول ولما قام بالمرسل إليه.

هكذا قام محمد ليكون صفوة القديم شعارا لثمرة الفطرة به، وليكون أمل القادم من الفطرة بشرى الفطرة لأبنائها، وليكون هدي القيام برحمة وسلام، وبتكاثره بها رسول الفطرة في دوام، دورة أزلها برحمته في أبدها بقيوميته بدين القيمة.

إذا كان الإسلام دين الفطرة، فهل نفهم قضية الخلق وبدء الخليقة وتجدد البدء والخليقة، بعيدا عن قوانين الفطرة في قائم قيامها؟ هل نفهم قوانين الجزاء مستقلة عن رد الفعل في الفطرة؟ هل نفهم أمر القيامة بعيدا عن دورات الحياة في قائم الفطرة؟ هل نفهم يوم الحساب مستقلا عن شهود قانون التداول في الفطرة، لأبناء الفطرة؟ هل نفهم يوم يقوم العقاب بعيدا عن فعل الفطرة في قائم فعل الفطرة بقانون بقاء الأصلح؟

فيوم قال خادم الفطرة ومعلمها مبينا (الظاهر مرآة الباطن)[٤]، كما قال مبلغا {وإن الدين لواقع}[٥]، وكشف بقيامه عن قيام الله على كل نفس، فقد كشف عن قيامة الله بالقائم منه على كل نفس، بأصول الجنس معه بما كسبت النفوس بقديمها، بعثا بمبعوث الحق معه وظلالا له، وإنظارا لمنظرها إلى يوم الفصل مع جديد أمره بقادم أمر له. تبعث معه النفوس ظلالا وإنظارا على ما دار السبق إلى قائمه، ويدور القائم إلى قادمه. فلا يدرك لأي نفس أمرها في الفطرة ما باعدت بينها وبين القائم عليها، بالفطرة في الفطرة، وهذا ما عناه شعار الإسلام بشهادته أنه (لا إله إلا الله)، وهذا ما حققه لنفسه شعار الإسلام (محمد رسول الله) يوم يقوم ويتقلب في الساجدين، محررا العابدين، ناصرا فيهم الرحيم من أمرهم على الرجيم من فعلهم.

إن الذي يفرق بينه وبين ربه في قائم الله لوجوده، يخرج من الفطرة ولن يدخل دين الفطرة، ولن يعلم عن كتاب الفطرة، ولن يضاف إلى الفطرة، إلا في ظل قوانين فعلها في قيامها، من إعدام طالب العدم بالتفريط في أمره والتخلي عن أمانة الحياة له، وإقامة طالب القيام الحريص على أمانة الحياة، الغير مفرط في أمرها أمرا له.

إن الذي يفصل بينه وبين ربه قياما وحياة ووحدانية وأمرا إنما يعتزل الحياة، ويخرج من الحياة بينما هو فيها، إذ يطلب العدم، ويلح في طلبه وينتظره فيتحقق له العدم على ما يريد، بما هو به من الحياة على ما أرادت.

إن الأمور على ما هي قائمة بفطرتها، إذا أردنا أن نردها لأصولها رددناها إلى من جعلته الفطرة أصلا لما بعده، خلقا وحقا، بما جعلته له من بعث بالحق والإنظار، لمن قبله، خلقا وحقا.

فالفطرة في ذاتها وفي معناها لا بدء ولا انتهاء لها، إنما هي دورة البدايات بالخلق ونهايات البدايات إلى الحق فيها منها واليها، ودورة البدايات بالحق إلى تجلياتها بالخلق فيها منها وإليها، ذكر لذكر، فيها وبها وإليها ومنها قياما وانتهاءً، وانتهاءً وقياما في الدورة السرمدية للحياة الخلقية والحقية.

إن كل أمر لا يرد إلى أصله لا يدرك عند متأمله، ولا يعرف ما شابه من الزيف أو من الخطأ، أو من الانحراف. فلكل ما هو قائم بداية قيام ونهاية قيام لأحدية قائمه. أما القبل والبعد من مثاله فهو أمر في حال من الاستقلال والغناء، والقائم بينهما مدرك لهما في إدراكه عنه، فهو رسول مُدرِّكه منه بإدراكه عنه من القبل فيه له، إلى مصطفاه منه ليكونه بمعنى البعد له، وليكون له بقائمه من وراء مختاره من مصطفاه لنفسه ما يمثل الأعلى لنفسه يرتضيه، منه له فيه.

إذا أراد هذا المجتمع أن يرد الأمور إلى أصولها فلا بد أن يرجع بها إلى بدء معلوم له، ولا بدء يعلم لنا إلا بما بلغ إلينا ودلت الأحداث متوالية على صدقه. إنه عصر أول العابدين.. إنه عصر الرسول الأمين.. إنه عصر البلاغ المتجدد الجامع.. إنه عصر البعث والختام للقديم.. إنه عصر القيامة للحق الإنساني.. إنه عصر الندامة والسلامة لبقايا الأمم، خلت الأرض ممن حقق لنفسه الخلاص.. إنه عصر الكرامة والملامة فرصة بإنظار.. إنه عصر الفرق بين الباطل والحق.. إنه عصر الجمع بين الخالق والخلق دورة للفطرة في الفطرة. إنه عصر اجتماع الخلق على الحق في بيان، واجتماع الحق على الخلق في عيان، إذ قال الخالق بلسان رسوله وحقه {قل جاء الحق، وزهق الباطل}[٦] فاستمعت إليه قلوب، ووضعت أصابعها في آذانها قلوب.. إنه اليوم المعلوم.. إنه يوم أمر الله يأتي الناس من أنفسهم، فيبلس من يبلس ويتحقق من يتحقق.. فنستمع مرة أخرى إلى أمر الله بمعناه انشقت عنه الأرض، وقد نصره الله فانتصر على أمر الرجيم لقاليه في معناه دحره الرحمن فاندحر.

(إذا وسد الأمر [يعني أمر الدين على أمر الدنيا] إلى غير أهله فانتظروا الساعة)[٧]، انتظروا دورة الفطرة.. انتظروا دورة الزمان.. انتظروا انشقاق الأرض عني.. انتظروا أمر الساعة.. انتظروا أمر القيامة.. لإمكان اعتدال وضع المجتمع مرة أخرى وقد تركته لكم معتدلا تاركا فيه الثقلين كتاب الله وعترتي. إذا قام هديي بينكم ممن هداني لكم رحمة مهداة لتكونوني وأكونكم على التمسك بهما وُجاءً من الضلال، فإنهما لا يفترقان أبدا. والمؤمن بهما والقائم فيهما معهما لا يضل أبدا ولا يضيع أبدا. أما الكتاب وحده فهديه إلى عترتي يوم يهتدي به المهتدي، وضلاله لأمتي بالإضلال عن عترتي يوم يضل به الضال ويعمل به للضلال المضل. {يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين}[٨]. وأما ذريتي وحدها فلا تختلف عن الكتاب في شيء بحكمة دوام تواجدها قيام حكمة الله به. (فلحمتي مني

وإن نتنت والعرق مني وإن مال)[٩]، فهي بين السليم القويم والعليل السقيم، يتابع السليم قويمها ويفتن اللئيم في سقيمها.

إن أمانة الدين للناس فوق إمارة الدنيا للناس. واليد العليا خير من اليد السفلى. فلا تجعلوا اليد السفلى في موضع اليد العليا، ولا تضعوا اليد العليا في مكان اليد السفلى فينعكس أمر دنياكم إلى كرة خاسرة، والله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر. {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[١٠]، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[١١]، {الرحمن فاسأل به خبيرا}[١٢]، {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}[١٣]، و(كيفما تكونوا يولَّ عليكم)[١٤]،{وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}[١٥]، فما افترق المؤمنون بالله ورسوله عن الرسول في قيام أو إرادة أو فعل، وما افترق الرسول والمؤمنون عن ربهم.. يا حسرة على العباد ما يأتيهم من ذكر محدث إلا استمعوه لاهية قلوبهم.. {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد}[١٦].

أظهره حقه وربه على الدين كله، وشرَّفه ووعده بالحق كله، وأكرمه بالحمد كله، حمده وحمَّده وجعله محمودا عند كل محمد، وأحمد عند كل حامد، وجعله رحمة للعالمين عند كل مرحوم، يقوم ويتقلب في الساجدين في كل تقي، ويهدي ويفعل متجليا بكل ولي، ويتصفه عباد الرحمن في كل رضي.

ولم يجعله به منه حرمانا للآخرين، ولا انقطاعا للسابقين (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[١٧]، ممتدا بنور الله إياه في الناس. (ما أعطيته فلأمتي)[١٨]، وما أرسلناك إلا كافة للناس، يكونوك ويتجددوك، قديمهم وقادمهم وظلالا يتابعوك بحاضرك لحاضرهم. شانئك الأبتر وقد أعطيت الكوثر، تقوم وتتقلب في الساجدين، غيرك في الهالكين، ومتابعك في الخالدين.

كلمة الله التامة تمت خالدة، وها هي أنت ظلالك مسيحها وذاتك ظلها وعبدها، تتردد بين الأرض والسماء بظلالك استكمالا لكائنك لهم مرفوعا متعاليا، أو مبعوثا مدانيا، مخلوقا خالقا، متخلقا متحققا، عالما بما قدمت، ساعيا لما أخرت، علماء الجنس أنت للفطرة ثمارا، وعموم الخلق لك ولظلالك ظلالا، وأرضُك دارا، ومزرعتك ليلا ونهارا، وكل القلوب بيتك مزارا، وكل العقول علمك شعارا، وكل الضمائر حقك جهارا، وكل النفوس أمرك دون الجهر من القول أسرارا، وكل الوجود مُلكك حقا. خلق الله كل شيء من أجلك معنى للناس في جماعهم. وخلقك من أجله معنى للحق بك لهم.

فأنت الناس يوم يكونوا من أجله بحبهم.. وأنت رب الناس معهم يوم تكون فيهم من أجلهم.. وأنت إله الناس من الله يوم يكبروه عنهم ويوم يكبروك لهم يروك معه فيهم.. وأنت عبد الله قدوة وأسوة

يوم يروك رحمته فيكبرون رحمتك.. وأنت الكون والأكوان، تمام كلمة الله وجماع كلمات له، لمن كانك، هبة ونعمة.

محمد كليم الله، وأنيسه يخاطبه: أنت حجابي، من دخلك دخل حضرتي وكان حجابي، وما احتجبت عن حجابي وحاجبي. فأنا لست محتجبا عن حجابي وعمن في حجابي، ولكني محتجب عمن هم وراء حجابي ممن لم يدخلوا حجابي امتثالا لأمري، واستجابة لهديي، وقياما برشادي، واستقبالا لعلمي، وأنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى، ما شئت كان على ما هو كائن، وما يشاء رسولي يكون على ما أراد رسولي أن يكون لمن أنعمت عليه، وأنعم الرسول عليه.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله}[١٩] اعتلوا به المنابر واشهدوه وأكبروه ووقروه، وأعلموه للناس ومن الناس، تعلَّموه واستقبلوه لفطرتكم، وانظروه في الفطرة عليكم.. انظروه من ورائكم بفعله، وانظروه أمامكم بوجهه.. انظروه فاعلا بكم.. وانظروه منفعلا معكم.. وانظروه متطورا فيكم.. وانظروه في أطوار لكم.. وانتظروه في أطوار في طريقها إليكم، واعلموه في علمكم عنكم، واعلموكم في علمكم عنه، واعلموا المثل الأعلى عَلَما على الأعلى ربا لكم، واعلموا الأعلى عبدا لرب تعلموا عن إلهكم، ونزهوا الإله عن الغياب عنكم تشهدوه في قيامكم لشهودكم بمسحكم إليه وموتكم عنكم، وتوفيكم بحقكم فيه قيام الفطرة لقائمكم بها فيها لها عنها.

إن الفطرة رسول الفاطر للسموات والأرض، يدخلها، ويكوّنها، سماواته وأرضه، من رضي بالله ربا، وبمحمد رسولا، وقبله لله عبدا، واستقبل الحق رسولا، في كل ما أرسل، بكل ما أبرزت الفطرة، في كل مكان، وفي كل زمان، واستمع لحديث الفطرة من علماء الحق بالعلم عن الفطرة، (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٢٠]، وما أمته ذكرا محدثا إلا البشرية من بعده، زويت له الأرض، وأُرسل كافة للناس ليكونوه، لا شرف لعربي على أعجمي فيه، إلا بالتقوى، إنه نور المعرفة.. إنه نور الحياة.. إنه نور الحقيقة.. إنه نور الحق.. إنه نور الفطرة.. إنه روح الفطرة.. إنه حياة الفطرة.. ذاته قائم الفطرة، صفاته قوانين الفطرة.. إنه الإنسان ما رأينا منه غير العنوان.. إنه الرحمن لعباد الرحمن.. إنه العلم.. إنه الاسم.. إنه الوجه.. إنه الحق.. إنه لا إله إلا الله.. إنه محمد رسول الله.. إنه العروة الوثقى بين الأزل الرباني والأبد الإنساني.. إنه ذات الرحمة وروح الصفات للقدس الأعلى.

اللهم يا من جعلت من محمد صبغة وفطرة للإنسان.. اللهم يا من جعلت من محمد حقا للتمام والإحسان.. اللهم يا من جعلت من محمد عبدا وربا.. اللهم يا من جعلت من محمد ظاهرا وباطنا.. اللهم يا من جعلت من محمد صبغة لك، ومن أحسن منك صبغة.. اللهم يا من جعلت من محمد وجها لك، لجمالك راحما، ولجلالك محذرًا ومنذرا.. اللهم يا من جعلت من محمد لنا كل شيء، وجعلت منه

إلينا كل شيء.. اللهم يا من جعلت منه رحمة مهداة، ونعمة مزجاة.. اللهم يا من جعلت به أمر الله، وقضية الله، وسر الله، وصبغة الله، ونور الله، وقَدَرَ الله، وعزة الله، وقدرة الله، واسم الله، وكلمة الله، وروح الله، ورحمة الله.. اللهم إليه فأضفنا، وإليه فانسبنا، وبه فقومنا، وقوِّم بنا، وبه على أنفسنا فانصرنا، وانصر وانتصر بنا، وبه فادفع عنا، ولا تمكن الأعداء منا، وبه فقمنا وأقم بنا وفيه أقمنا، يا من جعلت به للفقراء قدرتك، وللضعفاء نصرتك، وللمغلوبين على أمرهم عزتك، وللطالبين لك رحمتك، وكتابك وحكمتك.. اللهم فيه فأدخلنا، اللهم اجعل من نفسه لنا وطنا، ومن وطننا به لنا جنة وسكنا، ومن معناه لنا مأوىً، ومن مأوانا به لنا بيتا يذكر فيه اسمك، ومن أزله وأبده بنا لنا أصلا وفرعا، ومن علميته على معلومه لنا وجودا وذكرا.. واجعل اللهم لنا من روحه بنا حقا، ومن نوره بنا ربا.

اللهم به منه إليه فابعثنا وحدانية ثالوثه من الزمن لدهرك قدس حاضره جامعا لأزله وأبده، ومنا فابعثه وحدانية حقائقه في علميتها على وحدانيتك حقا وخلقا.. اللهم به فقوم طريقنا، وأنر سبيلنا، وأغدق رحمتك علينا، وتولَنا في الصغير والكبير من شأننا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين، يا من جعلت منه رحمة للعالمين.. اللهم به فتولَنا، وبه فانصرنا، واجعل لنا فيه الأولى والآخرة، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

إلى أي مدى يؤثر المرشدون الروحيون على الأنظمة السياسية؟ هذا ما توجه به سائل في الغرب إلى السيد المرشد سلفربرش فأجاب:

(لا تعنينا كما تعلمون اللوحات التي يحملها الناس، ولا الأحزاب التي يصنفون تحتها، إنما الذي يعنينا فقط هو خدمة البشر. ونحن نرى عالما مملوءا بالمهاترة والشر والضغينة، التي تعترض فيض كرم الروح الأعظم من أن يوزع توزيعا حرا بدون قيود. ولذا فنحن نقاوم كل الذين ينتظمون تحت جناح الأنانية، ونعلن عليهم حربا أبدية. نحن نستخدم وسطاء لنا، رجالا ونساءً من كل الأحزاب وبدون أحزاب، من كل الأديان وبغير أديان، من كل العقائد وبدون عقائد، أنَّى تمكنا من إحداث تأثير، أنَّى تمكنا من دفع فرد ليعمل على الإصلاح للتحسين أو التقويم، أو باختصار القول ليقوم بخدمة الآخرين.

أما ماذا يجب أن تكون عليه دنياكم؟ فهذا مشروع معروف وقد تكشف لعدد لا يحصى من الأولياء والحكماء والشعراء والحالمين والمثاليين والشهداء، لكل من نظروا بعين الجمال فأرادوا أن يحولوا عالما منحطا إلى جنة نعيم).

(برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ إشارة إلى الآية الكريمة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} والحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ، فأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولا.

٢ سورة الطلاق - ٣

٣ حديث شريف ذات صلة: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي". صحيح البخاري

٤ عبارة تتناغم مع مقولة من خطبة للإمام عليّ - كرم الله وجهه: "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...". بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

٥ سورة الذاريات - ٦

٦ سورة البقرة - ٢٦

٧ من الحديث الشريف: ".. فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قالَ: كيفَ إضَاعَتُهَا؟ قالَ: إذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إلى غيرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ". صحيح البخاري

٨ سورة الحجرات - ١٧

٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٠ سورة النحل - ١٢٨

١١ سورة آل عمران - ٦٤

١٢ سورة الفرقان-٥٩

١٣ سورة مريم - ٩٣

١٤ حديث شريف: "كما تكونوا يولَّ عليكم." رواه الديلمي والبيهقي.

١٥ سورة التوبة -١٠٥

١٦ سورة الحج - ٣

١٧ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

١٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٩ سورة الحديد - ٢٨

٢٠ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

(١٢)

لبيك

إلى رحمتك نعود وبها نطلب الوجود
يا نور كل موجود ويا معنى كل مشهود
يا حق الحياة وروح كل موعود

حديث العيد

١٠ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ - ٢٢ أبريل ١٩٦٤ م

لبيك.. لبيك.. لبيك.

لبيك اللهم لبيك.

لبيك اللهم على عرفات قلوبنا، لبيك.

لبيك في بعث إنساننا، ووضع أوزارنا، وفرق حيواننا، لبيك.

لبيك نلقاك برحمتك منك، نور الحياة، ونور رسولنا لنا، من حقي أنفسنا بك بنا.. لبيك.

لبيك في محو أنانية أنفسنا لها، وبقاء إنسان وجهك بك لنا، لأنانا، ولمعنانا، ذكرًا لك.. لبيك.

لبيك أنت حسبنا ونعم الوكيل بحقك لنا، برسولك بنا، زويت لنا الأرض مسجدا وطهورا.. لبيك.

لبيك لا إله إلا الله، لا يحاط به، وهو المحيط.. لبيك.

لبيك حق رسول الله، لا يُدرك للنفس أناه. وهو المدرِك لها فينا، قائم معناها، لقائم معناه بنا لمعانينا، البقاء له بلا إله إلا الله، والقيام لنا به عبادا لله، بشعارنا لمعبودنا ومنشودنا، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

لبيك على عرفاتك شعارا لمعرفته ساحة الحق، بها اجتمعنا، وفيها تعارفنا، أعلى وأدنى، ملأً له، وملأً لربه، الله من وراء الأعلى بإحاطته، ربا راعيا لا يحاط به، والله من وراء الأدنى بقربه حقا مدانيا، ورسولا مخاللا، وكتابا هاديا.. لبيك.

لبيك يا من كان العبد فيه حق، حقية الرب فيه.. لبيك.

لبيك يا من كان الرب فيه عبد، عبودية الحق فيه.. لبيك.

لبيك يا من إذا صدق الجوار، أو شَفَّ الجدار، ظهر مصليا على الناس، سكينة لهم، وهو من يصلي عليه الناس، قبلة ومعرفة لهم.. لبيك.

لبيك يا من هو من وراء المصلين على الناس في بيت ذكره.. ويا من هو من وراء الطائفين بالبيت لقائم أمره.. ذكرا للمذكور عندهم بأهله.. بيتًا وضع أو بيتا رفع، قام جماع كلمات، وقيام آيات، ونداء دعوات بينات، ويد نجدة، وأيدي نجدات، وطلعة سعادة، وعديد طلعات، وحوض رحمة، وأحواض رحمات.. لبيك اللهم لبيك.

الناس نفوسا فيه عبدا لله ووطنا لهم سواسية كأسنان المشط، لا شرف لعربي على أعجمي فيهم إلا بالتقوى، نفوس مطمئنة، أقربهم منازل في قيامته بأمرهم وقيامتهم بأمره أحاسنهم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يؤلفون ويألفون.. لبيك.

به جاء الحق وزهق الباطل، يتيما أووي، وموصولا آوى، جعل في أمره أمر الله، وفي اهتدائه هدي الله، وفي متابعته تقوى الله، وفي وصلته قرب الله، وفي قيامه بنوره ماحيا ظلام النفوس وصلة الله، وسفينة الله، وبيت الله، وعَلَمُ الله، وحضرة الله، وحقية الله، ووحدانية الله، وأحدية الله، وظاهر الله لباطن الله، وباطن الله لظاهر الله.. لبيك.

به قُدر الله على ما يليق بالله، وقامت لا إله إلا الله، حصنا لله بحقي الإنسان، ورفع الإنسان شعار (الله أكبر) في ذي المعارج، في لانهائي الله، نعمته لا تجز، وقربه لا يتوقف، وهديه لا ينقضي، ورفده لا ينقطع. وتحددت للإنسان غايته، فإذا هي في لقاء الإنسان، وقيام معنى الإنسان لقائم البنيان ظلا للإنسان.

بهذا قامت الفطرة، وهذا ما صدر عن الفطرة، وبهذا تحققت الفطرة، وبه أصبحت الفطرة خلقا وحقا، وأصبحت الفطرة مصدرا للدين، ودينا للعيان ولليقين.. لبيك.

صارت الفطرة بهذا، عبدا وربا، وظاهرا وباطنا، وإلها ومألوها، وآلها، وتكشف الله، وأسفر الله، وجاء الحق من الله، وزهق الباطل من وهم سواه، وفني كل من عليها بباطله، وبقي كل من عليها بحقه، زويت الأرض لعبده وحقه، وجُعلت مسجدا وطهورا لرسوله وأمره.. لبيك.

هكذا كان، وهكذا هو كائن، وهكذا يكون، لا موجود بحق إلا الله، إذا شُهدت لا إله إلا الله، وإذا دخل موحد حصن لا إله إلا الله، رافعا على نفسه شعارها، مقيما على قلبه حقها، قائما في نفسه وللناس دارها وجوارها.. ذَكَرَها وكان ذِكرَها.. دخلها وكان مدخلها.. دخلها وكان للناس بابها.. دخل دارها فكان للناس دارا لها.. لبيك.

نعم لا إله إلا الله، لا شريك له، والله أكبر، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، معرفةً قامها عبده وأول العابدين عندنا، وأقامها رسوله وجماع رسله بيننا، فكان أول بيت وضع للناس رحمة للعالمين.. لبيك.. لبيك.. لبيك.

في مثل هذه الأيام من كل عام، نحيي أيام عيد الأضحى، فهل بيننا من أضحى لا إله إلا الله؟ وهل بيننا من عرج الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، وهو يقوم ويردد.. لبيك؟

هل بيننا من آل محمدًا بامتداد نوره في الساجدين، وامتداد روحه في العابدين، فصلينا على محمد بالصلة به، والصلاة عليه، والصلاة له، ذكرا لله، وقبلة للناس يلقون فيها الله، فأدينا مناسكنا بالطواف حول معناه، وصححنا صلاتنا، بصلتنا في قيام صلاتنا بحقائق الله في معراج الله، يوم أنَّا في صلاتنا استقبلناه، فملنا، وطربنا، يوم عرفنا عترة رسول الله، وأهل بيت الله، يذكر الله في ذكرهم، ويعرف الله في معرفتهم، فأنشدنا ثملين، (أنتم فروضي ونفلي، أنتم صلاتي وذكري، أنتم حياتي، وشغلي، يا قبلتي في صلاتي إذا ما وقفت أصلي)[1] وناجينا طربين، يا بيت طوافي، يا إيمان اغترافي، يا عرفات حجيجي، يا زمزم ورودي، يا حياة وجودي، يا جمال شهودي، يا جلال سجودي. فقالت قلوبنا... لبيك؟

هل بيننا من قام مثنى وفرادى، فعرف فنادى، يا نعم الحق لنعم الخلق، يا نعمة الحياة، يا سفن النجاة، يا منارات الطريق، يا رفاق الصاحب والصديق، يا دليل السلامة، يا أدلاء الكرامة، يا أعلام القيامة، يا ساعة الرضاء، يا لمحة العطاء، يا تحقيق النداء، يا مأوى الوجاء، يا بيوت الرجاء، يا حصون الالتجاء، يا مصابيح الله، يا وجوه الله، يا عروش الله، يا كراسي الله، يا جنان الله، يا عوالم الله، يا وجود الله، يا عباد الله، يا رحمة الله، هل عرفكم العارفون؟ هل اتقى فقدانكم المتقون؟ هل عشقكم المحبون؟ هل طلبكم المفتقرون؟ هل أسلم لكم المسلمون؟ هل آمن بكم المؤمنون؟ هل أحسن في وصلتكم المحسنون؟ (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[2]، (لا تزال طائفة من أُمتي قائمون على الحق،

لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)[٣]، (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)[٤]، {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}[٥]، (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل)[٦]، ها نحن نحاول.. لبيك.

يا آل محمد.. يا محمد.. يا محمد الله.. يا محمد الوجود.. يا محمد الحق.. يا محمد الحقيقة.. يا محمد الطريقة.. يا آل البيت.. يا ذكر الله قديما.. ويا ذكر الله محدثا.. ويا ذكر الله دائما.. يا إنسانية الله.. يا مذكور الله عند ذكر الله.. يا أذكار الله.. يا معارج الله.. يا حقائق الله.. يا رسل الله.. يا وجوه الله.. يا سفور الله، يا غيوب الله.. يا كتب الله.. يا أنوار الله.. يا أسماء الله، يا ملائكة الله.. يا جند الله.. يا أنصار الله.. يا سيوف الله، يا قدرة الله.. يا بقاء الله.. يا عباد الله.. يا عترة رسول الله... لبيك.

يا عباد الرحمن.. يا أيدي الديان.. يا عضد الإحسان.. هلا إليكم رجعنا، وبكم منكم فيكم استيقظنا، وبرحمة الله أنتم نُجِدنَا، ووجوه الله كرما شهدنا، فرفعنا شعار العيد يوم إليكم عُدنا، فكان لنا إلى الله عودة في عودتنا؟ يا من إلى الله عدتم، فوجوها لله كنتم، وأيدي له امتددتم، مَن عرفكم عيد فكان في عَود وليد، بالحق بكم سعيد، في دثار من خلق جديد.. لبيك اللهم لبيك.

إليك يا رسول الله.. إليك يا حبيب الله.. إليك يا خليل الله.. إليك يا وجه الله.. إليك يا من عرفت الله عبدا له برفيق أعلى، وعرفت الله اسما له، بمحو معناك إلى قائم أمره، لقيوم معناه، في قائم مجلاه برفيق أدنى، بدخولك في حصن لا إله إلا الله رحمة له، ورائدا لنا، وإماما لنا، ورسولا من أنفسنا، حتى نقوم مقامك، ونتحدث في الناس كلامك، كافةً للناس جعلك الله رحمة للعالمين، ونبراسا للصادقين، وإماما للآيبين.. لبيك.

لبيك لا إله إلا أنت سبحانك، إنا كنا من الظالمين. ها نحن إليك نرجع، وإلى الحق نؤوب بتلبية رسولك تلبية لك، نتخذ منه قبلة لنا في دثار بعثه بروحه من أنفسنا، نائما بيننا، تطوف به أرواحنا، وتتجه إلى الله اتجاها إليه قلوبنا.. لبيك.

لبيك اللهم به فاقبلنا.. لبيك اللهم به فارحمنا.. لبيك اللهم به إلى أحضان رحمتك فاضممنا.. لبيك

اللهم بمحمد حققك فأشهدنا، وقنا، وأقنا، وانشرنا، وأعلِ كلمة الحق علينا، وأعلِ كلمة الحق فينا، وأعلِ كلمة الحق بنا، وأشهدنا كلمة الحق منك لنا رفيقا أعلى، ورفيقا أدنى، حتى لا تطغنا نفوسنا بعزتك لنا مؤمنين بالله ورسوله.. لبيك.

لبيك سبحانك لا إله غيرك، ولا معبود سواك، ادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، برحمتك، وبعزتك، وأنت الأرحم، وأنت الأعز الأكرم.. لبيك.

اللهم اكشف الغمة عن هذا البلد وعن بلاد المسلمين، وعن الأرض، زويت لعبدك ورسولك، الكل منه، والكل في رحمتك به، والكل في هديه، والكل في إرشاده، وقياده، وتوجيهه، وعِلمه، اللهم به فارحمنا، وبه فصلنا، وبه فاقبلنا، لا إله غيرك.. لبيك.

اللهم به أصلح أمرنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، غافلين ويقظين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وأعد علينا مثل هذا اليوم، ونحن في حال أحسن، وفي إيمان أكبر، وفي طريق أقوم، وفي نور أسطع، وفي روح أقرب، وفي حياة أعلى، عطاءً منك غير مجذوذ، يا من عرفناك لا نهاية لوجودك، ولا نهاية لعطائك وجودك، ولا نهاية لشهودك، ولا نهاية لقربك، ولا نهاية لعظمتك، ولا نهاية لعزتك، لا إله إلا الله محمد رسول الله.. لبيك اللهم لبيك.

أضواء على الطريق

(تذكروا دائما أننا الذين نرتبط بكم من مستوى الحقيقة الروحية، لا نرتبط بكم كأجسام ولكن كعقول. أفكاركم ومخاوفكم، آمالكم وأشواقكم، رغباتكم وطلباتكم ودوافعكم، منطقكم وأحكامكم، هذه ما هي إلا حقائق بالنسبة لنا، لأنها صادرة من العقل. وليست الأشياء المادية بالنسبة لنا حقيقة، اللهم إلا إذا كانت جزءا مما نصبو إليه من أمور.

تذكروا دائما أنكم روح ولستم جسما، وأن الروح هي الأصل وليس الجسم. إن تعلمكم لهذا الدرس من الصعوبة بمكان ما دمتم متجسدين، ما دمتم في العالم الفيزيقي. ولكن أنتم أرواح وهي الأصول لكم ولستم المادة، ولا يمكن أن تظلوا إلى الأبد متأثرين بالأشياء المادية. ولو أنكم قد تخضعون الروح مؤقتا، ولو أنكم قد تسيئون إلى الروح أو تؤلمونها مؤقتا، إلا أنه لا يمكنكم أن تحطموها. لا يمكنكم أن تطردوها من الوجود.

تعلقوا بقوانين الحقيقة التي تدور حولها كل حياتكم ذاتها، التي يدور حولها كل العالم نفسه، فإنها هي المفاتيح الوحيدة لحل لغز الوجود. نحن نُذكِّر أطفال الروح الأعظم بالمبادئ الخالدة التي يجب أن تبقى، لا في العالم الروحي فقط ولكن في عالم المادة أيضا. فالإنسان لا يمكنه أن يخدع القانون. والروح الأعظم لا يمكن أن يسخر منه، وفي يوم تأسفون تحكم عدالة السماء).

(برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ من أشعار الصوفي ابن الفارض.

٢ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٣ من الحديث الشريف: "لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي على الدِّينِ ظاهرينَ، لعدوِّهم قاهرينَ، لا يضرُّهم مَن خالفَهُم، إلَّا ما أصابَهُم مِن لأواءَ حتَّى يأتيَهُم أمرُ اللَّهِ وَهُم كذلِكَ. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وأينَ هُم؟ قالَ: ببيتِ المقدسِ وأَكْنافِ بيتِ المقدسِ". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة." أخرجه الحاكم.

٤ إشارة إلى حديثين شريفين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي:

٥ سورة الفرقان - ٦٣

٦ حديث شريف: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

(١٣)

الإنسان بآزاله معية الإنسان بآباده في آحاد الوجود، علما على معلومه له قياما للإنسان علما على الإنسان في علمية الإنسان على الحق في الله

حديث الجمعة

١٢ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ - ٢٤ أبريل ١٩٦٤ م

بسم الله، أحدية الباطن والظاهر.

بسم الله، فاطر السموات والأرض باطنا لها، وفطرة السموات والأرض ظاهرة به.

بسم الله، الوجود في فطرته، على صبغته.

بسم الله، أحدية الآحاد فيه، وما وراء وجوه أحديته بآحاده.

بسم الله، الكل لا يخرج منه بعض، ولا يتبعض فيه كل.

بسم الله، كُل كل كل، لا كل له، اللانهائي في معناه، اللانهائي في وجوده، اللانهائي في جوده على موجوده.

بسم الله، لا شريك له، معروفا لا ينكر، واجب الوجود وجودا لا يكفر، قائم المعلوم لا يجهل، ولا يحاط فيعلم.

باسم الله المحيط، وإحاطة كل كائن بشيئه، وعجز كل شيء عن إحاطته بكائنه لحقي عبده.

جاءت رسالة السماء منه أسماءً، إلى قيامه بحقه، تجليا بخلقه، وقياما لأمره، في قائمه بوجوده، فقامت بها الفطرة مصدرًا للعلم، وكتابا للمعلوم، وقامت بها الفطرة مبينة مستقيمة بما علمت، وجددتها الفطرة، كلما هي بفاطر السموات والأرض بجديد وجود تجددت.

جددها في الأرض حضرة وجود بها لأهلها، بدايات. وجددتها في السماء للحق بالخلق حضرة شهود بحقها لأهلها، نهايات. وقامت السماء أسماءً بآزال قيوم بالحق على الأرض، حقا قائما بآباد، فالتقى القيوم للحياة بالقائم بالحياة، والتقى الفقير بالغني، والتقى المفتقر بالمُغني، والتقت النفس بمعيتها من الحق، فقام الإسلام، قياما للفطرة بفاطر السموات والأرض، على السموات والأرض مفطورة بأمره، وبتمام مجيئه بمثال الكمال الإنساني له جاءها أمر الله، عبدا تمت به كلمة ربه في الله، فكملت في الله عبوديته، رسولا من أنفسهم إلى الفقراء والمفتقرين إلى الحقيقة، ينشدونها لأنفسهم، ويبحثون عنها في أنفسهم، ويعنيهم أمر أنفسهم في أمرها، وشأنهم في شأنها، وقيامهم في قيامها.

به جاء المعلم الموعود، والوجه للحق المنتظر لمعاني الشهود، الذي أظهره المطلق على الدين كله، عبدا اجتمع على ربه فكانه، فبعث بالحق وقام به، فكان الدين كله، ومصدرا للدين كله، وطريق الاستقامة بالدين، والانتفاع بأمره والاستقبال لعلمه، فكان ظهور المثل الأعلى واجب الوجود لواجب الوجود.

كلما ظهر، كانت به الساعة العامة، والقيامة العامة متى ظهر، وحيث ظهر. تواجد كلما وجد إنسان للحق، تخلق بأخلاق الأعلى، فقام وعامل بها، بعلم على ما عَلم فعلَّم، وبكلام على ما كُلم فكَلَّم، باستقامة على ما قُوم فقَوَّم، فكان جماع البلاغ والطريق في دورة الساعة باتحادهما في إنسان للحق متجدد، يتجدد في تجدده الطريق والبيان، بدءا ليوم به من أيام الله، به يظهر الحق، إذ يمتد بسره بدءا من كل تكوين، رحمة للعالمين، بعثا للإنسان بالحق المبين من أعلى عليين، رسالةً وتبليغًا وهديا. وبذلك كان الطريق المستقيم للفرد والجمع من أسفل سافلين إلى أعلى عليين في تقويمٍ للنفس في نفسها مرحومة ورحمة للعالمين.

هكذا كان، وهكذا يكون، علما وإنباءً، وإمامة، وريادة، وقيادة. به كان الخلاص، ومنه فاض الإخلاص، فقامت به الحياة، ومنه انتشرت الحياة، بأحواض الحياة من مصاحبيه ومتابعيه، من يومه لأيامه وبليله لياليه. فبالحياة تعطى الحياة. به كانت قيامة الفطرة، تقوم فتقوَّم، وتبعث الفطرة بعثا من بعد بعث.

بهذا جاء ويجيء دائما رسول الفطرة، وعليه قامت وتقوم رسالة الفطرة، وبوجوب وجوده لواجب الوجود كان في الفطرة الكفاية الذاتية للحقيقة، وللمعرفة، وللاستقامة، وللتطور، وللكرامة، فكان دائما خاتم النبيين كلما ختمت له نبوة بآدم، وبدئت به حقيقة بعبودية الإنسان للإنسان في نفس الإنسان.. رجل سلم لرجل في معراج الله.

فلنتأمل في قانون من قوانين الفطرة، حمله بلاغها على لسان رسولها بقول كتابه {إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا}[1]. الفطرة تُنتج شهداءها، والفطرة تُعلِم عن شهيدها لشهدائها، وتكشف عن نظام مجتمعه قائما على شهدائها، شهيدا عليهم، مشهودا من الأعلى، شاهدا به، مشهودا من الأدنى، معنى ووجها للأعلى، مشهودا به فيه، فتكشف عن قانون من قوانينها (خير الأمور الوسط)[2]، إذ تجعل من رسول الفطرة أمرا وسطا، وتجعل من الأمر الوسط أمرًا لله لمن يريد أن يعرف الله، {أتى أمر الله فلا تستعجلوه}[3]، وتجعل من أمته كلمات لله، ومن أهله مسحاء لروح القدس لمعناه (أعطيت جوامع الكلم)[4]. ثم عمم هذا القانون الظاهر به، الواقع عليه في واقع أكبر، إذ يقول الكتاب {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى}[5]، فكشف عن سرمدية بني آدم في الآزال والآباد، وكشف عن معناهم من الأمة الوسط والأمر الوسط.

وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، لا نهاية لجديدهم، ولا توقف لخلقهم، ولا انقطاع لامتدادهم، ولا انتهاء لقيامهم، ولا بدء لأولهم، ولا انتهاء لآخرهم، شهداء على الناس، لا أول ولا آخر لهم، ويكون الرسول عليكم شهيدا، تدخلون في الآزال باستخلاف لجديد، وتدخلون في الآباد بدوام بوليد.

إليه تنتهي المعارف، ومنه تبدأ المعارف، وإليه انتهى القديم، بقديمه مثلا أعلى، وإنسانا في أحسن تقويم، ظهر به ذكرًا محدثا، على مثال من ذكر بأحسن تقويم، لذكر قديم، وأقدم في آزال الله، لا يجز له في الله، به فيه مرتقيا عطاء، ولا ينقطع له منه فيه رجاء.

إليه ينتهي المسير من حاضر طلبا للحجيج، وحوله يقوم الطواف طلبا للمزيد، وفيه بيتا يذكر فيه اسم الله تدخله النفوس المطمئنة، تتم المعرفة، ويتحقق الخلاص، تدخل إلى مأوى للحياة لا انقضاء لها، وتبدأ المسير في الحياة لا توقف لها، وتركب سفينة الخلاص في أمان لا خوف فيها، ولا خوف لها، ولا خوف عليها. إنه نهاية الخلق في طلب الخالق، وإنه بداية الخالق للقيام بالخلق، حقا مصاحبا، رحمة من الله مهداة، وكرما مفاضا.

كافة للناس جُعل، فالمسير معه لا نهاية له سائرا متَابِعا متَابَعا، فبداية متابِعه أن يكون السائر إلى الحق معه ظلا له، فيتصف بالسالك للطريق إلى لانهائي الحق، حتى يكون به ظلا للحق عين قيامه ظلا له، في قيام لظلال الحق من الحق بالحق لا عد لها. جاء بالحق، والحق به في قائم الخلق بالحق قائم، والحق به في دوام يجيء في قائم حقه، في مراقي ومعارج اللانهائي في اللانهائي باللانهائي معبودا، الحق به رسولا وربا راعيا مشهودا.

إن رسول الفطرة يوم جاء بدين الفطرة بعد أن جاءت أبعاض العلم بها مع كل نبي عنها، تجمعت معالم أبعاضها في جماع ذاته لبيته وأمته، يوم قام بيننا محمدًا، وبعث محمودا، وظهر أحمدا، وانتشر حامدا، تمام عيساه وحق آدمه، وروح إنسانه، فجاء بكتابه منه، به، إليه جامعا، فتمت نعمة الله به على خلقه. وما محت الفطرة بكتابه سابق كتبها، وما محت الفطرة بجماعها أبعاضها فيه بأبعاضه لنا. فقد جاء ليتمم، وما جاء ليمحو بل ليجدد ما ظهر من الحق. كما كان من أمره نقض بناء الباطل كلما جدد الخلق بفعلهم للباطل بناء. فلا يدرك كتابه إلا إذا اجتمعت إليه صحفه من كتب سبقه بمعناه، ولا تدرك ذاته جماع رسل الفطرة إلا إذا اجتمعت أبعاضه فيه، بمعنى أمته فردا هو فرده، وبيتا هو بيته، وبيوتا هي مدينته.

إن محمدا كان أمة على ما كانه، تبشيرا به {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا}[٦]، وما كان محمد إلا كافة، وما كان الناس كافة إلا محمد، في مراحل أطواره، وفي مظاهر حكمته، وفي مفاتيح أسراره، وفي معالم أخباره. اجتمع به الزمان في لمحاته باجتماع أمته على وعيه، وما أمته إلا الناس جميعا، زويت له الأرض وجُعلت له مسجدا وطهورا، وجعل بكل لغة في قومها بأهل العلم منها رسولا بما جعل له من نور يمشي به في الناس حيا في مقابره من قلوبهم تنشق عنه أرض القلوب يوم به تحيا قلوبهم بنور الله معه، منكرا على اسمه ومسماه إلى اسم الله وحده.

هكذا ظهر بمحمد كفاية الفطرة لأبنائها، وكفاية الفطرة الذاتية لإعلامها بأعلامها في العلم عنه بها، يقوم ويتقلب في الساجدين معلوم الناس عنهم في علمهم عن ربهم بالعلم عن الحياة لهم، بمثل أعلى بينهم يقوم، {واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم}[٧] .

يظهر بينكم بعباد الرحمن، ويتحدث إليكم بعلماء الإحسان، بما يراه هو عنكم مما يصلح به حالكم، لا بما تشتهي أنفسكم أن تسمعوا من وعود لكم بما تخفي قلوبكم من شهوات أنفسكم، وجمحات عقولكم، ونزوات ذواتكم، زخرف قول من أدعياء معناه لكم، شياطين مردة.

هو خبير الرحمن الدائم، ما عرفتم بالرحمن بينكم خبيرا. وهو عليم الله المتكلم، ما صدرت من صدر أحدكم نفثات الحق، وإشراقات المعرفة، ببيان لعَالِم صادق منكم. (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٨]. إنه النبع الفياض الدائم بالقلوب الحية والضمائر اليقظة. إنه عيون ماء الحياة المتعددة في الأمكنة من الأرض والمعارج من السماوات.

إنه الأزمنة من الدهر بأحياء القلوب، وسرج النفوس المشتعلة، وأنوار مصابيح العقول المشرقة. إنه أحواض الحياة المورودة في كل عالم حي، يرد أهله مياه الحياة ما رأوها، ما لمسوها، ما تذوقوها، ما طلبوها، ما إليها افتقروا فلها وجدوا. عَبَّرت الطبيعة عن معناه في هذا لأهله، بعيونها لمدينة هجرته، كما

عبرت عن انفراده في أحديته بعين ماء بلدة نشأته، لإسماعيل وُجدت ولعبد المطلب كشفت، وبينهما عن الخلق وفي الوجود طُمست.

إنه كفاية الفطرة، لطالب الفطرة، بكنوز الفطرة، بمغانم الفطرة، في كل من طلب الفطرة، مفطورا بها، ومفطورا عليها. إنه الواقع.. إنه الحياة في واقعها.. إنه العَلم لمعلومكم عنكم.. إنه العِلم في كتابه كتابا لكم من أنفسكم، يوم تُرفع أحجبة الغفلة عنكم، يوم تزول حجب الغفلة عن حقائقكم، فتنعكسوا بأبصاركم وبصائركم إلى معلومكم عنكم، وقيامكم بكم، علما عن المعلوم لكم، المعروف بكم، واجب الوجود بوجودكم في موجودكم.

إنكم نعم الأسماء، أسماء حسنى لله، المؤمن بنفسه، القائم بقيامه فيكم في قيامه بكم لقيامه عليكم، بإدراكه لقائمه بنفسه بقيومه لقائم علمه في قيام علمكم من علمه عنكم، وبقائم حسكم في قيام حسه بكم في أمركم منه، لأمره بكم منه وإليه في أمره به، آمرا ومأمورا، وحاملا للأمر منه.. مرسلا، ومرسلا إليه، ورسولًا. هذه هي حقائق الوحدانية في أحدية الإنسان الموحد لله بالله في الله في دين الفطرة.

بهذا يعلم الإنسان الوحدانية يوم يؤمن بوحدانية جنسه، ويوم يقيم بمحبته لربه، ظاهرا بالناس باطنا لهم قبلة، بمحبته لمثال يصطفيه ولنفسه يرتضيه، من مجتمعه وفي زمنه، يراه امتدادا لمعتقده في مؤسس لدين، ومقيم لطريق وتعاليم، إن كان له ذلك يتوحدا معا، ويتواجدا أحدا، فيتكشف وجه الله بأحدهما له بوجهه بالآخر، مرآة له وجها لوجه. (المؤمن مرآة المؤمن)[٩] ، يشهد من هو من ورائه محيط، بمرآة أخيه من ورائه محيط.

بذلك يعلم أنه المعلوم، ولا معلوم إلا الله.. وبذلك يدرك أنه الموجود، ولا موجود بحق إلا الله.. وبذلك يسعد أنه المشهود المشاهد، ولا مشهود إلا وجه جمال الله وجلال الله لعين وجهه.. وبذلك يقوم الحياة، حيا وهو يؤمن أنه لا إله إلا الله الحي القيوم، إذ يشهد أنه لا إله إلا الله في كل مشهود، وما كان حصن لا إله إلا الله، إلا الحق من الله.

أما الله أكبر فبها يظهر الحق برسول الله، وبعبد الله في قيام الله، في فطرة الله، وناموس الله، فيقدر الله حق قدره، ويعرف وجه الحق برسول الله، {قل جاء الحق وزهق الباطل}[١٠]، (والذي بعثني بالحق[١١] - من محمد! [١٢]) (من رآني فقد رآني حقا)[١٣]، و(ما عرفني غير ربي)[١٤]، (أُمة مذنبة ورب غفور)[١٥]، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله}[١٦].

بذلك قام دين الفطرة، وبذلك قام رسول الفطرة، وعن ذلك عَلَّم رسول الفطرة وعَلَمُها، وبذلك قامت آيات الفطرة بيانا لدينها بالآيات في أنفسنا، وبالآيات في الآفاق من حولنا، وبالآيات في

وحدتنا، وبالآيات في فرقتنا، وبالآيات في محبتنا، وبالآيات في مخاصمتنا، فكان التحاب في الله سبيل النجاة، كما كانت المخاصمة في الله سبيل المجاهدة في الله عند المتخاصمين في الله، ما صدقوا، فانتهت بهم دائما إلى سبيل المحبة فيه، وسبيل الخلاص بمراكب سفنه، (ما شاد الدين هذا الدين مشاد إلا غلبه)[١٧]، (هذا الدين القيم أوغل فيه برفق إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى)[١٨]، (إثنان تحابا في اللّه، اجتمعا عليه وتفرقا عليه)[١٩]. كتب الله لهم النجاة، وقد ظهر واقع هذا القانون وعمله فيما انتهى إليه العلماء في الغرب من صفات الإلحاد إلى صفة الإيمان الكامل ومقامات النبوة، بما دخلوا به من مخاصمة على المجال الروحي، وهم يطلبون وجه الحق في الأمر على ما كان عندهم، فخرجوا من أنفسهم على ما كانت إلى جديد لها مجند في خدمة العلم الروحي، ورسالة الروح.

ها هي الفطرة في عصرنا، تتكشف بكتابها وعلومها، ودينها واستقامتها بما تقدم عن علم الروح، العملي التجريبي، المُشاهدة فيه الروح بفعل ومظهر، وإخضاع قضية المعرفة بالروح لقواعد ونواميس العلم الحديث، وإخضاع أمر الصلة بالروح للتجربة والتدريب، وإخضاع المجهول من أمر النفس البشرية للظهور وكشف الغيب للشهادة بعلم الشهادة، بعلم تجريبي، بعلم علماني، بعلم واقعي، بعلم حسي، بعلم معملي، بعلم تفصيلي، بعلم معلل، يبين ويُعلّم عن النفس الأزلية الأبدية للكائن الإنساني الظاهر بأجهزته من أزليته في مظهر الوجود البشري في طريقه إلى أبديته، ليؤمن بنفسه سرمدية وليؤمن بتجلي الخالق بالخلق باطنا لظاهر، وليؤمن بالطريق إلى حقيته ظاهرا لباطن. {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}[٢٠]، {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك}[٢١]. ها نحن في زمان هذا العلم، وها هو ربه وملائكته يقدمه ويقوم عليه. {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه}[٢٢]، {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[٢٣]، {وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير}[٢٤].

ليس من رسالتنا هنا أن نقدم هذا العلم الروحي للناس على ما قدمه مقدموه من علماء الغرب مرة أخرى، لا ترفعا عن هذا العلم وطلبه بما لدينا عن الدين من الدين.. لا.. ولا عجزا عن ممارسة هذا العلم، وإنتاج معلومه بآثاره، وهو ما لا ننكر حقه وفائدته، وقد سَلَّمنا أنفسنا للقائمين به من عوالم الروح، ولكن لأننا، نُستَعمل هنا، من فضل الله علينا ومن رحمة الرسول بنا، لعوالم الملأ الأعلى لمرحلة تالية في رسالتهم بهذا العلم لهذا العالم إكراما لمحمد، وبيئة محمد موعودة بقائم من الحق في دوام.

هذه المرحلة هي من مراحل التطبيق، هي مرحلة الإفادة من هذا العلم، هي مرحلة الإفاضة بالروح من الروح، وتجديد البناء النفسي المظلم بالنور في أشباح الظلام، وتطهيره من أوزاره بالنار لتقوم شعلة النفوس في جلابيب النيام من الناس في هذا القيام. إنها المرحلة الأخطر، وسيتلوها من

المراحل ما هو أخطر فأخطر. إنها الطريق بعد البلاغ.. إنها الاستقامة بعد المعرفة.. إنها العلم بعد التصديق.. إنها التلبية بعد الاستماع للنداء.. إنها الحج لمن يطلب السلام.. إنها الحب لمن يطلب الخليل.. إنها القبلة لمن يطلب الجليل.. إنها الأمان لمن يطلب الدليل.. إنها الاجتماع على الحق بالعلم عن الحق لطالبي الحق لأنفسهم في أنفسهم.

إنها مرحلة تالية يتوحد فيها رسل الملأ الأعلى بالقَيِّمة من الملأ الأدنى، في قائم وحاضر هذا الملأ، ملأ للحق. إنهم رفاق من الملأ الأعلى، هم لنا رفاقا أعلى، يقومون بالحق أرواحا لرفاق من الملأ الأدنى أشباحا لأرواح. فالحق له أدناه ذاتا لروح، والحق له أعلاه روحا لذات، والحق له لانهائية في أعلاه بمعارج الروح، وله لانهائية في أدناه بتجدد الخلق بلا انتهاء بالتكاثر. إنها الفطرة تكشف عن أعز ما فيها، تكشف عن الحق في دوامه، وتذهب بغلالة الباطل، لا بقاء لها بكشفها عن قائم الحق، لا انقضاء له، ولا خفاء له، ولا ريب فيه.

إن علماء الغرب الذين أفادوا من علومهم عن الطبيعة، والرياضة، والفلك، والطب، وعلوم النفس، والفلسفة، وغيرها، فيما علموا من علم الروح، وقد تفضلت الروح بتعليمهم، وتواضعت لتكون مستجيبة لأمرهم، ماحية لشكهم، مقيمة لإيمانهم، مجددة لعقولهم، مسعدة لقلوبهم، مطمئنة لنفوسهم بما وهبتهم مما قدروا أمره لخيرهم بعلمهم، وصفاء نفوسهم، جعلت منهم أنبياء عصورهم، ورسل علومهم، ومصابيح عوالمهم، وداني الحق بقيام الحق بهم لبيوت متابَعتِهم. لقد قاموا بين شقي الحياة، تعلموا وأعلموا في حياتهم وبعد انتقالهم، مواصلين ومجددين ما كانوا فيه في دنيا قيامهم، مقدمين بمواصلة صلتهم جديد علمهم بعد ارتحالهم، إلى ما أقاموا من علمهم في حال قيامهم قبل غيابهم وارتحالهم، مبعوثين على ما ماتوا عليه مما أحبوا. لم تطل بهم سكرة الموت، وقامت قيامتهم بإفاقتهم، عاملين في عالمي الحياة وشقيها من دنييها.

سبحان الله، سبحان فاطر السموات والأرض، لقد قام هؤلاء العلماء بحقائقهم لمعانيهم من الله، ومن اللانهاية، ومن الحياة، بما أنكر الناس على مؤسسي الأديان بينهم، من أنبيائهم، وأوادم أنفسهم.

أنكر قوم موسى أن الذي كلم موسى قَدَّر موسى يوم توفاه على أن يكلمهم، وهو مكلمهم، وقد وضعوا أصابعهم في آذانهم حذر الموت. كما أنكر قوم محمد على محمد أن الذي أشهد نفسه لمحمد مَكَّن محمدا يوم قامه حقا أن يُشهد نفسه لمن يطلب شهوده، وهو مشهدهم معصوبي العيون عمي القلوب. كما أنكر قوم عيسى على أن الذي أقام عيسى في نفسه، وأقام من عيسى نفسا له، وقد جعل منه كلمته وروحه متجددة متعددة، مكن عيسى أن يقيم فيه من يصطفيه، وأن يقوم في الناس بمن يرتضيه، وقد

جعل منه الأعلى مثلا ضرب للناس ليرتضوه لأئمتهم من أنفسهم، ضَمِن الله قيامه بمن يهدي الله فيه، يهتدي ليهدي.

إن مثل ليونل باريمور، الروحي الذي كان عمله في الحياة الدنيا ممثلا ناجحا، عبر بطبيعة حياته ووظيفة شبحه تعبيرا فطريا عن معنى الحياة البشرية، أو الحياة الشبحية من أنها ليست إلا مظاهر مسرحية، ولقطات سينمائية في تمثيلية الحياة الدنيوية على مسرحها من الأرض، وقد كان مؤمنا بالرسالة الروحية، منشغلا بها، استطاع بعد غيابه عن الأرض أن يعود إليها، وأن يتخذ وسيطا له منها، وأن يواصل علمه فيما عَلِم، وأن يُعلم بما عَلِم، ومثلِه من المشتغلين بالعلم الروحي الحديث الكثيرون، فضلا عن الأقدمين.

سبحان الله، إن موسى لم يصل عند قومه إلى هذا المعنى، ومحمد لم يصل في قومه إلى هذا المقام عند من ينكرون عليه صلته بمن اتصل بهم منهم، وعيسى لم يرَ في أمته في هذا المجال وهو المثل المضروب لهذا عند المسلم الفطري الصادق لكل داعي صادق.

صدق رسول الفطرة، (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٢٥] .. صدقت يا رسول الله، ها هم أصحابك، برجسون، وكروكس، وباريمور، وغيرهم، ها هم يظهرون، بما هو لك من الله، وبما أنكره عليك قومك من الله، ها أنت يُمكنك الله أن تجابه مكذبيك، وأن تخزي شانئيك، وأن تجبه جاحديك، فتظهر بما أعطيت من الكوثر، حقا يتكاثر من ذاتك وروحك، وتكون ببيتك وأهلك أولى بالمؤمنين من أنفسهم، لا شرف لعربي على أعجمي عندك إلا بالتقوى، متخلقا بأخلاق ربك صاحب النور، تمشي بنورك في الناس، مزوية لك الأرض، مظاهِرَة لك السماء، منكرا على ذاتك، فما كان المؤمنون بك إلا المؤمنون بالفطرة، أنت عنوانهم، وأنت عنوانها لهم، وأنت باطنهم، وأنت مظهرها بهم، وأنت حقيقتهم، وأنت حقها لهم وجوهرها بهم.

فما كانوا إلا المؤمنين بالعلم أنت كتابه، وأنت قلمه وصحائفه، وأنت حروفه وكلماته، وجمعه وجماعه وألواحه.. أنت نور الكتاب ومصباحه، أنت الكتاب حيا بعترتك، وحروف الكتاب حية بأمتك، يوم يحيا الناس بالكتاب حروفا له، إذ يحيون بك، خلايا فيك، وظلالا لك.

يا كتاب الله.. يا عترة الله.. يا حضرة الله.. يا نور الله.. يا وجه الله.. يا وجوه الله.. يا قائم الله.. يا قيوم الله.. يا اسم الله.. يا حق الله.. يا رسول الله.. يا حقية عباد الله.. وحقية الرب رحمةً من الله.. بك كان الله من وراء الرب، ومن وراء العبد بحقه في عين تجليه بهما رفيقان وخليلان وحبيبان ووجهان، لا شريك له من رب أو عبد إذ هو عين موجودهم، فلا شريك له من وجوده بهم.

يا من حملت شعار لا إله إلا الله، ورفعت شعار لا إله إلا الله، وحققت لنفسك في لا إله إلا الله قيام لا إله إلا الله ذكرا محدثا، لعين ذكر قديم في الله، لا أول له ولا آخر له.. في الحق لا أول له ولا آخر له.. في العبودية لا أول لها ولا آخر لها.. في الحقية لا أول لها ولا آخر لها.. في الخلقية لا أول لها ولا آخر لها، وكنت بمعناك أولا فيه لمن بعدك، وبيانا به ممن قبلك.

يا كل شيء، لمن أراد أن يكون في الله كل شيء، فكان بك كل شيء ممن هو كل شيء، وممن هو من وراء كل شيء، وممن هو منزه عن كل شيء. اللهم به كن لنا كل شيء لنا، وكل شيء من حولنا.

هكذا كان الرسول إنسانا ورسولا لله قبل أن يكون لعلمنا، وعلى هذا كان على ما كان عندما كان لعلم من قبلنا، وبهذا يكون بعد الذي كان لعلم من بعدنا، فما غاب له في الكون كيان إذ هكذا هو كائن، على ما هو في دوام كان ويكون، وهكذا لطالب يكون، ما قام في كائنه ليكون رحمة للعالمين، وكافة للطالبين، وهدية للصادقين، ومنارة للمتقين، وحوضا للمفتقرين، وسبيلا للمجاهدين، في كل أمة وفي كل حين.

ها هو الغرب، وقد كنا نرى فيه غروب الحق، بجهلنا، فإذا هو الشرق، لقلوبنا ولوعينا. وها هو الشرق وقد آمناه مشرقا في دوام بموروث كبريائنا، فإذاه بنا مسجى في الظلام والجهل والغفلة عن الحق، يلوك اسم الله لفظا لا واقع له فيه، وبغروب شمس الحق فيه عن أهله، غفلوا عن ذكر الله لقلوبهم، فتناساهم الله إلى أنفسهم، بهم صار مشرقهم مغربا، {أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى}[٢٦].

أما الغرب فقد انقشعت حجب الغفلة عن أهله بصائر، فقاموا بعلوم الحق، بعد قيام بعلوم الخلق، انقضاءً للقضاء فيهم، بالغلبة للرحمة عليهم، رحمته غلبت عذابه، وأمره بالغ في الناس مراده، ما تشكك الناس في أمر أنفسهم من ظلام قيامهم، فأحسوا بالافتقار إلى نور الحق لقلوبهم، فأشرقت شمس حقيقته على أرضها، من دحية صدوره، دحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها. وتلك الأيام يداولها بين الناس، فقد زاحم الغرب الشرق على دينه وعلمه ودنياه ومدنيته، فزحمه يوم غفل الشرق، مُسيئًا الاستقامة في سلطانه بدينه، مستذلا الغرب بعزته.

ها هي لفتة من لفتات الفطرة، نثيرها في العقل صحوة من صحوات الفطرة، تجديدا لدين الفطرة تأتي به من الغرب، وقديما أتت به من الشرق، بما أقامت البشرية لنفسها، بيقظتها لقديمها، إحياءً للرجاء عند قائمها وقادمها، بفعل من قديمها وقائمها، بما أقامت من معالم لعقائد وطريق الفطرة، بما قام من العلم الروحي على الأسس العلمية الحديثة، من التجربة والمشاهدة والإحصاء، للكشف عن أسرار

الروح في انطلاقها، بتعاليمها للأرواح في أكنانها بأشباحها، حتى يتكشف لها حجاب الغفلة عنها، وتصحو إلى فجر يومها من سَحَر ليلها، ملبية مآذن الصباح، متنبهة إلى قرب فجر الإصباح، يشرق بنوره وبدفئه وضحاه على أرض القلوب، فتصحو من نومها بمعرفة النفس عن نفسها، وبقيام العقول في واجب وعيها، وبإحياء القوالب، دور عوالمها، ومعالم بيوتها.

إنا ننتظر الكثير من العلم الروحي الحديث، وإن أول الغيث قطرة. إن علم الروح الحديث، وقد بايعه علماء كل علم، ليكون سيد العلوم، وليكون إمام كل معرفة، وليكون قوام كل معلوم، وغاية كل عالم، سيأخذ طريقه بيننا في شئوننا بفاعلية وواقع لا ينكر ولا يقاوم، فها هو تتطور به الفلسفة والحكمة، وها هو يتطور به الدين والعقيدة، وها هو يتطور به العلم إلى جديد معلوم، في كل شعبة من شعب العلم والمعرفة.

وسيأتي اليوم الذي يسعد فيه الناس بهذا العلم، يمتد واقعه إلى حياتهم الفردية، وحياتهم الجماعية، وحياتهم الشعوبية، وحياتهم الحكومية، وحياتهم الإنسانية، وحياتهم الديموقراطية، وحياتهم الاشتراكية، وحياتهم الفاشية، وحياتهم الأرستقراطية، وحياتهم الرأسمالية، وفي أي ما يكون لهم من أوضاع أو عقائد أو نظم أو ضرورات، تنظيما للحياة البشرية على الأرض، وربطها بالحياة الإنسانية في جميع مستوياتها.

سينطلق هذا العلم لينظم الحياة البشرية ارتباطا وتناسقا مع حيواتها الروحية في كل ناحية من نواحيها، وفي كل مجال من مجالاتها، وهذا ما بشرت ووعدت به رسالة الفطرة، وهذا ما عَرَّفت عنه وأوصت به رسالة الفطرة، وبدأته ليقوم. وهذا ما دعت إليه وحذرت من الغفلة عنه أو تعطيله.

وهذا ما قام به رسول الفطرة وأهل بيته، وعترة الفطرة من صحبه ومتابعيه، كلمات لله، ورعيلا أول له من حاضر هذه البشرية، ما زال له ظلالا يظاهرها من صلح لمعنى الإنسان من آزالها.. حضرات حقية بملئها لحقي ملئه بها، وهذا ما به قام ويقوم الرسول، وما به بقي ويبقى، وما به تجدد ويتجدد، وما عليه عمل ويعمل، وما به كرم ويكرم بدائم المحبة، {قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا}[٢٧]، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٢٨]. كان برسالته رحمة للعالمين، زويت له الأرض، وجعلت له مسجدا وطهورا، فكان علم الفطرة حقا، ورسولها صدقا، وكانت الفطرة مجندة بقوانينها لنصرته فعلا، وكان للناس شعار الحب والسلام دوما.

اللهم يا من جعلت من محمد عبدك ورسولك وحقك وبيتك وذكرك، قياما دائما إعلاما عنك، جديدا في جديد الخلق، وقديما في قديم الخلق، وباقيا في باقي الخلق، ذاهبا مع ذاهب الخلق، وآتيا مع آتي

الخلق، شعارا لقائم فطرتك.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فأكرمنا.. اللهم به فجددنا.. اللهم به فأعلِ كلمة الحق علينا، وأعلِ كلمة الحق بنا، وأعلِ كلمة الحق فينا، وأعلِ كلمة الحق منا.

اللهم يا من جعلت منه حوض الحياة، أوردنا حوضه لنحيا.. اللهم يا من جعلت به مصباح الحياة، اللهم أشرق بمصباحك به على قلوبنا لتحيا.. اللهم يا من جعلته جذوة الحياة من نار الحياة المشعلة، اللهم أشعل به جذوة نفوسنا خاملة، وأحيِ أرضنا هامدة، ومهد به طريقنا مستقيمة.

اللهم يا من جعلته سلاما لمن دخل سلامه، فأدخلته في سلامك، فكان له منك السلام، أدخلنا سلامك، وأدخلنا في السلم معه حتى ندخل في السلم معك.. اللهم يا من جعلت الإسلام في الإسلام له، وطلبت إلينا التسليم له والصلاة عليه، ارزقنا به الأمان معك.

اللهم يا من قمت على كل نفس بما كسبت، اللهم لا تجعل لنا كسبا إلا ما أردت بنا بمرادك بخلقنا عبادا لك، يا من هو الخير ومنه الخير، ويرضى الخير ولا يرضى إلا الخير، اللهم ارزقنا الخير واجعلنا من أهل الخير، واجعل اللهم منا خيرا لمن يطلب الخير.

اللهم اجمعنا على امتداده بنورك معه في عباد رحمتك بيننا ومن أنفسنا قياما له وظلال رحمتك به، فقد علمناه بكتابك فينا وبيننا، فلا تحرم برحمتك أيدينا من الامتداد إلى يدك بيننا به، مبايعين على أنفسنا لظلال نفسه، مُسلِمين لحقك وأمرك به لقائم وجهك. لا إله إلا أنت ولا معبود سواك. الكل في السماء قبل الأرض عبدك، والعبد للعبد حقك.

أضواء على الطريق

(من أكثر الأمور المحزنة لنا أنّا مضطرون في أكثر الأحيان أن نقف مكتوفي الأيدي، معدومي القوى، ونحن نشاهد من نحبهم في جهاد مع إحدى مشاكل الحياة، عارفين أنه يجب علينا ألا نساعد في ذلك الدور، وأن نموهم وترعرع خلقهم، وتقوية روحهم، يتوقف على تصرفهم للخروج من المأزق، إذ لديكم إرادتكم المطلقة، وأنتم من تقررون كيف تستعملونها بناء على ثاقب فكركم، وحالة تطوركم، ودور نموكم. ونحن بجواركم لنساعدكم عندما نستطيع، وعندما تكون المساعدة لخيركم.)

(برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة النساء - ٤١

٢ حديث شريف أخرجه البيهقي في" سننه" بلفظ، (أَمْرًا بَيْنَ أَمْرَيْنِ، وَخَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَطُهَا.) (ضعيف). وكذا أخرجه مطرف والديلمي بلا سند عن ابن عباس مرفوعا.وقد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلا.

٣ سورة النحل - ١

٤ جزء من حديث شريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أَعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ". سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٥ سورة الأعراف - ١٧٢

٦ سورة النحل - ١٢٠

٧ سورة الحجرات-٧

٨ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٩ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

١٠ سورة الإسراء - ٨١

١١ العبارة الأولى هي قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه. وعبارة (من محمد!) عبارة تشير فيها علامة التعجب إلى التنبيه إلى أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس مجرد شخص يحمل هذا الاسم، ولكنه نور، وسراج منير. لذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "من رآني فقد رأى الحق."

١٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٣ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُني." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

١٤ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكتّاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي". ولم نستدل على سند له في كتب الأحاديث الشريفة.

١٥ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةٌ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك. ويعتبره المحدثون ضعيف الإسناد.

١٦ سورة الحديد - ٢٨

١٧ من حديث شريف: "إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولنْ يشادَّ الدِّينُ أحد إلاَّ غَلَبه فسدِّدُوا وقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، واسْتعِينُوا بِالْغدْوةِ والرَّوْحةِ وشَيْءٍ مِن الدُّلْجةِ." رواه البخاري.

١٨ حديث شريف: "إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، فإن المنبَتَّ لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى." أخرجه البزار والحاكم، وكذلك البيهقي باختلاف يسير. وأخرجه أحمد " إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق".

١٩ من الحديث الشريف: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ." صحيح البخاري.

٢٠ سورة الإسراء -٨٥

٢١ سورة الأنعام - ١٥٨

٢٢ سورة القيامة - ١٨:١٩

٢٣ سورة النحل - ١٢٨

٢٤ سورة الشورى - ٢٩

٢٥ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٢٦ سورة طه -١٢٦

٢٧ سورة الشورى - ٢٣

٢٨ سورة الأحزاب - ٦

(١٤)

الرسول بأحدية إنسانه
لقديمه وقادمه
عنون الحق بقائمه
كافة للناس ما طلبوه والمثل الأعلى لهم ما تبعوه

حديث الجمعة

١٩ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ - ١ مايو ١٩٦٤ م

الحمـد لله

الحمـد لله

الحمـد لله الذي أظهر محمدًا على الدين كله. وأظهرنا به على الدين كله.

الحمـد لله الذي أقام محمدًا بالأمر كله. أُلحَقنا به، فألحقنا بالأمر كله.

الحمـد لله الذي أضاف محمدًا بكله إلى الله عبدا وربا، والذي أقام بمحمدٍ كله حقه ومعناه، فقامه حقه ومعناه، وألحقنا بمحمد، وقامنا به على ما ألحقه بربه، وعلى ما قامه به، فكان الحق في أعلاه، والحق في أدناه، روحا لذات، وذاتا لروح.

الحمـد لله الذي أشهد محمدًا أنه لا إله إلا الله، وأشهدنا به أنه لا إله إلا الله، وأشهد الكون بقيومه عليه وبقيامه به، وبميثاقه له أنه لا إله إلا الله، فشهد بالله أن محمدًا هو الحق من الله، وأن محمدًا هو العبد لله، وأن محمدًا هو رسول الله، وأن محمدًا هو رحمة الله، وأن محمدًا هو نور الكون، وروح قائمه وقيومه بالحياة في الله، ولله، من الله، وإلى الله. إذا ذكر ذكر الله.. رسول الله.. عبد الله.. حق الله.

الحمـد لله الذي قام محمد فيه من وحدانيته بتوحيده، وأقامه فيه بواحديته رحمة مهداة لوحدانية عبيده. قام فيه موجودا ذاتا ومعنى، وقام فيه معنىً ولا خلقي وجود له، وقام فيه به شاهدًا كما قام فيه به

مشهودا عين من شاهد، وقام فيه غيبا ولا مشهود له ولا شاهد منه، كما قام فيه ظاهرا عين الوجود له، وعين الشهود له، وعين القيام له، وعين الوحدانية له حقا منه ووجها له.

نعم.. كيف لا، وقد أظهره قديمه على الدين كله، وجعل منه الدين كله؟ {أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم}[1]. كيف لا، وقد آواه، ولنفسه اصطفاه، وياقوتة أحدية ذاته تجلاه، واسما له عناه، ووجها له، أطلعه وسواه؟ سواه بقديم له، عينه ومثاله، وسواه بجديد منه، لعينه ومثاله...

فكان خير الأمور لله في الله، وتمام أمر الله.. كان الأمر الوسط.. كان الأمر المخالِل، والأمر المخَالَلِ في خلة لا بدء ولا انتهاء لها.. كان الأمر المحب، وكان الأمر المحبوب، فكان الحب وقدسه في أزله وأبده، فكان في معناه وفي مجلاه الحب بعينه وذاته وطريقه وجوهره ومغزاه. كما كان الخلة والمخاللة في قائمه بقيامه قلبا وروحا.. كان قائم الحق المخالِل للأزل، وكان قائم الحق المخالَلِ للأبد، به تكشف الحق لطالبه، يوم أن قام القائم في قائمه، يقوم ويتقلب في الساجدين.

ما جعل لحق تجلى به الواسع العليم في جلباب من الخلق، في عالم التقييد والمقيدات بمقيد من بشر، ليكون في تجليه به في دوام، وليكون بإيمانه في سلام، وليكون في قيامه بيانا بحكمة. ما جعل لبشر من قبله في معناه الخلد بمعناه بالحق في صمد الله، وفي دائم الله، وفي قائم الله، وفي قيوم الله.

ولكنه بوصف حقه، ورسوله لخلقه، أعطي الكوثر في قديم وجديد لوصف خلقه بقائم حقه، ولوصف حقه بقائم خلقه. يسري بنوره في الناس، يقوم ويتقلب في الساجدين، زويت له الأرض فكان الناس أجمعين، يطهره من الذين كفروا، ويجعل الذين آمنوا فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، إلى اليوم المعلوم، إلى يوم انشقاق الأرض عنه في دورة ظهوره عليها تمام كلماته إليها وآدما لهم، رسولا من أنفسهم، يتوحد مع قبضة النور الإلهي للسموات والأرض في جديد وجود للسماوات والأرض به.

نعم.. رضيه الواسع العليم ليكون المثل الأعلى للناس ما طلب الناس أن يكونوا في الله أحياءً، فيعرفوهم عباد الرحمن.. فيعرفوهم حقائق الإحسان.. فيعرفوهم أسماء الله.. فيعرفوهم وجوه الله من ورائهم بإحاطته، وعليهم بقيوميته، وبهم بقائمه، يوم يشهدوهم لا إله إلا الله، ويوم يدركوهم اللهم، لا إله إلا هم، وما هم إلا إلههم، وما إلههم إلا هم، وليس غيرهم. آلهة هم العبيد، وعبيد هم الآلهة، أآلهة مع الله؟

عباد لله مربوبين، وعباد بالله رابين، قوالب وقلوب، قلوب رابية، ونفوس مشتعلة، ومشاعل عالية، سُرج الله في الوجود، وأقمار الله للشهود، وأرض الله للسجود، وصفات الله لكل سعيد مسعود...

علمهم قديمهم ما علم الحق أوادمهم وآباءهم. علَّمهم الأسماء كلها في تكاثرهم بالحق حقائق له، وأسجد لهم من صُنعِهم ملائكتهم من فعلهم وفعله بهم، فسجدوا لله لمعانيهم، بنار أشواقهم، وباحتراق مواجيدهم، شوقا لموجِدهم، وشكرا لمسعدهم. أحبهم الله فأحبوه، وطلبوا الله ففي أنفسهم وجدوه، فأنكروا على أنفسهم عبادا له عرفوه، فبهم، منه فيهم شهدوه، {ما كذب الفؤاد ما رأى}[٢].

وصلتهم أنوار إحاطته من ورائهم وجوها له بنور الرسول وجه شهودهم، رحمة مهداة إليهم فنزلت عليهم سكينته. وتلاقت الأنوار في بيوت الأسرار من قلوب الأحرار، فشُغلت الدار بأهل الدار، بيوتا يذكر فيها اسمه. وصلى الله وملائكته عليهم، وقد أخرجهم من الظلمات إلى النور، فشهدوا ملكوت الله بين جوانحهم...

فكانوا ذات الصدور للخير وللحبور. كانوا ذات الصدور لكل ما صدر عن الله وجودا. ربانيين قالوا للشيء كن فكان، وللوجود تواجد فوُجِد، وللعوالم انتظمي واستعدي، وأمرك للقائنا فأعِدِي، عبدا عدهم عدا، وكلهم فيه آتيه، يوم يسفر بوجه الحق فيه. الكل له عينه عبدا وحقا، يقومهم فردا ويأتي الأعلى عينه حقا ووجها. فالكل من وجوده تواجد، عنت الوجوه للحي القيوم، بعبده حيا قيوما، ذِكرا مرفوعا على وجوده، وحقا قائما، وبيتا موضوعا على شهوده.

كان لي شيطان من وجود، ولكن الله أعانني عليه فأسلم لي بالسجود، ودخل وما فيه حِطة، مطأطئ الرأس، خاشعا من خشية الله، يستقبل وجه الله، بمن عرفه في قديم آدم الله، وعبد الله، ورسول الله، ووجه الله، وحق الله، {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك}[٣]، يوم يبقى عليها من يبقى ممن هم عليها، وقد أعطى الرسول البقاء والكوثر بالبقاء والظلال للدوام وللقاء. وجعلت عقبى الدار له حيث تواجد وكان له جوار.

فالناس بين قلوب وقوالب، يظهر الحق في وحدة القلوب وسرمدية القوالب، بيوتا لله من قلوب قبلة لعوالم، بيوت ترفع وتوضع في عوالم لله من قوالب للقلوب فيها بيوتا وعوالم تتواجد البشرية، وبها تظهر الإنسانية، ومنها تتسع وتتوالد الأوادم والعوالم.

إذا كان علم الروح في عصرنا هذا يبدأ ليجعل من أولى حقائق الدين وأخطرها عن خلود النفس البشرية، كنفس إنسانية لها حق الأبدية، بإرادة نوعها من الأزلية، موضوع تعريفه، فنحن بهذا في بداية السلم، ونحن في أول الطريق لهذه الرسالة، ونحن أمام البيت الموضوع يتكشف بابه، ونحن أمام

أسوار المدينة يظهر مدخلها، وها نحن نقف اليوم في ميناء هي مرفأ السفينة. إن أول الغيث قطرة ثم ينهمر.

صدق الصادق ورسول الصدق، (العقل أصل ديني)[٤].. {إنما المؤمنون أخوة}[٥]، المؤمنون بالله لأنفسهم.. المؤمنون بالله على أنفسهم.. المؤمنون بالله في أنفسهم.. المؤمنون بالله في فطرتهم.. المؤمنون بالله من ورائهم محيط.. المؤمنون بالله لا شريك له، ولا تعدد معه.. المؤمنون بالله المشاهدون للا إله إلا الله، في شهودهم لدينهم، ولعلمهم، ولعقيدتهم، ولاستقامتهم، ولفعلهم، ولمعاملتهم، ولمناسكهم، ولعالمهم، ولوجودهم، المتبين لهم الحق في كل شيء، {فأينما تولوا فثم وجه الله}[٦]، مالكم {إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنون}[٧]، (الإسلام دين الفطرة)[٨] ، و(لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)[٩]، الله {قائم على كل نفس}[١٠].

إن المؤمن، والرسول إليه، والمرسل للرسول ربا له في قائم الله لا إحاطة به، ولا توقف لنعمائه، ولا جذ لعطائه، إنما هم في الله حق واحد، وأحد واحد، وهذا هو تعديد الإسلام، بتثليث وأكثر في الله ذي المعارج، وهذا هو توحيد الإسلام لثلاث من الحقائق فأقل أو أكثر. لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بما هو عندكم مما أظهركم الله عليه، وقد أظهر الرسول على الدين كله. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، إن الله معكم جميعا بصفاته، ولكن الله مع الذين أحسنوا برحمته، يخص بها من يشاء، ويجعل حوضا لها من اصطفى ممن سبق أن شاء، الله أعلم حيث يجعل رسالته. وما كان الرسول وما بعث رسولا ثمرة دورته من ظهوره برسالته، ولكن كان بعثا بالحق لسابق اصطفاء من خلق. ما كانت حقائق الله بعباده إلا جديد قديمها.

إن أمانة الدين عند من أؤتمن عليه هي يد الله العليا، وإن أمانة الدنيا عند من أؤتمن عليها إنما هي يد الله السفلى، ويد الله العليا خير من يد الله السفلى، فما نزل الله بأمانة الدين يحملها الإنسان ليكون عند قدم أمانة الدنيا يحملها الإنسان، ولكن جُعل الإنسان يحمل أمانة الدنيا لا يستقيم في الله أمره، ولا يتحقق في أمره عدله، ولا يتوفر له في ابتلائه خلاصه، إلا إذا كان عند قدم أخيه الإنسان يحمل أمانة الدين يدا عليا لله.

إن الخدمة الزمنية في أمانة الدنيا، وإن الخدمة الأبدية في أمانة الدين، وكلا وعد الله الحسنى ما استقام فيما أقامه أو به فيه قام.. وكيف يخضع الأبد للسلطان المؤقت ودائم السلطان له! ولكن استقامة الأمر إنما هي في إخضاع التوقيت للأبد صاحب السلطان الدائم وظاهر الأزل، {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم}[١١] وهو معنى السيادة، {ورسوله}.. في معنى القيادة، {والمؤمنون}.. في معاني يده ووجهه. وقل اعملوا فسيرى الله عملكم.. في معنى الوجود، {ورسوله}.. في معنى الشهود، {والمؤمنون}.. في

معنى مصابيح الحكمة، وسبل الهداية. وقل اعملوا فسيرى الله عملكم وهو الإطلاق لا حصر له، وهو الشمول لا تبعيض له، وهو اللانهاية لا عَدَّ له، {ورسوله}.. وهو الحق في قيامكم، {ورسوله}.. وهو الحياة لهياكلكم، {ورسوله}.. وهو الحكمة لمنابركم، {ورسوله}.. وهو السبيل لخلاصكم، {ورسوله}.. وهو السفين لمراحلكم ولسيركم، {ورسوله}.. وهو الكتاب لأطواركم ولمعالمكم، {والمؤمنون}.. وهم لمعنى الرسول جديده وعديده.

إن إمارة الدنيا ابتلاء، وإن أمانة الدين حق وجزاء. تجتمعان فيجتمع البلاء والجزاء، وتفترقان فيفترق البلاء عن الجزاء. {ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض}[١٢]، {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون}[١٣]. (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة)[١٤]. إن توسيد أمر الدين لأهله، وأمر الدنيا لأهله، فيه استقامة الأمور، وكشف لأحواض الحياة والدعوة إليها. إذ تصبح الدولة الزمنية في خدمة الدولة الأبدية فتصبح الدنيا مزرعة الآخرة، وهو ما يقيمه الحق في الناس للناس، كلما ظهر بينهم رسول من أنفسهم في ساعة من الزمان بحياة ورسالة إنسان، هو يوم الجمعة لأيام وليالي الدهر لهم، هم في يومه ما دامت الرسالة قائمة مشرقة باستقامة عليها، وهم في ليله بإغفالهم لها باسم إعمالها وزعم القيام فيها، {إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا}[١٥]، مثلهم {كمثل الحمار يحمل أسفارا}[١٦]، {يحرفون الكلم عن مواضعه}[١٧]، {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد}[١٨]. وهذا ما قدمت تعاليم الدين الهدي فيه لتجديده كلما اختفت أو فسدت معالمه أو تهدمت عمده.

المؤمنون.. هم ظلال الرسول ظلا لله. قام الله بوحدانيته وهو الواحد الأحد، ظاهرا بظله برسوله مظهره متخلقا بأخلاق ربه، رفيقا أعلى وعلما على الأعلى إلى المطلق من إنسان قديمه والأقدم إلى الأزل، لإنسان ذكره في جديده والأحدث إلى الأبد، بإنسان ذكره في قائمه وما يصدر عنه من ظلال له. فالمؤمنون بالله ورسوله للرسول ظلاله إذا ذكر، ووجوهه إذا تكنز، وأسماء الله يوم يذكر الله وحده، بحقه برسوله في الأكبر للمطلق.

هكذا كان الرسول وربه والمؤمنون، والرب وربه والمؤمنون، في قائم معنى الله. تنزه الله في معناه وفي حقيقته عن البدء، وتنزه الله في واجب وجوده عن التوقف بالتجلي. وما تجليه إلا تواجد الوجود به فيه بوجود متسع منفعل في موجود وجود أكبر، ومن موجود وجود أكبر.

وما تواجد الوجود بألوهيته وقدسه وحكمته وإرادته وقدرته أكرم ما تواجد إلا بالإنسان. وما ظهر أجلى ما ظهر إلا بالإنسان. وما شَرَّف المطلق وجودا أفضل ما شرَّفَ به وجود إلا بالإنسان.

الإنسان بمشهوده ومعارجه حقائق وفضلات لموجود أزله، والإنسان بخلقه وحقه أصول لبقاء وفناء موجود أبده. والإنسان في حاضره حق وباطل قائمه. إن الزمن بقديمه، وحاضره، وقادمه، صفات في الإنسان. إن الدنيا والآخرة صفات في العنوان. إن الآخرة والأولى هي أطوار للإنسان.

إن الروح والجسد هما الحق والعالم، عنونهما الإنسان عنوانا على الإنسان. إن الإنسان بجسده هو الكون في نشأته، وإن الإنسان بروحه هو المكون بطلعته.

إن المستوي على عرش الملك للسموات والأرض، إنما هو إنسان الله، هما له عالم وجوده، وتواجد مشهوده. وإذا قلنا الإنسان، فإنما هو إنسان الله، عرفناه رفيقا أعلى لنا ربا، وقدرناه للمطلق رسولا، وللأعلى عبدا، ولنا غيبا وعلما. وعجزنا عن إحاطته وشهوده إلى إدراكه في ظاهر موجوده في أنفسنا.

أبرزه لنا الأعلى غيبا معبودا، أبرزه متواجدا به من أنفسنا، لنشهده المثل الأعلى له لنا ارتضاه، يظهر به لأنفسنا نفسا له نحن لها نفوس. {وله المثل الأعلى في السماوات والأرض}[١٩] ...

وطلب إلينا أن نرد أنفسنا إلى هذا المثل الأعلى ظلالا له متخلقين بأخلاقه، متصفين بأوصافه، متابعين له في صدقه، وصِديقِيته، متحابين معه، متواصين بالحب له، على ما تحاب هو مع الأعلى، وتواصى بالحب له، ربا له، وربا لنا، ووجها لربه ربا لربنا.

ندرك لذلك ما شهدنا لنا في الله ربا، إنسان وجوده، ووجه شهوده، من معبودنا المطلق، ومعروفنا بنا لا يدرك، واجب الوجود لا ينكر، معروف القيام في قيام مخلوقه لنفسه، في قيامه بالإنسان قيوما عليه، قائما به، {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}[٢٠]. تعارف إلينا نفسا له، وظلال حقه برسوله في كوثره، رفاق آدمه أوادم معانينا، لعين معناه لنا فينا.

الإنسان بآدمه في إنسان الله لحقه ولمعناه، بين يقظته ومنامه، فهو بين منام في عالمه من شهوده بذاته، مبعوثا بحق في منام، فهو في عالمه هذا في عماء عن حقيته لوجوده. إنه في ليله لعالمه من غيبه لعين قيامه في عالم مشهوده لقائم موجوده، وهو في هذا يتجدد ويتعدد مواصلة لتمام آدمه، لإنسانه، لمعناه، لحقيقته. {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى}[٢١].

إن الدنيا والآخرة إنما هي شقا يوم من أيام الله بالإنسان، في الإنسان، يوم يحيا الإنسان، فيحيا الزمَان، فيعرف الإنسان يوم الجمعة، بالجمعة المقدسة تذكرونها ليومكم هذا ذكرا لعبد من عباد الله، وربا لعالمه، ويوما من أيام الله، يحتفل به اليوم إخوانكم في الدين، وإخوانكم في الحقيقة، وإخوانكم في الله، وإخوانكم في الإنسان.

وأنتم بهذا أجدر يوم تؤاخون البريء بينكم، أخًا لكم، عترة رسولكم، وحقي إمامتكم، وتتابعون جديده في وجوده، دائم الوجود في موجودكم، في موجود روح القدس حقيقة رسول الله لكم، وحق الله، ومظهر كلمته لتمام، وحقه لقيام، في الإنسان الأكبر، إنسان الله، ورب العالمين، مالك يوم الدين، إياه نعبد، وإياه نستعين، ولنا في روح القدس بكوثره بنا، به يقين، وله بيننا بكلماته، دائم وجود وشهود ومعين. {ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون}[٢٢].

بكلماته من أنفسنا بيننا نتلاقى، فنتلاقى مع الحق، ونقوم بالحق، وندخل في حصن الحق، فنشهد أنه لا إله إلا الله، ونستكمل شهادتنا، يوم نشهدنا محمدًا رسول الله لأنفسنا، فنعلم أن رسول الله فينا، وأن رسول الله لنا، وأن رسول الله معنا، وأن رسول الله هو الحق من الله لنا، وأنه في قيامنا عين قيامنا وقائمنا وقيومنا...

فننزه الله، ونكبر الله، ونشهد أن الله أكبر، وأن الله أكبر، وأن الله أكبر، وأن قيامنا إنما هو في لا إله إلا الله، وأن سعادتنا إنما هي في أن نكون ظلالا لمحمد رسول الله، جاء رحمة للعالمين وسيدا للأولين والآخرين، بخدمته للأولين والآخرين، وتلبيته للطالبين والساعين، ومظاهرته للراشدين.

نشهد أنه رسول الله وكفى، وأنه في الله الخلق والحق المصطفى، وأنه في الله، على ما عرف الله، وعلى ما أعلمنا وعلمنا عن الله، إنما هو عبد الله، وأن الله فيه من العباد الكثير، وأن آحاد الله لا عد ولا حصر لها، بحقائق الله لا عد ولا حصر لها ظهورا لمطلقه، وحقائق لشهوده، وروحا لوجوده، نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

اللهم يا من جعلت من محمد رحمة لك بها تذكر، وتشكر، وبها تعبد وتعرف.. اللهم اجعلنا لك في محمد، لا شريك لك.. اللهم اجعلنا منه له ظلال حتى نكون عبادًا لك.. اللهم اجعل منا له وجوه حتى نكون حقا منك.. اللهم به فاحلل العقدة من ألسنتنا حتى نكون رسلا لك.. اللهم به فأنر عقولنا حتى نكون للناس كتبا منك.. اللهم به فحرر رقابنا من أوزار أبداننا، أحرارا منطلقين، حتى نكون به أئمة إليك.. اللهم وحد بيننا وبين من توحد معه، وحد بين قلوبنا وقلوبهم، ولا تجعل بيننا وبينهم وبينه تعددا فيك، حتى نكون به منك أحواض حياة منك، لمن تصطفي من خلقك، ولمن ترتضي بنا من صنعك.. اللهم عبدنا له، حقا منك، وعبادا لك، حتى نكون عبادا لك، وحتى نعبد به الناس لك.. واجعل اللهم من نوره لنا نورا، نمشي به في الناس لنخرجهم بك من الظلمات إلى النور.

اللهم حقق لنا ما وعدته لنا بإظهاره بنا على الدين كله. فأظهرنا به على الدين كله على ما أظهرته على الدين كله.

اللهم وقد جعلت أمته فيك لإنسانية حضرتك أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليهم شهيدا، فقوم اللهم فيك أمرنا على مرادك بنا.

اللهم وقد جعلت منه الأمر الوسط، وجعلت خير الأمور الوسط.. اللهم لا تطغي أنفسنا بوصلته، ولا تفتن نفوسنا بعشرته، ولا تحرمنا في دوام تواجدنا من شرف عبوديته، وأن تقوم هدينا به، للمهتدين بك هاديا به لنا، وهاديا لنا به منك، فينا وإلينا، ومنا فيك وإليك، حتى ندرك وحدانيتنا، فنعرِّف عن وحدانيتك، وحتى تقومنا وحدانيتك، فنقوم في الناس وحدانيتك مذكورا وحدك، ويقوم الناس في الناس بنا وحدانيتك لا شريك لك كلمات طيبة، وشجرات طيبة، وأصول ثابتة، وفروع متصاعدة، لا إله غيرك على ما علمنا، ولا معبود سواك على ما عرفنا، ولا مشهود غيرك على ما قمنا، الفعل لك، والأمر منك، والطاعة بك، سبحانك، لا إله إلا أنت، إنا كنا من الظالمين.

اللهم بأزلك وأبدك، وإحاطتك بقائمك، ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت بنا الأعز، ولنا الأكرم.. اللهم قومنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، مجاهدين ومتابعين، يقظين وغافلين، مشرقين ومظلمين، مستقيمين وملتوين، إذ الكل في حكمتك، والكل في طاعتك، والكل في مرضاتك، والكل في إرادتك، هكذا عرفنا، على ما عرفتنا، وهكذا علمنا على ما علمتنا، وهكذا نناجيك بين يديك، تعلمنا كلاما نخاطبك به، ولا قول لنا، والقول لك، من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك، ومن أذن له الرحمن قال صوابا.

سبحانك جعلت الحق نورا، وأنت فوق النور.. وجعلت الملائكة نورا وأنت فوق الملائكة.. وجعلت من الإنسان نورا، والإنسان عندك فوق النور، وأنت عند الإنسان فوق الإنسان.

جعلت محمدًا الإنسان حقا، والإنسان عبدا ورسولا، والإنسان كتابا وحجابا.. وجعلت الإنسان له عين الوجود له.. وجعلت الوجود نفسا له وهو الحق لك، فعلى وجوده أعليته، وفوق الوجود أجلسته، ولقيامة الوجود قومته، وعلى العوالم قائدا أقمته، قائد ركب عوالمك إليك.. الرحمة المهداة منك، خلقته أزواجا، حقا مدانيا لحقيقة متعالية.

جعلته الحق منك إلينا، وجعلته الطريق منا إليك، وجعلت فيه بذلك دورة الإنسان.. ودورة الإيمان.. ودورة الحق.. ودورة الخليقة.. ودورة الحقيقة.. ودورة الوجود.. ودورة العلم.. ودورة الشهود.. ودورة الأنبياء.. ودورة الإنباء.. ودورة اليقين.

جعلت منه فؤاد الحقائق، وقلوب العوالم، ودوائر الوجود.. وجعلت منه مثالا لنا نحتذيه، وقياما بيننا في دوام نقتديه.. أحدا للآحاد، وحقا للحقائق، وربا للأرباب، وعبدا للعبيد، وإلها للآلهة، وغيبا للغيوب.

اللهم به فأعلِ كلمة الحق، اللهم بنا منه أقم كلمة الحق علينا، وأقم كلمة الحق بنا، وأقم كلمة الحق منا، لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

(إن لم أدأب دائما لأذكركم بالأنباء العظمى والأكثر عمقا في الحياة، فأنا عندئذ فاشل في مهمتي. وأنتم إذ تواجهون المسائل الفيزيقية والمادية البحتة فذلك لأنها جزء من شئونكم العادية. أنتم منهمكون في منافسة فيزيقية، أنتم مضطرون لمراعاة الحاجات الجسمانية، والميول الفيزيقية، والقوة والراحة والأمل والضياء لا توجد في المادة.

نحن نُذكِّر في دوام أطفال الروح الأعظم بالمبادئ الخالدة التي يجب أن تبقى، لا في العالم الروحي فقط ولكن في عالم المادة أيضا. الأمر الذي نتعاون بوسطائنا منكم وبوسطائكم منا على إقامته في عالمكم المادي منهضين أرواحكم على أنقاض مادياتكم في أطوارها المادية لأطواركم الروحية. فالإنسان لا يمكنه أن يخدع القانون، والروح الأعظم لا يمكن أن يسخر منه. وفي يوم ما سوف تحكم عدالة السماء، وتعرف النفس أمرها وحسابها).

(برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الماعون - ١ :٢

٢ سورة النجم - ١١

٣ سورة الرحمن - ٢٦-٢٧

٤ عن علي ابن أبي طالب قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. ذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.

٥ سورة الحجرات - ١٠

٦ سورة البقرة - ١١٥

٧ سورة غافر - ١٢

٨ إشارة إلى الآية الكريمة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} والحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولا.

٩ إشارة إلى الحديث الشريف: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى.". أخرجه أحمد بن حنبل.

١٠ سورة الرعد -٣٣

١١ سورة التوبة - ١٠٥

١٢ سورة التوبة - ٣٨

١٣ سورة البقرة - ١١-١٢

١٤ من الحديث الشريف: ".. فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قالَ: كيفَ إضَاعَتُهَا؟ قالَ: إذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إلى غيرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ". صحيح البخاري

١٥ سورة الفرقان -٣٠

١٦ سورة الجمعة - ٥

١٧ سورة النساء - ٤٦

١٨ سورة الحج - ٣

١٩ سورة الروم -٢٧

٢٠ سورة آل عمران - ٢ , سورة البقرة - ٢٥٥

٢١ سورة الزمر - ٤٢

٢٢ سورة الزخرف - ٥٧

(١٥)

الإنسان

أنَا و هو

عبد و رب

جسد و روح

عالَم و عالِم

حديث الجمعة

٣ محرم ١٣٨٤ هـ - ١٥ مايو ١٩٦٤ م

(الله الصمـــــد، محمـــــد الرحيـــم)

شعار ترفعه الطبيعة، وبلاغ تنطق به حكمة الفطرة، وكلام يكتبه قلم الوجود.

نعم..

الله الصمـــــد

فكيف يولد، وكيف يلد، ولم يكن له كفوا أحد؟

نعم..

محمد الرحيم

فهل كان محمد كلمة الله، وحق الله، إلا رحمة للعالمين؟ كلما وُلِد، وكلما بُعث، وكلما عنه الأرض انشقت، وكلما به إلى الأرض السماء بعثت، بعثا له بالحق في قيام من زاهق من الخلق، كلما جاء، وكلما تجدد، وكلما امتد في ظلال له، وكلما اختفى بقديم ليظهر بجديد، وكلما ظهر بدائمه في موقوت،

وكلما تحرر بموقوته إلى قائم، في قيام من دوام، بدءا للحق، وبدءا للخلق لا بدء ولا انتهاء لهما فيمن لا أول ولا آخر له.

حي في قبره، من قلوب في أكنانها هو لها الفؤاد. مزوية له الأرض يقوم ويتقلب في الساجدين، قلوبهم له أرض تنشق عنه بمولدها يوم تستقبل الحياة، وقد امتد نور هدايته إليها فاتحد بنور الحياة فيها، فهاجرت من دنيا ذاتها إلى داني سماواتها نبعا منها به. يقوم ويتقلب فيها بمعناه عبدا لله، وعالما لله. فيه وحوله ظلاله من عمله، ومن مصطفاه، في جنة الخلاص به، هم وجوه ربه إلى جنة الحقيقة برشاده بعين حقه في حقيقته.

الطائفون به في حجيج. والداخلون بابه في حضرة من بيته يذكر فيه اسم الله، انتهى بهم المسير، واستقر بهم الطواف، وسكنوا بعد هجرة في مدينة العلم بسكينته لقلوبهم، ونوره لعقولهم، وروحه لمعانيهم، إذ به صلح بالهم، واستوفى وفاض إيمانهم، وقام وبُعث يقينهم، وانتصر وانتشر أمرهم، وتكشف وانبلج سرهم، وتفجر وفاض ماؤهم، وغاب وأغطش ليلهم، وبدا وانفلق فجرهم، فطلعت وأشرقت بالدفء شمسهم.

كلمات لله، قامت قيامة الوجود بقيامهم، وأشرق الشهود بهم من شهودهم، فشهدوا شهود الرفيق الأعلى لربهم، فيما شهدوا بربهم وإمامهم ومعلمهم. فقام أمره في قيام أمرهم. وعمت رحمة الرحيم بأسماء لله ورسوله بهم، فانتشرت في الناس صفات الكليم، وقام الناس قيام العليم، من حق أنفسهم رسلا من أنفسهم أناجيلهم صدورهم، أولية حقائق لأولية خلائق. كان بدؤهم عندهم رسولا من أنفسهم، أول العابدين، وأول بيت وضع رحمة للعالمين. إن الذي {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}[1]، أعطى كل شيء خلقه أزلا وأبدا، ثم هدى قياما وأبدا في دائم فطرته بآزاله.

لقد جعل الله هدي الأرض من السماء في دائم فطرته. وجعل معرفة السماء من الأرض في لمحات فضله ورحمته. يبدل الأرض غير الأرض والسماء. وجعل هدي السماء من السماء في قيوم شهوده، وجعل هدي الأرض من الأرض في شرف وجوده.

قال مبشرا ومنذرا لعوالم الأرض والسماء {إني جاعل في الأرض خليفة}[2]، فَفَقَه أهل السماوات لها إلى أمر يطلبونه في علیائهم، لهم فيه رجاء، ملأً أعلى يطلبون الحقيقة ليشهدوها. يطلبون الحقيقة ليتواجدوها. يطلبون الحق ليعرفوه، ويعرفون أنهم لا يعرفونه إلا يوم يوحدونه، وأنهم لا يوحدونه إلا يوم يتواجدونه، ذكرًا له يقومونه، ومذكورا بهم يعلنونه، فبشرهم بتحقيق هذا لهم ما تواضعوا وإلى

الأرض رجعوا، وعبادا له على الناس خلفوا. يدخلون في لا إله إلا الله، ويقومون بلا إله إلا الله، ويعلمون ويعلِّمون لا إله إلا الله لمن يطلب أنه لا إله إلا الله، فيشهد أنه لا إله إلا الله.

يجتمعون على رسول الله، بها حقا يشهدونه، وفي خلافته يخلفونه، وعلى حكمته يتابعونه، وفي طريقه يرشدونه فيقومونه، كلمات تامة لله ورسوله يظهرونه، وعلى ما فعل يوم هاجر من بلدة عناده إلى يثرب، سلامه ورشاده يتأملونه ويتابعونه مهاجرا من السماء إلى الأرض، فيدخل من يدخل الأرض مدينةً للرسول، ويحقق بمتابعته لنفسه الغرض المأمول، يدخل بيتا لله وضع يذكر فيه اسمه، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[٣].

هاجر الرسول من بلدته المخاصمة، أمر نفسه المعاندة، إلى بلدته المسالمة، أمر نفسه المناصرة المكالمة. وها نحن نحتفل بهجرته، ونفرح بسلامته، ثم ارتد إلى نفسه المعاندة فأخضعها، وعفا عنها عند مقدرته عليها، فتألف القلوب برفده، وحلمه، وسماحته، وصفحه، وعفوه الجميل، (كان لي شيطان، ولكن الله أعانني عليه فأسلم)[٤]، فافتخرنا بنصرته، وحججنا إلى بلدته، وطفنا ببيته وكعبته، وسعينا لأهل بيته مطهرين، وقمنا له مُسلِمين، إسلاما للأعلى وجها له بيننا قام، وبه لنا ظهر، فيه شَرُفنا خلقا، وصرنا في إنسان الحقيقة حقا، فكنا لمعنى الإنسان أهلا، ولشرف العبد قياما، ولوجه الرب سلاما، وللسان الحق كلاما، فصحونا به وكنا نياما، وحيينا به وكنا أمواتا وركاما، وسعدنا به وكنا شقاةً، وتأبدنا به وكنا توقيتا ومواتا، وتأزلنا به من العدم ينتظرنا، وكنا في خوف وتخويف فصرنا به في حياة وتشريف، به شهدنا لا إله إلا الله، فعرفنا الله الصمد، وبه شهدنا محمدا رسول الله، فعرفنا محمدا الرحيم.

جاءتنا الفطرة على لسان دُحية خرجت من دجاجة لنقرأ فيها كتاب الأرض، وكتاب الوجود، الأرض دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها. إنها دحية الأرض تخرج من دجاجة الحياة، فتعلم أن الله الصمد، وأن محمدًا الرحيم. هذا ما نتعلمه من دحية الترانسفال في جنوب أفريقيا، ودحيتي القاهرة تحمل إحداهما اسم (الله) والأخرى اسم رسول الله (محمد) مع شعاره الهلال.

فهل من متعظ؟ هل من رشيد؟ هل من سميع؟ هل من رجل مطيع يعلم أن الإسلام دين الفطرة، فيقوم دين الفطرة، فتصح فطرته، وتستقيم باسم الله صبغته، فيقوم لمحمد ظلا، وينطق بمحمد عَلَما، فيقوم باسم الله، فيُشهِد الله حقا في قائم الناس خلقا، فيعلمون أن الله الصمد، ويسعدون محمدًا الرحيم؟

إن اهتداء الأرض بالسماء دائم قائم، وإن معرفة السماء من الأرض دائمة قائمة، وإن اهتداء الأرض بالأرض دائم قائم، كدوام اهتداء السماء بالسماء في قيامها وسلامها، نزعنا ما في صدورهم من غل، إخوان على سرر متقابلين.

ولو أننا نزعنا ما في صدورنا من غلٍّ، فرأينانا إخوانا على سرر قلوبنا في عوالم وجودنا مطمئنين بذكر الله، فرحين بأمان الله، مستبشرين برحمة الله، طربين بسكينة رسول الله سكينة من الله، لكنا إخوانا على سرر متقابلين، لكنا ملأً أعلى متواجدا في السافلين، لكنا مثالا للطالبين، لكنا أمة لعَلَم الحق الموعود للأولين والآخرين.

{ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير}[٥]، خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهي عن المنكر، وتؤمن بالله، أمة وسطا، تطأطئ الرأس للأولين، في آزال متواجدين، بالله قائمين، وأعلاما عليه يظهرون إنسانية الرشاد، إنسانية الأزل آبدين. إذا ما عَبَّدنا أنفسنا لها تعبيدًا لله رب العالمين، ظهرنا بها للآخرين المجددين، ظهرنا وجوها للأولين، وبعثا للمتحققين، وقيام حق مبين لا يغيب في المتواجدين...

شهدنا الله في أنفسنا، وبه شهدناه في الأولين، كما شهدناه في الآخرين، فما رأينانا إلا عبادا لرب العالمين، وأدركنا شرف العبد، لمعنى الرب، ووجه الإله، وأدركنا أن العبد حق، وأن الرب حق، في الإله. الله من روائهم بإحاطته، وفي قيامهم بشهادته، وفي وجودهم بظهوره، وفي تواجدهم بتجليه، كلاهما يشهد لا إله إلا الله بإنكاره على معناه، لمطلق الله، لواسع الله، إيمانا بقائمه من الله، وإلى الله، وفي الله، وجها لوجه، عبدا لمعبود، وجودا لموجود، وموجودا لوجود، في حصن لا إله إلا الله، وفي استقامة محمد رسول الله، كوثر الحق، وكوثر الخلق، وأحواض الحياة، فقام على الأرض السلام، وانتشر في أهلها الإسلام، (المسلم من سَلِم الناس من يده ولسانه)[٦]، (خير الناس أنفعهم للناس)[٧].

إن الناس يظنون أنهم بوصف العبد لهم يعبدون الرب عليهم، وقد جاء الإسلام ليجعل من العبد خليلا، وحبيبا، ورفيقا للرب. أما المعبود عند العبد في الإسلام فهو المعروف عند الرب، وهو معنى الإله للإنسان. والإله في الله هو أحدية وجود العبد والرب في حق أكبر، بهما يقوم وبه يقومان، فما عرف العبد في الله إلا ربه في الله، وما كان العالِم غير المَعلوم، وما ظهر المَعلوم بغير العالِم، فما كان العبد غير الرب، وما ظهر الرب إلا بالعبد، فليس له وصف الرب ما لم يكن له عبد، ولا يكون للعبد وصف العبد ما لم يكن له رب. أما الإله فقد تنزه عن وصفهما، ولم يتنزه عن قيامهما، فما كانا له إلا

وجه، وجه العبد بالله يُشهد، ووجه الرب بالله يُشَهد، فيشهد الوجهان أنه لا إله إلا الله، في قيامة حق بإنسان وجود. فالإنسان في حقيته هو العابد والعبد والمعبود، والمُعبِّد في أحدية موجود الحق.

بهذا قام محمد وجها إلينا وجه الأعلى، ووجها لنا وجهنا إلى الأعلى، وما وراء المشاهَد وما بعد المشاهِد، فكان الناس في نيامهم يوم يطلبون اليقظة منتظرين فجرهم لقيامهم، خروجا من نومهم، وانتظارا ليومهم. وكان الناس في قيامهم قيوم القائم عليهم، قائمين على عملهم، (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[٨]. كانوا به أربابا على صنعهم يوم استقاموا في أمرهم، وكانوا به عبادا لربه ربا لهم يوم استقاموا لأمره أمرا لهم، وطلبوا أن يكون الله ورسوله حسبهم في أمرهم، عبادا للأعلى مولىً لهم.

فكان بذلك رحمة للعالمين حقا، وكان الحق للأحياء صدقًا، وكان الحياة لطالبيها، وأحواضها لوارديها، ونورها لناظريها، وسرها لكاتميها، وكان عذابها لظالميها، وسوطها لمخاصميها، كانت به العزة، كما كانت به الرحمة، وكان به الاهتداء، كما كان به الابتلاء، وكانت به المغفرة، كما كان به رد الجزاء.

سعد به من سعد، وشقي به من شقي، في دورات الزمان يوم يدور الزمان أيامه بالبدء والانتهاء بأيام الله، كلما انشقت عنه أرض، وكلما بعثت به سماء، فكان بدء الزمان بهجرته من الأرض إلى السماء متكنزا بمظهر الموت، أو من السماء إلى الأرض مبعوثا في مظهر الميلاد، وكان حيث هاجر هدية رحمته، وكان حيث غاب قيام فتنته. إنْ إلى السماء هاجر رُحِمت به السماء وأهلها، وإنْ إلى الأرض هاجر رُحِمت به الأرض وأهلها، وإنْ عن السماء غاب بدأت فتنتها وبلاؤها، وإنْ عن الأرض غاب قامت محنتها وشقاؤها، {أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون}[٩]، (الظاهر مرآة الباطن)[١٠]، {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك}[١١].

وفي الحق.. ما غاب محمد الحق عن الأرض، ولا عن أرض، وما غاب عن السماء، ولا عن سماء، ولكنه يتكنز حيث هو، أو يشرق من كنزيته حيث هو، فإن تكنز في الأرض حيا في قبره زعم الناس غَيبَتَه، وهو الذي يقوم ويتقلب في الساجدين، عبادا للرحمن يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم) [١٢]، (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[١٣]، (لا تزال طائفة من أُمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)[١٤]، {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}[١٥]، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[١٦] {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}[١٧].

وما الساعة إلا هو.. وما الساعة إلا سفوره.. فهو رجلها حيث أسفر.. وهو قيامها حيث ظهر، فللأرض ساعتها به وساعات، وللسماء قيامتها به وقيامات.. هو وجه الرحمن فاسأل به خبيرا، وما كانت الرحمة والخبرة، وما كان الرحمن والخبير، إلا هو، حق ربه، وإنسان إلهه، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، (ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان)[١٨]، (والله ليس بأعور)[١٩] ، والناس في عماء عن الحق بهم.

نحتفل في مثل هذه الأيام من كل عام بهجرة سيد الأنام، من قرية إلى قرية، هاجر منبوذا، واستقبل مطلوبا، ثم ارتد طالبا، وقام على من نبذه قياما غالبا، فهيأ على الأرض أمته، وأشهر للناس قبلته، فانقلب الناس منقلبهم إلى اعتدال أمرهم يوم تابعوه، له بينهم مثال. هو المثل الأعلى في الحال والفعل والمقال، به وسد الأمر إلى أهله في الدين والدنيا، فمشى الناس على أقدامهم، وكفوا عن السير على رؤوسهم.

ساس الناس متخلقا بأخلاق الأعلى، وعامله الناس كنودين لربهم، على ما عاملوا الأعلى في قيامهم، في دائم وجودهم ما بقوا في ظلام أنفسهم، فغفر لهم، ربا لا يُدين، ورحيما لا يقسو، وقائدا لا يضل، وسائسا لا يُخطئ، ومعلما لا يَخْدَع، وصادقا هو الصدق لا يكذب، وهاديا هو الهدي لا يفتن، ورائدا لا يخيب له مريد، ولا تتعطل له إرادة.

ولكن جُعِل الخسران كله لمخاصمه من نبع مخاصمته، لا يركب معه سفين النجاة، ولا يرى في عترته كلمات الله، ولا يرى في صحبته سفن الخلاص، ولا يرى في كتابه هدي الإخلاص وطريق النجاة والخلاص، ولا في سيرته سِفر آدم للناس، بآدم ذاته، وأوادم جماعته، في متجدد أمته، بحار رحمته. السماء عنه تُعرِّف، وله تعرف، والأرض به تَشرُف.

غيَّرت الأرض بظهوره مَعَالمها، وأبرزت بمكارمه قام من أهلها مكارمها، فبُدلت به الأرض غير الأرض، كما بدلت بكنزيته عنها السموات غير السموات. ظهر الآيات وكان جماعها، وظهر الكلمات وكان متكلمها، وقام المسحاء وكان حقها، وشرف الإنسان فكرم به العنوان، وقام به قدس الحياة في الوجود، في شاهد ومشهود، ووالد ومولود.

رسول الله.. حق الله.. علم الله.. اسم الله.. قام بين الناس بأشرف أسمائه عبد الله، نور الله، فكان سكينة النفوس في لياليها في ستر معانيها، به شَرُفَ الليل كما شَرُفَ النهار، إن ناشئة الليل أشد وطأ وأقوم قيلا، {إن لك في النهار سبحا طويلا}[٢٠]، طأها {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}[٢١]، {والليل إذا يسر}[٢٢]، وما أدراك ما ليلة القدر؟ هل عرفت؟ هل شَرُفت؟ هل قمت؟ أليست ليلة القدر كما

شهدت خير من ألف شهر؟ خاطب الناس على قدر عقولهم، واخفض لهم جناح الذل من الرحمة، واسأل لهم المغفرة، فأنت وسيلتهم إلى رحمة الله، وأنت سبيل رحمة الله إليهم، أنت العروة الوثقى لا انفصام لها يوم يرتبطون برحمة الله بمتابعتك، وأنت البيت يذكر فيه اسم الله ويريد الله الطهارة لأهله، من دخلك كان آمنا، ومن دخلك كانت رحمة الله له وكنت له، ومن لم يدخلك فلا رب له.

فليعلو هبل على نفوسهم، أو تعلو آلهتهم مما اختاروا من صنعهم، أو على ما صوروا لأنفسهم بأوهامهم، أو على ما استخفهم طغاة منهم، مباعدين بينهم وبين هُداي، متنكبين طريق رشادي، متخلفين عن أمري، مفرطين في أمرهم بي، قل لهم عن لساني، وعلى لساني، وبلساني، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[٢٣]، وقد وسد بك الأمر إلى أهله، فقمت أمانة الدين، وأعلمت أمانة الدين، وخفضت إمارة الدنيا، وأعلمت أن سيد القوم خادمهم، وأن خير الناس أنفعهم للناس، وكنت خير الناس، وكنت أنفع الناس، فما عرفك الناس، وما تابعك الناس، وفرط الناس في أمرهم من أمرك أمرا لله بينهم، {أتى أمر الله فلا تستعجلوه}[٢٤]، يتلو فيكم كتابه على مكث ليبين لكم، (فإذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة)[٢٥]، وما الأمر إلا أمر الدين. أما الدنيا فلا أمر لها.

إنه من بشر به كلمة من كلمات الله من قبله، بينكم من قبله ذاتا بين ذواتكم، رسولا من أنفسكم، ومن كان له بمعناه قبلا قبل قبله. فما كان المسيح مسيحا إلا فيه، وما كانت كلمة الله إلا كلمة الله منه.

(رسول الله الذي يبقى فيكم إلى يوم القيامة)[٢٦]، أعلنها مسيحه كما أعلن (أما أنا فلا دينونة عليكم، الآن، ما دخلتم في قلبي)[٢٧]، {والسلام عليّ يوم ولدت، ويوم أموت، ويوم أُبعث حيا}[٢٨]، (إنه لا يستعني أنا أن أربط له رباط حذائه. ذاك روح القدس)[٢٩] وإن ظهر بينكم فإنما يظهر بينكم بما هو لي من الله، فإن الأرض لا تستطيع وطأته على ما هو له من الله، ثقل أمره على خلقه في السموات والأرض. إنه روح القدس.. إنه رسول الله.. إنه رسالة الله.. إنه أزل رسالته وأبدها.. إنه لُمتُها وسداها، ما أنا ومثلي فيه إلا كلمات يُبدينا يوم يُكرِمُنا ويعلمنا، أنا إنجيلي في صدري فردا، وقومه أناجيلهم في صدورهم أمة من مثالي عدا. إنه أعلم بالحقيقة مني، فما أُقصر فيه فإنه سيوفِّيه، فإذا جاءكم فاسألوه، وأنا البشرى به فانتظروه.

هذا هو رسول الله، عَلَم الهجرة، وذكر الذكرى، وأمر الله. نسأل الله أن يجعلنا جديرين بالانتساب إليه، وألا يحرمنا شرف الانتساب إليه، وأن ينسبنا إليه أمة له، وظلالا لحقه، وأحواضا لماء الحياة من بحاره، منها نرتوي فنروى، يأوينا إليه مدينة، وإليه بيوتا له نأوى، نتابعه في هديه وبه نهدي، نستقيم في متابعته، وفي متابعته نقيم رحمة الله إلينا، ورحمة الله لنا، ورحمة الله بنا، ورحمة الله منا.

اللهم به فادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا.. اللهم به فقوم أمرنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، مجاهدين ومتابعين، يقظين وغافلين، نشطين وراكدين، لا إله غيرك ولا معبود سواك، سبحانك إنا كنا من الظالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هو حسبنا، ورسوله جاهنا ونعم الوكيل. لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة طه - ٥٠

٢ سورة البقرة - ٣٠

٣ سورة محمد - ٢.

٤ حديث شريف: "ما مِن أحد إلَا وقد وُكل به قرينه مِن الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير." أخرجه مسلم وأحمد. أيضا: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." صحيح الترمذي.

٥ سورة آل عمران - ١٠٤

٦ حديث شريف: "ألا أَخْبِرُكُمْ بالمؤمنينَ؟ مَنْ أَمِنَهُ الناسُ على أَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ، والمسلمُ مَنْ سَلِمَ الناسُ من لسانِهِ ويَدِه، والمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نفسَهُ في طَاعَةِ اللهِ، والمُهاجِرُ مَنْ هجرَ الخَطَايا والذُّنُوبَ". صحيح ابن حبان

٧ من حديث شريف جاء في أكثر من صيغة: "المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس. رواه الطبراني، وفي رواية أخرى "أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل، سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة، أحبُّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة". رواه الطبراني.

٨ من الحديث الشريف: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي.

٩ سورة العنكبوت - ٢

١٠ إشارة إلى مقولة من خطبة للإمام على ـ كرم الله وجهه: "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...". بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

١١ سورة البقرة -٣٠

١٢ من حديث شريف: "حياتي خيرٌ لكم تُحدِّثونَ ويُحدَّثُ لكم ووفاتي خيرٌ لكم، تُعرَضُ عليَّ أعمالُكم فما رأَيْتُ من خيرٍ حمِدْتُ اللهَ عليه، وما رأَيْتُ من شرٍّ استغفَرْتُ اللهَ لكم". أخرجه النسائي والطبراني.

١٣ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

١٤ من الحديث الشريف: "لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي على الدِّينِ ظاهرينَ، لعدوِّهم قاهرينَ، لا يضرُّهم مَن خالفَهُم، إلَّا ما أصابَهُم مِن لأواءَ حتَّى يأتيَهُم أمرُ اللَّهِ وَهُم كذلِكَ. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وأينَ هُم؟ قالَ: ببيتِ المقدسِ وأَكْنافِ بيتِ المقدسِ". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة." أخرجه الحاكم.

١٥ سورة الأنبياء - ٣٤

١٦ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

١٧ سورة الأنعام - ١٢٢

١٨ عبارة صوفية متناغمة مع الآيات الشريفة التي جاء فيه أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض.

١٩ حديث شريف: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاس فَقَالَ: إِنَّ اللَّه لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ متفقٌ عليه.

٢٠ سورة المزمل - ٧

٢١ سورة طه - ٢

٢٢ سورة الفجر - ٤

٢٣ سورة آل عمران - ٦٤

٢٤ سورة النحل - ١

٢٥ من الحديث الشريف: ".. فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قالَ: كيفَ إضَاعَتُهَا؟ قالَ: إذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إلى غيرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ". صحيح البخاري

٢٦ استلهاما من الآيات: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ" (إنجيل يوحنا ١٦:١٤-١٨).

٢٧ إشارة إلى الآية: "إِذًا لَا شَيْءَ مِنَ ٱلدَّيْنُونَةِ ٱلْآنَ عَلَى ٱلَّذِينَ هُمْ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ، ٱلسَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ ٱلرُّوحِ. لِأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ ٱلْحَيَاةِ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ ٱلْخَطِيَّةِ وَٱلْمَوْتِ". رُومِيَة ٨:١-٢

٢٨ سورة مريم - ٣٣

٢٩ استلهاما من الآية: "أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلا أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار". مت ٣: ١١".

(١٦)

الإنسان
في الله
في وجوده الكوني
وفي وجوده الروحي
وفي وجوده القدسي
وفي وجوده المطلق

حديث الجمعة

١٠ محرم ١٣٨٤ هـ - ٢٢ مايو ١٩٦٤ م

اللهم أدبنا لما يرضيك، وأنطقنا الحكمة والصواب لما يعنيك.. اللهم اجعل منا القرآن والبيان.. اللهم أقمنا في الإنسان والعنوان.. اللهم اجعلنا محلا للإيمان والإحسان.. اللهم اجعل مصدرنا اليقين والعيان.. اللهم يسر لنا في مراقينا السبيل، ولا تحرمنا في مسيرنا لمعانينا الدليل. لا إله إلا أنت في كل طور لحياة، ولا معبود سواك في كل أعلى نلقاك، سبحانك إنا كنا من الظالمين، فلا تردنا عن بابك خائبين.

عباد الله.. إن تقوى الله بالغيب من عزم الأمور.. اتقوا الله كأنكم تنظرون، وأخلصوا النية فيما تعملون وبه تتعاملون، وفيما يصدر عنكم مما به تصنعون أو به تبدعون. ففي معاملة الله باستقامة الضمير، يقوم الإيمان، ويبلغ الإحسان.

إن المعاملة مع الله أمرها يسير من حيث الفقه والإدراك. ولكن الاستقامة عليها من حيث النفس، وما تقبل وما لا تقبل، وما تصلح له، وما يصلح لها، أمرها عسير، ولا يستغنى فيه عن المعين

والدليل. ومن هنا كان عون العقل المكلف الكاسب أمرا لازما بتوجيه دليل خبير، وهو ما فيه الخير الكثير، وبه ما يدفع عن الإنسان الشر المستطير.

النفس.. بغريزتها، أو بعقلها غير الواعي، وهي في هداه تعمل وتسير، باسم عقلها الغريزي به تقوم وله تستجيب، بعيدة عن العقل الخلاق، أو العقل الكاسب، أو العقل الطليق، أو العقل الحر، أو العقل الصَديق، أو العقل المدرك، تدور حول نفسها في حركة هدامة بعيدة عما يصح لها من حركة نفسية بنَّاءة. فالعقل القابل لإدراك ما يُلقى إليه، والقابل للنمو في إدراكه، والنمو في إرادته وقدراته، هو العقل المكلف، المكلف بالنفس، القابلة بدورها للتطور، لا عن طريق الوعي، ولكن عن طريق الانقياد، يقودها العقل الكاسب الواعي، فتنقاد له ما قادها، وهي لا تنقاد له برضاها، ولا بهواها، ولا بمعناها، ولكن يسلس قيادها إذا ما تغلب عليها، وسادها، فرضيت مسودته، وقبلت ربوبيته.

وليس في النفس قوة ولا قدرة بالنسبة للعقل إذا ما استيقظ، ولكنها بالنسبة له تمثل الضعف، الضعف المستكبر، والجهل المتعالم، والعدم المتواجد، والخيال المخايل بوهم الحقيقة. فإذا ما أدرك العقل الكاسب أمر نفسه وقد استيقظ من منامه، وأدرك أمر النفس عموما، إذا ما علم عن مقامه فتحرر من سجن المادة لمعنى ذاته، ومن سجن الغريزة لمعنى صفاته، ثم ارتد إلى بيته وعالمه وأرضه، فاقتحم عليها دارها، وتغلب على صفاتها، مستخذية أمامه، ضعيفة أمام قدراته وإمكانياته، قادها، وطورها، وأصلح أمرها، فصلح باله، وحسن حاله ومآله.

إن النفس اللطيفة.. هي التي نعني، وهي الجسد الأثيري القابل للتطور، المقابل خلية خلية لهذا الجسد الترابي، المنشق عن الأرض. أما هذا الجسد الترابي، أو النفس الميتة فلا سلطان ولا دوام له، إذ ينتهي أمره ووجوده بانتهاء وظيفته كمشيمة بمولد في الحياة. فهو مجرد وعاء أو ماعون، أو دثار، أو قالب لتشكيل أول صورة معنونة للنفس الأثيرية، تظهر بها في السماء الدنيا، من أول عوالم الروح، بعالمها البشري على هذه الأرض...

حتى تتراءى وتتعامل وجوه الروح الكلي للبشرية في أحديتها، بما ييسر للأعلى باطنا لها هي ظاهر له، أن يصطفي لنفسه من بينها جديدا لعوالمه الأرقى، في صفاتها، وإمكانياتها، وحرياتها، وهذا الاصطفاء خلق جديد للنفس، وهو بمثابة مولد لها في هذه العوالم الحقية المنزهة في ذاتها وذوات مفرداتها عن صفة الصاحبة والولد لتكاثرها ونموها.

أما هذا الجسد الترابي فيرجع بانتهاء وظيفته من حيث أتى إلى الأرض أصلا له، بدفنه وتحلله، كما هي مناسك المسلمين لآدم الوسط، أو إلى مصدر حركته من الطاقة المحركة الحرارية بحرقه وتحوله إلى

لطيف دخاني، وبخاري، وحراري، ورد فضلته بعد ذلك إلى مصدر الحياة له من الماء بقذفه في الأنهار المقدسة، كما هي مناسك المسلمين لأوائل الأوادم.

وهذا الجسد بذاته منفصلا عن أصله من المادة أو قائما فيها، ليس له وصف الكيان الحي، سواء لبسته روح كلية، أو روح جزئية، فهو الأرض الميتة، {إنك ميت وإنهم ميتون}[1]، فهو أشبه ما يكون بالمشيمة للطفل في رحم الأم، وحكمه حكم المادة في قوانين الوجود والحياة لها...

أما النفس الأثيرية اللطيفة.. فهي صادرة عن أرض الطاقة المنطلقة من الأكبر الكوكبي، ومن احتراق الذات الترابية في انفعالاتها المعنوية والطاقة المنطلقة منها. إن النفس اللطيفة تتكون من الطاقة المنطلقة من الشمس التي اكتسبتها الأرض ثم أطلقتها متجسدة في النبات والحيوان والمعادن. إن الشمس تلعب دورا خطيرا في حياة الجنس البشري على هذه الأرض، وعلى سائر الكواكب لمجموعتها...

فعنها في قيامها تصدر الطاقة النورانية الحرارية، جماع ألوان الطيف الشمسي السبعة، متوحدة في قيامها النوراني الأبيض، مبطنة أنوارها بألوانها من الأزرق، والأحمر، والبرتقالي إلى باقي مجموعة الطيف الشمسي، مشيرة إلى وحدة عوالم النور...

أما النفس الميتة.. في ذاتها الترابية من الأرض، فهي تحمل عناصر الأرض، بأكلاسها، ومعادنها، وأتربتها، من أرض سوداء، أو صفراء، أو أرض حمراء، أو أرض صخرية، أو أرض متفتتة هشة، من أرض قابلة للزرع والضرع، أو أرض لا يصلح فيها زرع ولا ضرع. فالنفس الأثيرية، والنفس الترابية، دثاران للروح، والروح ذات شأن آخر مستقلا عنهما، وكذلك العقل بشقيه الغريزي، والكاسب لما يوهب.

إن الإنسان.. بهيكله وما يحويه في مولد الفطرة على هذه الأرض، يدخلها بمولد من أبوين عليها يمثلان عالمي خلقه من الحضرتين لمعناه، إنما هو بدء تكوين لأكوان، وقيام عالم لعوالم. وجهته إلى المطلق، وعقيدته في المطلق خلف رائد من رب رحيم، في أي صورة ما شاء ركبه المطلق. في أي صورة أراده، قديمه كان، وعليها يكون، فالإنسان مُحدثٌ قديمٍ في حاضره، وحاضرٌ لقادمٍ بقائمه، قادم من عمله (كن كيف شئت، فإني كيفما تكون أكون)[2]، {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله}[3]، {إن ابني من أهلي[4]...إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح[5]}.

فالإنسان تعبير واسع عن موجده، يشمل وجوها كثيرة، وأيدي كثيرة، وخلائق كثيرة، وحقائق كثيرة، يتواجدها بعمله أبدا، كما تواجدها بجنسه أزلا. فهو في تردد بين وجهة إلى الأزل وأخرى إلى

الأبد، حتى يتزاوج فيه الأزل والأبد بحاضر يجمعهما طرفاه له فيه، لا احتجاب له في حاضره بحقه عن أزله، أو عن أبده لقائمه. {علمت نفس ما قدمت وأخرت}[٦]، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[٧]، فالإنسان بأزليته وأبديته في التواجد، كان علما على الحق الموجود في دوام، قديما وقادما، وفي عين القيام.

إن الأرض التي تدبون عليها أرض مادية مظهرا لأرض روحية بالمقارنة بها، وإن كانت هذه مادية أيضا بمادية الروح، بمادية الأثير، بمادية الطاقة، بمادية النور. وهي أرض روحية بالمقارنة بما قبلها من التكوين الأثيري لعوالم دونها. إنها الأرض الصغرى، معنونة للكبرى، وفرعا عنها أزلا، يوم نعرف أول الحق بالروح. وهي أصل لأخرى أكبر وألطف يوم نعرف حقية الخلق بالذات. يعلوها ويسفلها من العوالم ما هي فيما بينهما، محل يقوم بها مختلف المستويات لمعارج الروح، بعوالمها لسماواتها، يوم نعرف الحق برسالاته، وأئمة الحياة في خلائقه بمن يستخلف بأسمائه الحسنى من الإنسان، يرفع طبقا فوق طبق، ويبعث طبقا بعد طبق، إلى الأعلى انطلاقا، وإلى الأدنى ظهورا وذاتا.

إن آدم أول الخلق.. وإن روح القدس أول الحق.. وإن ظاهر الغيب أول الحياة.. وإن باطن الشهادة أول الإنسان.. وإن الوجود بأحديته من هذه الحقائق في الموجود الأزلي الأبدي السرمدي أول الظهور، وأول العبور، وأول العباد.

إن أول العابدين، معنى ومثلا ضرب، كان بآدمه معنى لأول الخلائق.. وكان بروح القدس له معنى لأول الحقائق.. وباتحادهما فيه كان سفورا لأول الكلمات.. وبتمام الكلمة له وللأعلى به كان بعبوديته معنى لأول الوجود.. وكان بوجوده وجها ومعنى لأول المعبود، وكان بمعبوده معنى لأول الغيب.. وكان بمشهوده معنى لأول الحق.

إن الإنسان في معناه.. هو المراد بأول الخليقة.. وهو المراد بأول الحقيقة.. وهو المراد بأول العباد.. وهو المراد بأول الوجود.. وهو المراد بمعنى العالم والعالمين.. وبتعاليه هو المراد بالرب، وبرب العالمين.. فالإنسان هو سيد الأولين، وإمام الآخرين.. وأول العابدين دائما وأبدا.

الإنسان بوجوهه.. هو أبعاض الحقيقة.. وبذاته هو جماع الحق.. وبحضرته هو مجتمع الحقائق.. وبقدسه هو عالم الله.. وبخلوده هو عالم الرشاد.. وبحكمته هو الكتاب والإمام والعلم.. وهو بالمتخلف عن جنسه منه مظهرا لمعناه، عن قيام بمعناه، ما أريد بالإنسان في مظهر العناد، {إن الإنسان لربه لكنود}[٨]، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[٩].. هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[١٠]، (المؤمن

مرآة المؤمن)[11]، إنه بسم الله الرحمن الرحيم إنسان، وللحق عنوان، {بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان}[12].

إن الرجل الآدم أول خليقة، والرجل الكلمة أول حقيقة. إذا قام القالب بحق خليقته، وقام القلب عليه بحق حقيقته، كانت الذات أحدية إنسان، وكانت عبدا للعنوان من الأعلى غيبا لها هي شهادة له، عنوانا وعبدا للرحمن، فكان يوما من أيام الله، وكان حقا من حقائق الله، وكان عالما من عوالم الله، وكان وجودا في وجود الله.

بهذا جاء الدين من الشرق ومن الغرب، وهذا ما تجدده رسالة الروح في هذا العصر، للقيام ولليقين، لا شرقية ولا غربية، رسالة بيان لما بين أيدينا من بلاغ، صدر عن مُبَلِّغ، في أي مكان، وفي أي زمان، وفي أي أمة، {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه}[13].

إن الذي أرسل البلاغ مع الأنبياء والمرسلين، هو الذي أرسل البيان مع كلماته من الأئمة والعارفين، وها هو يرسله اليوم وفي هذا الزمان من سموات الأرض، بأمورها من الإنسان إلى الحضرة المنشودة.. إلى الحضرة المدعوة.. إلى الحضرة المرجوة.. إلى حضرة البشرية، جنة للإنسان، لبدايات التواجد بالوجود.. أوادم خلائق، وبدايات لقلوب، بحقائق وكلمات لله من الأرض تتصاعد، والى الأرض مزرعة لإنسانية الله تعود.

توجهها سموات وجودها، بقديم حقائقها لشهودها، {وأوحى في كل سماء أمرها}[14] من الإنسان، وهيأ للسموات كلمات متصاعدة أن تعود إلى آدمها من أديم الأرض، خلائق متواجدة، طبقات متجددة، ثم أرواحا متصاعدة، يأتي القديم في أثوابه بالجديد، استكمالا لمعناه، وتحقيقا لمرتقاه، حتى يتصاعد أصعد مما صعد، وحتى يتواجد أسمى مما وجد، فما كانت السماء إلا أمس الحاضر وحقه من حيث الخليقة، وغد اليوم وتخلقه بالحق من حيث الحقيقة.

إن الخليقة بمظهرها، وما تحمل في جوهرها، هي ظاهر الحقيقة، وإن الحقيقة بجوهرها، لا تَواجد لها في ظهور إلا بمظهرها في مظاهرها باسم الخليقة، (كان الله ولا شيء معه، ثم خلق الخلق، وهو الآن على ما عليه كان)[15].

الله.. صمد في ذاته.. صمد في معناه.. فما خلا في ذاته ومعناه عن موصوف الخلق فيه، وما خلا الخلق فيه عن موصوف الحق لهم وفيهم. فالله، يوم يسفر لقائمه بقيومه، يتواجد الإنسان، بتواجد العبد، بتواجد الآدم، بتواجد الكلمة، بتواجد الحياة، يوم يعرف كائن الإنسان ما معنى الحياة.

فالإنسان.. بقائمه في مولد الفطرة يقوم في صورة لأحسن تقويم، يحتفظ بها إن شاء، ويفقدها إن فرط، ولله الحجة البالغة، مهما جادل الإنسان، ومهما عنت الإنسان، ومهما لج في خصومته لنفسه الإنسان.

ما أوجد موجد الإنسان، الإنسان لنفسه، ليُقهره، ليميته، ليعذبه، ليفنيه، ولكنه تواجده الإنسان وهو أزلي الإنسان، فقد أوجده موجدا لنفسه، موجودا بمعناه إشهارا لعلمه ومسماه به، قام عليه راعيا، وعامله غافرا، وتعامل معه منعما، وعفا عنه راحما، وأكرمه ضعيفا، وآواه يتيما، وعلمه جاهلا، وقاده حائرا، وأغناه فقيرا عائلا، وأحياه عدما، وسوده للطبيعة مسودا، وأخرجه من العدم موجودا، وجعله باسمه للكون مشهودا.

شَرَّفه وكَرَّمه مولودا، وقَدَّره وأعانه والدا، وأفاض عليه ربا، وتكفله مربوبا، وشرفه بالانتساب إليه عبدا، وحرره في وجوده روحا، وأطلقه في مطلقه سُبّوحا، وشَرفه لمعلومه ولوجهه اسما، وتعنون به رسما وكسما، فظهره له وجها من ورائه محيطا، وفعل به له يدا، واتصفه قدرة، وخلق به الوجود كلمة، وأحيا به الجماد خليقة، وجعل منه للحياة حوضا، وصدر منه للظلام نورا.

الإنسان.. عبد الإنسان. الإنسان.. رب الإنسان. الإنسان.. خليل من يعلوه، وحبيب من يسفله. الإنسان حبيب من يعلوه، وخليل من يسفله.

الإنسان.. يوم يكون إنسانا، لا يعرف عنه سِفَلا، ولا يعرف فوقه علوا، ولكنه دورة الحياة، عاليها وسافلها، وسافلها وعاليها، لا سِفل لها، ولا علو عليها، ما قامت نقطة الحياة بالحياة، لدائرة الحياة معنونة الإنسان أحد الحق، وأحد المطلق، وجه الحياة، يد القدرة، قدم المسير.

الإنسان.. يطوي سموات الوجود بين جوانحه، يوم يكون محلا لملكوت السموات والأرض وهو يتسع لله مؤمنا يتسع لربه الإنسان. والإنسان يتسربل بملكوت السموات والأرض دثارا له، هو لها نقطة الحياة، ومركز دائرة الوجود، وقبلة الشهود لدوائر الحياة، بالإنسان للإنسان، {وخلقناكم أزواجا}[١٦].

إن فقه الإنسان عن الإنسان هو فيه، وهو فيه، فيه فقه الإنسان عن نفسه. وفي فقه الإنسان عن نفسه، يقوم فقه الإنسان عن ربه. وفي فقه الإنسان عن ربه، يقوم فقه الإنسان عن إلهه. وفي فقه الإنسان عن إلهه يفقه الإنسان عن الوجود في معالم وجوده، فتبدأ معرفته عن الله هو اسم له، فتبدأ معرفته عن اللانهائي بإدراك لانهائيته فيه.

الإنسان من التقييد إلى الإطلاق يسير، والإنسان من الإطلاق بالتقييد يتواجد، والإنسان بين مثقله لذاته من وجود مقيد، ومُظله للطيفه من وجود محيط منطلق، بين يدي رحمة الله، كلمة له، ونفسا متواجدة لمعرفته، كتابها في عرفانها عنها، وفي تعريفها لها، عند معروفها منها، (لا دينونة الآن على من دخل في قلب يسوع)[١٧]، {يا أيتها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي}[١٨]. يا أيها الناس اتبعوني يحببكم الله، ويكون لكم من الله ما لي.. لا تتعجلوا العطاء، لا تتعجلوا الفتح، لا تتعجلوا الكشف، لا تتعجلوا رسالتكم، (خير الناس الأتقياء الأصفياء الأخفياء)[١٩]، فمن كتم أمره بلغ رشده، وادفنوا أنفسكم في أرض الخمول، فما نبت نبت إلا وهو مدفون.

لا تُظهروا أنفسكم بمعاني الحق لسانا وكتابا، ما لم يكن لكم بالحق يقين، وتكونوا من الحق على بصيرة، وكونوا أهل إشارة ولا تكونوا أهل عبارة، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله، على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٢٠]، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٢١]، {فصل لربك وانحر}[٢٢]، فأنت بعث الصالحين، وأنت بعث المرسلين، وأنت طابع النبيين، وأنت المثل الأعلى للمتقين، وأنت أول العابدين، وأنت تمام كلمة ربك للعارفين، وأنت يد الله للكاشفين، ووجه الله للمبصرين، {قل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا}[٢٣]، (من رآني فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي)[٢٤].

إن الشيطان لا يرى فيَّ المثل الأعلى له، وأنا المثل الأعلى لكم، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض، (وقد أخفى الله الولي في الخلق)[٢٥]، و (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)[٢٦]، {فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى}[٢٧].

وبالمثل الأعلى يأتي الحق، ولا مجيء للحق إلا بالمثل الأعلى، إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا، جعل منه المثل الأعلى، أحصاهم وعدهم عدًّا، متوحدين معه، كلهم آتيه يوم القيامة فردا، {إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[٢٨]، هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[٢٩]، {إنك لتهدي إلى صراط مستقيم}[٣٠].

إن الصراط المستقيم، ليس هو الكتب السماوية، ليس القرآن صراطا مستقيما، وليس الإنجيل صراطا مستقيما، وليست التوراة صراطا مستقيما، فهذه كتب من ألفاظ، يهدي بها كثيرا، كما يضل بها كثيرا، ويقتصر هديها على التعريف بضرورة الرائد، ولكن الصراط المستقيم هو من جاء بهذه الكتب، من جاءوا بها وهم قيامها وقيوميتها حية. إن موسى كان الصراط المستقيم، لا توراته.. وإن عيسى كان الصراط المستقيم، لا إنجيله ولا أناجيله.. وإن محمدا كان الصراط المستقيم، لا قرآنه ولا أثره، يقوم ويتقلب في الساجدين، يدعو على بصيرة بأصله وصوره وظلالهم صراطا مستقيما لا يغيب، يتلو ويبين على مكث.

(يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[٣١]، صراطا مستقيما يقوم، وعلما على الله يُعلَم، {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}[٣٢]، {أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}[٣٣]، وإن لنا في مجيئنا إلى الأرض دورة متصلة بكلماتنا عليها لأهلها رواسي الأرض، كما أن لنا دورة ظهور، دورة نشور، دورة فصل لدورات البلاغ، ودورات الهدي، دورة دور يذكر فيها اسم الله، دورة دور لله لا تعد ولا تحصى، {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا}[٣٤]، وليس آخر بيت يوضع للناس، وما كان محمد بدعا من الرسل، ولا بدعا من العباد، ولكنه كان دورة الرشاد، وخصيم العناد، وهاشم الباطل، وبناء الحق، (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[٣٥]، (بعثت والساعة كهاتين وما سبقتها إلا كما سبقت هذه هذه)[٣٦]، (هو الذي يبقى معكم إلى يوم القيامة)[٣٧].

رب البيت.. وعين البيت.. وأهل البيت.. هذا ثالوث الحق في أحدية حق الرسول، وآدمية خلقه حقا من الله، عنونه البيت من المادة والطبيعة، على ما تشهدون وتستقبلون، عنوانا لأبدانكم على ما تتواجدون. ورب البيت ما عرفه غير ربه، روح قدس في ذات، إشارة إلى أرواحكم لأبدانكم، وهكذا أنتم، هم من هو أقرب إليكم من حبل الوريد باسمكم (اللهم)، ولا تقدرون ولا تعرفون.

أنتم أهل بيوتكم من أبدانكم بأرواحكم من أصولكم. أنتم معنى الحياة فيكم، أنفسكم له لا تُعَبِّدون، وإن أنفسكم لله ربا لكم ولبيوتكم وأهلها عَبّدتم ظهر بكم فكنتم به الظاهرين، كلمات لله من رب العالمين، يشهدها المتقون، ويطلبها العاشقون، ويخاللها العارفون.

ضُرب ابن مريم مثلا لها عترة للأمين، فإذا قومه عنها يصدون، وما ضُرب ابن مريم مثلا إلا لذاته، ولأهل بيته، ولمن طهر الله من أهل بيته، (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)[٣٨]، {قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا}[٣٩]، {ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا}[٤٠]، {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}[٤١].

وقد وَفَّت أمته لأهل بيته على منابرهم حقهم من الكنود، ونصيبها من الجحود، وفي مقابرهم نصيبها من عقيدتها فيهم على ما تشهدون بين مستغل خادع، ومتاجر مخادع، وضال ناصب، ومخاصم غاضب.

فآوتهم في مقابرهم مذكورين، وأخرجتهم من مآمنهم مغلوبين، ورفضتهم بينها بالحق ساعين، وبالصدق ناطقين، وبيد النجدة منقذين.. ثم قبرتهم تحت الثرى مدحورين، وعبدتهم تراب اللاهوت مكرمين،

فشيدت المقابر، وأعلت وزينت الهياكل والمنابر. وما كانوا إلى الأرض متثاقلين، كلمات لله متصاعدين، للرفيق الأعلى طالبين، وعترة لرسوله مغفورين.

هذا هو أمر الدنيا على ما تقومون، وهذا هو أمر الدين على ما تشهدون، وها هي آيات الله، وإرهاصات الأمر المبين، تتوالى للمدركين، لا يلتفت إليها الغافلون، إنذارا بانقضاء يوم للدين، وبشرى بمقدم يوم لليقين من أيام الله بالعارفين، برسالات الله تجمعها رسالة الروح الأمين بالعلم المبين، بساعات الله للمباغتين، بعباد الله للصادقين، بحقائق الله للعالمين، ببيوت الله للمتعطشين ، بيوتا يذكر فيها اسمه للمقربين، بين مرفوعة، وموضوعة للمهتدين، مدائن علم للطالبين، ولا إله الا الله سبحانه عما يصفون وتعالى عما يشركون، إنه على كل شيء قدير، وبكل فضل جدير، وبكل شيء مبين، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، لا يشهدها إلا الصالحون، ولا يقومها إلا الوارثون، ولا يرد ماءها إلا المتقون، ولا يطلبها إلا العالمون، ولا يخاصمها إلا الجاهلون.

اللهم يا من جعلت من الساعات بدايات برحمة، ونهايات بقضاء.. اللهم يا من جعلت من الحقائق بعبادك أيام اجتماع عليك، وجمع بيديك لخلقك، حصاد فعلك.. اللهم يا من جعلت من رسولك دورة الساعات، ودورة الأيام، ودورة الحقائق، ودورة الخلائق، ودورة الوجود بالموجودات، ياقوتة أحدية ذاتك الصمدية، وعين مظهر صفاتك الأزلية.. اللهم عليه فاجمعنا وبه فارحمنا.

تنزلت علوم آدم به فيه عليه، فأودعت فيه من السر ما عجز كل عقل عن إدراكه، وجعلت منه شهادة الحق، كما جعلت فيه عظمة الخلق، إذ جعلت الحق غيب شهادته حقا بخلقه، وجعلت مُشَاهِدَه بالحق في حضرة حقيقته للحق بباطنه من الخلق. وجعلت ذاته من الخلق باب حضرتك بالحق، فيسرت الأمر على يديه لطالبك في نفسه بوحدانتيك، وخاطبت به الناس على قدر عقولهم.

اللهم فدركنا أمرك به فينا، في قائم أمرنا، بقيوم أمرك به علينا رحمة منك.. اللهم اجمعنا عليه في شهادته وغيبه.. اللهم وحد بيننا وبينه في رحمة واحديتك به وأحديتك له، حتى ندخل في حصن لا إله إلا الله، في دخولنا فيه مدخلا عليك، لا ينتهي المرتقى إليك، ولا تتوقف النعماء والعطاء منك، ولا تجز منتك، ولا تنتهي في الجديد لك طلعتك، لا إله غيرك، ولا معبود سواك، الحق منك، والحق بك، والحق إليك.

اللهم به فقوم سبيلنا.. اللهم به فأصلح أمرنا، حكاما ومحكومين، يقظين وغافلين، مجتهدين ومتابعين، روادا ومرودين، أئمة ومأمومين، يا من جعلت منه رحمتك، به ارحمنا، وارحم بنا، به أكرمنا، وأكرم بنا، به حققنا، وحقق بنا.. اللهم وقد جعلت منه رسالتك، دائمة قائمة، لا ينطفي لها نور. ولا تخبو لها

جذوة، ولا يلتوي لها طريق.. اللهم اجعلنا في رسالته ومن أهلها، وأقمنا برسالته، وقَوِمنا أهلها، دين القيمة، وقنا شرور أنفسنا، وشرور المستغلين لدينك، وشرور الطاغين المستهترين بيقين قيامك وتقويمك. وأتمم علينا نعمتك بشهود لا إله إلا الله، وقيام محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

(لقد قادتني خبرتي الخاصة إلى معرفة أن الحياة المكتملة غير ممكنة دون إيمان لا يتزعزع بناموس حي، تتحرك الكائنات كلها وفق مشيئته. أما الإنسان الذي يخلو من هذا الإيمان فمثله مثل قطرة متناثرة من المحيط مآلها الهلاك والتلاشي. إن كل قطرة في المحيط تشترك في جلال وفي شرف أنها تمدنا بنسمة الحياة.

إن الله هو ذلك الذي يجل عن الوصف، ويسمو عن التحديد، والذي لا نعرفه ولكننا نحس ونشعر به. إن الله في نظري هو الحق والحب، إنه الأخلاق والورع.

الله هو التطهر من الخوف، وهو ينبوع الضياء والحياة، ومع ذلك فهو فوق وأبعد من أن يحدد بهذا.

الله هو الضمير.. بل حتى هو الإلحاد في الملحد.. إنه يسمو على الكلام والمنطق. إنه إله مادي لأولئك الذين يحتاجون إحسانه، ولكنه الجوهر الصافي.. إنه (هو) مجرد هو لأولئك الذين يؤمنون.

إنه المشقة الطويلة، إنه صبور ولكنه رهيب، إنه أعظم ديمقراطي يعرفه العالم، نحن عدم وفناء ووحده هو الموجود الحي الباقي. إنني لا أعتبر الله شخصا. إن الحق في نظري هو الله، وإن ناموس الله والله ليسا بشيئين مختلفين، أو بحقيقتين متباينتين مثلما يختلف العاهل (الملك) الأرضي عن قانونه.) (تولستوي)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الزمر - ٣٠

٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣ سورة الإنسان - ٣٠

٤ سورة هود - ٤٥

٥ سورة هود -٤٦

٦ سورة الانفطار - ٥

٧ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدَّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.

٨ سورة العاديات - ٦

٩ سورة آل عمران – ٦٤

١٠ سورة الفرقان – ٥٩

١١ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

١٢ سورة الحجرات -١١

١٣ سورة القيامة - ١٩:١٨

١٤ سورة فصلت - ١٢

١٥ حديث شريف: "كان اللهُ ولا شيءَ معه، وهو الآن على ما عليهِ كانَ". المحدث: ابن تيمية، المصدر: مجموع الفتاوى. أخرجه البخاري رحمه الله في كتاب بدء الخلق بلفظ: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض."

١٦ سورة النبأ - ٨

١٧ "إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ، بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ." (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٨: ١).

١٨ سورة الفجر – ٢٧, ٢٩, ٣٠.

١٩ من الحديث الشريف: "إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة." رواه ابن ماجه

٢٠ سورة يوسف - ١٠٨

٢١ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٢٢ سورة الكوثر – ٢

٢٣ سورة الإسراء - ٨١

٢٤ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآني فقَدْ رَأى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُني." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٢٥ مقولة للإمام عليّ (عليه السلام): إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئا من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عباده، فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم.. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

٢٦ من حديث شريف: " رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، ذِي طِمْرَيْنِ، تَنْبُو عنه أَعْيُنُ الناسِ، لو أَقْسَمَ على اللهِ لَأَبَرَّهُ". خرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.

٢٧ سورة النجم - ٣٢

٢٨ سورة سبأ - ٤٦

٢٩ سورة الفرقان – ٥٩

٣٠ سورة الشورى - ٥٢

٣١ من الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

٣٢ سورة الفرقان - ٦٣

٣٣ سورة الرعد - ٤١

٣٤ سورة آل عمران - ٩٦

٣٥ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٣٦ حديث شريف: (بعثت أنا والساعة كهاتين) - وأشار بالسبابة والوسطى. صحيح البخاري. وفي سياق آخر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعثت مع الساعة كهاتين وأشار بأصبعيه الوسطى والسبابة كفضل هذه على هذه.)

٣٧ استلهاما من الآيات: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ" (إنجيل يوحنا ١٤:١٦-١٨).

٣٨ إشارة إلى الحديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرك.

٣٩ سورة الشورى - ٢٣

٤٠ سورة الإنسان - ٨:٩

٤١ سورة الأحزاب - ٣٣

(١٧)

من الحق إلى الخلق و من الخلق إلى الحق
تبليغ بحكمة و ريادة بيقين

حديث الجمعة

١٧ محرم ١٣٨٤ هـ - ٢٩ مايو ١٩٦٤ م

نشهد أنه لا إله إلا الله.. بها ندخل حصن الله، وبها نعلم أن الله لا إله غيره، ولا موجود ولا معبود سواه. ما عَرَفَه إلا أسماؤه، وما شهده إلا معناه، وما ظهره إلا عباده، وما قامه إلا من رآه مولاه بإنسان لاسم مولاه، لإنسان لعين مولاه، لإنسان في مولاه إنسانا لذات الله (يطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات)[١] يوم قام في مبناه وفي معناه، قياما للا إله إلا الله.

قامها بعثا بالحق، مبلغا حكيما محمد الله، وعبد الله، وإنسان الله، ورسول الله، وحق الله، وقامها بعثا برسول الله، بالحق رائدا عليما، عَليٌّ الله، وعبد الله، وطريق الله، وآدم الله، وإمام الناس.

بهما وضع البيت للناس يذكر فيه اسم الله، ورفعت قواعده بين ظهرانيهم، على ما عهد إلى إبراهيم وإسماعيل من قبل. {وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود}[٢] بتطهير قلوبهم، ساحة رحمة للمؤمنين، بها يقومون ويعملون، قلوبا هي جنة لطالبيها، وساحة رحبة لله رب العالمين لداخليها. وهو عين ما قام به موسى وهارون يوم جعل الله من بيوتهم قبلة للناس بمصر.

وهو ما يجعله الله لعباده بيوتا مرفوعة أو بيوتا موضوعة يذكر فيها اسمه. كان محمد وعليّ أول بيت وضع للناس على وجه التعميم يستكمل لبناته بعترتهما، ويستكمل ظهوره بأمتهما، فتستكمل البشرية به استقامتها، وتستقبل للصلاة والحجيج قبلتها، كافة للناس.

إنسان سَلْم لإنسان في معراج الإنسان في الله ذي المعارج، أزواجا يقوم، ذات قدس للعيان، عَلما على الأقدس في كنزيتها هي في العلم والعرفان، فالأقدس والأقدس لاستقامة العقيدة، وتحقيق معنى الإحسان، في الموجود المطلق القائم بدءا، على كل إنسان في القيام، قائما به بقيام العنوان من

الإحسان، خفيا عن الظهور والعيان. وبالأعلى قائما عليه أمر الله قائما في دوام، يقوم بدين الفطرة، بدين القيمة. الإنسان رب الإنسان، والإنسان عبد الإنسان، الله لهما، والله بهما، وهما لله، وبالله، وذلك أمر الفطرة إلى القديم أو إلى القادم على سواء. {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}[٣].

يجادل معظم الناس في الله، في كل زمان، وفي كل مكان، ولا علم لهم عن الله، ولا علم لهم بالله، ولا علم لهم من الله، ويتبعون كل شيطان مريد، باسم مولاهم، وباسم معناه، يعنونه رسولا لله، وحقا لله من دون الله، ويجهلون أنه لا حول ولا قوة إلا بالله. إنما هي فتنته واختباره للمؤمنين، ولو شاء الله ما فعلوه، وما قاموه بطغيان أنفسهم وظلمها لهم ظالمين.

(سل عن الرفيق قبل الطريق)[٤]، والطريق والرفيق حق للعتيق، للمتقي النقي الوثيق، الذي انقاد فسيق. إن الطريق إلى الله.. إن الطريق إلى الحق الخالق.. إن الطريق من الخلق.. إن الطريق للخلق، إنما هي طريق الإنسان، من الإنسان خلقا إلى الإنسان حقا، أما الحكمة وطريقها وبلاغها من الإنسان حقا إلى الإنسان خلقا، فحاضر الإنسان، هو رسول قديم الإنسان إلى قادم الإنسان، ومن حاضر الإنسان عبدا وحقا رسولا من أزلي الإنسان إلى أبدي الإنسان، تبدأ الطريق وتظهر الطريق. (فليبلغ الحاضر منكم الغائب[٥].. ورُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[٦].

تظهر الطريق من قديم الإنسان إلى قادمه، بقائم الإنسان قائما بقديمه وقادمه حقا وخلقا في قيامه بظاهره لباطنه. فالإنسان بحاضره هو الأمة الوسط، بين أمم الإنسان بقديمه، وأمم الإنسان بقادمه، في أزل للإنسان لا بدء له، إلى أبد للإنسان لا انتهاء له. (أعلمني الله في موقفي هذا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة) [٧].

إن الإنسان في قائمه، بعمله يصدر عنه ويعان عليه، تتحدد مكانته، ويتكيف لونه، ويأخذ مكانه لوضعه من طبقته الإنسانية، بحكم قانونها بإرادة المطلق لها، {في أي صورة ما شاء ركبك}[٨]، (كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون)[٩]، أينما تولوا فما ولى حيثما ولى بكم إلا وجه الله لكم، يلحقكم لطيفه، ولا يمنعكم من الاتصاف باسمه تشريفه، (ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان)[١٠]، {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}[١١].

ما اتصف الحق يوم اتصف في بلاغ بحكمة أو في تعريف بعلم إلا بما هي صفات الإنسان، وما يتصف به الإنسان، وما يطمع أن يتصف به الإنسان. هكذا كان وغيره لا يكون. فالحقيقة تنزهت عن الإطلاق ظهورا بالتقييد، وتنزهت عن التقييد بالإنسان فيها وبها ولها وإليها ومنها إلى واحدية معناها وأحدية مطلقها، للانهائي قيامها بآحاد الإنسان، لا يتوقف تعاليها وانتشارها لملء فراغ الوجود بالحياة.

إن رسالة الفطرة، قامها رسول الفطرة، وعنوان الفطرة، وقانون الفطرة، مَن عرفناه بيننا محمدًا، ومن شَرُفناه لأنفسنا ظلالا له آدمًا، أو أبناء لآدم، أو جديدا لآدم، فأدركناه سبقا لآدم لمعنى أنفسنا نفسا له، وأصلا لآدم يوم صرنا به بيوتا في مدينته بأهلها ذكرا لله ولله ذاكرين، أوادم أنفسنا لبيوت معانينا. ولكنه ظهر لنا قدوة وأسوة وتيسيرا لنا، فرعا لآدم مع أنه في قيامه قائم الفطرة بأصلها وفرعها، صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة، الظاهر في كل شيء والباطن لكل شيء، ولكل باطن.

عنونت ذات محمد عندنا من الإنسان معنىً، وعنونت معاني محمدٍ من معاني الإنسان عندنا، معنىً ومعنىً. وعنونت حكمة وقدرات محمد لقدرات وحكمة الإنسان عندنا، وصفا لحكمة الله، ولقدرات من قدرات الله، وصفا ومعنى. هي لنا يوم نكون به الإنسان حقا وعبدا.. عبدا قائما بمراد ربه لقيامه نفسا لنفسه، وعَلَمًا لعنوانه، فيصبح الإنسان به اسما لله، وحقا من حقائقه لا عد ولا حصر لها، أحد نفسه لآحاده له، لأحدية أحده، بين آحاد لله تجمعها أحدية المطلق لمطلق وجوده، للانهائيته.

ظهر محمد بيننا بمجال من مجالات الإنسان، وتكنز علينا عنا منه بالكثير من مجالات الإنسان، قام بها وقامت فيه، (ما عرفني غير ربي)[١٢]. ولم يمنع عنا أن يكون لنا ما كان له مما عرفنا ومما لم نعرف، فما كان له ما كان له إلا بالفطرة.. ولا يكون لنا ما يكون لنا في متابعته إلا تحت سلطان أحكام وقوانين الفطرة، من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[١٣]، لكل فعل رد فعل مساوٍ له في القوة ومضاد له في الاتجاه.

ما أبرزت الفطرة محمدا عنوانا لها إلا ليكون كافة للناس، ما استقاموا استقامته، وما تابعوه على سنته، وما عملوا بما عمل، وهدفوا إلى ما إليه هدف، مثل لهم جماع حيواته في صفات حياته بينهم.

ارتفعت همته عن الدنيا غنيمة، وعن الآخرة مغنومة، إلى طلب الحق، إلى معرفة الله، إلى العلم بالحقيقة، إلى كشف الغطاء عن نفسه ما تكون، ومن أين جاءت، والى أين تصير، زهدا في موجوده ونشدانا لمقصوده، زهدا في موجوده من الدنيا يتواجده، ومن الآخرة يعرفه ويشهده، إلى منشوده من الحق يلقاه ويسعده.

طلب الله ولم يخيب الله طلبه. عمل للآخرة وجعل من الأولى مزرعته، فسار إلى غايته بخطىً ثابتة، وإن كانت وئيدة، وأسرع في حدود طاقته من الإسراع، ولم يحمل حيوانه أكثر مما يطيق، أبقى ظهره سليما يمتطيه، فأفاض الله عليه من نوره، وجعل ما أفاض معنى الكتاب إليه، وجعل مما أدرك فأبرز

وبه تحدث معنى الكتاب إلينا، وجعل ما هو منه إلينا عين ما هو من الله إليه، فجعل الله ما هو منه إلينا هو ما من الله إلينا.

وقد أضافه الله إليه حقا إذ جعله منه، بما أنزل عليه من نوره صاره، فجعله إلينا يده ممتدة، ووجهه مشرقا، وجعله بيننا وفينا معاني الحق لنا، وقيام الحق بيننا، رسولا من أنفسنا، جديد قديمه، وقائم جديده، وحق دائمه، وعين قادمه من أنفسنا، والمثل الأعلى له بيننا لنفسه ارتضاه ويرتضيه...

كافةً للناس وبشرى لهم من ربهم على حاله، وعلى مثاله برحمة الله معه يكونون، يوم هم للحق يطلبون، ولتحقيقه لأنفسهم يعملون، ولأمر الله يصبرون، والمثل الأعلى يتابعون، جديدا لقديم يشهدون، وبالحق بينهم يتواصون.

يذكرون الله لا يغفلون، ويراقبون قائم الله عليهم، عليه لا يتجاسرون، بل الله قريبا يتقون، وقائما يذكرون، وظاهرا يشهدون، ولجلاله يسجدون، ولجماله يعشقون، ولشدة قربه يخشعون ويرهبون، معه فيما يقومون ويعملون يتعاملون، ومن ضمائرهم رقيبة على أنفسهم يحذرون، فلا يخدعون ولا يخدعون، ولا يخادعون، يحبون لإخوانهم ما لأنفسهم يحبون، فلا لحق عرفوا يكتمون، ولا بنور اغترفوا عن البذل يمتنعون، ولا بدنيا ملكوا يبخلون، كرماءً يوصفون، والله عندهم كريم به يقتدون، وبخلقه يتخلقون، ومما رزقهم ينفقون، لا متفضلين، ولا مانين، ولا محتالين.

وهم عن مواصلة الكسب انتظارا لما يجزى ويعطي غير متوانين، أنفقوا وينفقون، حققوا المغانم، ولغنم ينتظرون، عملوا ويعملون، كسبوا ويكسبون، أعطوا ويعطون، حققوا ما أملوا، وما زالوا مؤملين، وما زالوا لأمل محققين، أولئك هم المسلمون.

هناك شجرة لا يسقط ورقها، هي شبه المسلم، تؤتي أكلها كل حين، هي عماتكم النخيل، فجددوا معاني الآباء في أزل الإنسان، لله ورسوله مسلمين، كلمات طيبة، شجرات طيبة، أصلها في أرضها ثابت، وفرعها في السماء متصاعد، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، لا يسقط ورقها، ولا ترد إلى الأرض من السماء أعمالها بتجديد جلود أبنائها. كونوا مساكين المتارب {مسكينا ذا متربة}[١٤]، يتماء القرب، {يتيما ذا مقربة}[١٥]، أصول الوجود، وكلمات التواجد، الإنسان بيت وجماع بيوت، (إن آخر من يخرج من النار، إن آخر من يخرج من الدنيا، يعطي عشر أضعاف هذه الأرض)[١٦]

ليس إنسانا ولا يوصف بإنسان، إلا من كانت الشمس عليه العنوان، جعلت الشمس عليه دليلا، داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، جعل الشمس سراجا والقمر نورا، نار الله الموقدة، أن بورك من في النار ومن حولها. إنه الإنسان في فطرته.. إنه الإنسان في عترته.. إنه الإنسان في جبلته.. إنه الإنسان

في معراج من معارج قدرته. {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون}[١٧] {أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى}[١٨]، {وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا}[١٩].

إنسان الفطرة.. إنسان الطبيعة.. إنسان الذات.. إنسان الظهور.. إنسان العلمية.. إنسان الوجود.. هذه أطوار للإنسان لذاتيته. وله أطوار في معنويته فهو إنسان الله.. إنسان المعنى.. إنسان الغيب.. إنسان العلم.. إنسان الحكمة.. إنسان الإرادة.. إنسان التدبير.. إنسان التعليم.. إنسان العلم.. إنسان ما وراء الإنسان. هذه أسماء وألوان للإنسان في معراج من معارج إنسانيته، إنها حق أكبر من حقائق الإنسان لمشهود حاضره.

إنسان القدرة.. إنسان الطاقة.. إنسان العزة.. إنسان الجبروت.. إنسان اللاهوت.. إنسان الملكوت.. إنسان المُلك.. إنسان الناسوت.. إنسان الوجود.. إنسان الإحاطة.. إنسان الإطلاق.. إنسان اللانهاية.. إنسان العناية.. إنسان ما وراء الإنسانية، فطرة، ومعنى، وأسماءً، وصفاتٍ.. إنسان الإنسانية.. إنسان الرحمة.. إنسان الرحمنة.. إنسان الرحمن.. إنسان الرحمانية. إنسان كل شيء.. هذا أمر من أمور، وحق من حقائق للإنسان في انعكاسه إلى نفسه بعيدا عن كونه.

إن الإنسان كما هو جماع الخلائق في خلقته، فهو جماع الحقائق في حقيقته، وهو مظاهر الخلائق ومُظاهر الحقائق، ومُظاهر ما ظاهرت الخلائق والحقائق في معراجه إليه.. إنسان ما وراء كل شيء.. إنسان لا نهائي الخلائق.. إنسان لانهائي الحقائق.. إنسان الخلق والخالق.

إن الذي ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان، جعل من الإنسان كل شيء، وكل عنوان، فما طلب الإنسان يوم طلب الله إلا الإنسان، وما طلب الإنسان الله يوم يطلبه فيكون له طالبا إلا يوم يطلبه في نفسه. إن الله لا مكان له حتى تذهب إليه حيث مكان، لا من قبلة دعاء بسماء أو قبلة حجيج ببيت. إن البيت ما جعل منسكه إلا أسلوبا من أساليب التعليم، وطريقا من طرق التوجيه، ووسيلة لتوجيه طاقة الدائرة الإنسانية إلى المركز المتماسك للقلوب المتحدة، لإنسان الذات مركزا للدائرة الروحية. إن ملكوت الله بين جوانح الإنسان يوم ينعكس الإنسان ببصيرته إلى نفسه، فيشرق منه لبصره ببصيرته أمره بلطيفه من الله له لطيفا لله، فيراه وجها لمن هو من ورائه بإحاطته، مكشوفا عنه غطاؤه، بصره حديد، فإذا نظر إلى الوجود فما نظر إلا في مرآة له، فيراه يوم يراه وجها لله، يشهده في مرآته من الوجود، وما كان الوجود إلا دثار قدسه، قام عَلَمًا على الأقدس، { يا أيها المدثر قم فأنذر}[٢٠] فما تدثر الإنسان إلا بالوجود، عالما قام في حجب الظلام، أو في حجب النور، لقائم سره بسر

ربه قائما على نفسه بما يكسب من أمره، محجوبا عنه بحجابه عن نفسه أو مكشوفا له برفع الغطاء عنه.

هذه هي تعاليم وهدي الإسلام، إن كنا نريد أن نعرف تعاليمِ وهدي الإسلام، أما إذا كنا نريد أن نضع تعاليم من وحي أنفسنا مجانبين التعاليم الفطرية المقامة حَملها مسحاء الفطرة ومُعبِّدوها، مُنبأة، مُنبئَة، وعين النَبَأ، فيما تُنبئ، مضافة إلى قديم أزلي من الإنسان، حية عاملة في صبر وتؤدة بعنوان من إنسان، هادفة إلى قادم أبدي للإنسان، تزرعه في حاضرها من الإنسان، مرضاةً لربها بقديمه من الإنسان، ربا راعيا لعبدها في قادمه بعبدها في قائمه...

فالإنسانية بحاضرها عبودية قديمها وربوبية قادمها، رسالة متجددةً، وقيامة متعددة، في قائم من إنسان آدم لها، يجمعها حاضرًا بعنوان، لغيب له يعنونه ببيان، رسولا من أنفسنا في دوام، يدعو إلى الله على بصيرة، هو ومن يتبعه، رسالة دائبة على ما كان أوله عنده، وعلى ما قام آخرا لأول إليه.

عرفه من تعارف إلينا أول العابدين ممن عرفنا عمن نعرف من العارفين بقديم وجديد، يدعو إلى الله على بصيرة هو ومن يتبعه، قائما متقلبا في الساجدين، حاضرا، عاملا، ساعيا، دائبا بين القائمين عبدا للرحمن إلى حين، يتجدد في عبدِ للرحمن إلى حين، يتجدد العنوان ويبقى الأصل للعيان، لا جديد ولا قديم. يتجدد على تعاقب متواصل بظلال لأصل، كما يتجدد بأصوله على تباعد أصولا وظلالا للمعروف، وتواجدا لواجب الوجود بأسمائه، ووجوهه، بعباده وحقائقه.

هذا ما حققه لنفسه وقدمه لنا من وصفناه خاتم النبيين، وأول العابدين، وما عرفناه في نبيئين، وما انقطع عن الأرض به النبيئون باسم العلماء العاملين والأئمة العارفين. وما طلبناه في عابدين، وما انقطع به الأولياء والعباد الواصلين الموصولين. وما تبعناه ناظرين، بل عليه في دوام مستكبرين، بوهم المثال له لأنفسنا زاعمين...

وهو المثل الأعلى ضُرب لنا يوم أن نكون للمثل الأعلى طالبين، وما نكون للمثل الأعلى طالبين إلا يوم نكون لله ساجدين، وبأنفسنا له عابدين، بعقولنا مجاهدين، وبعجزنا حائرين، مُجهَدين، محزونين، فيرق لنا الأعلى ورب العالمين، {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}[٢١] فيجمعنا على عبادٍ له من عابدين، هم بالله خبيرين، وهم لله خاشعين، وهم من ذكرهم لقربه وجلين، وهم على ذكره عاكفين، آناء الليل وأطراف النهار، قائمين قاعدين، راكعين ساجدين، مصلين، ساعين، مع الناس لوجهه متعاملين، لا يمنعون الماعون، ولا يردون السائلين، ويطلبون الطالبين، ويسعون إلى الساعين، رحمة من الله أرحم

الراحمين، أحواض رحمته للعالمين. مثلهم الأعلى أول العابدين وطابع النبيين العاملين، رسول الله بكل دين، وحق الله للواصلين، ووجه الله للعاشقين، وعلم الله للمتقين، وكتاب الله للعالمين.

بهذا جاءنا الدين، وقام من بيننا فيه رجال على يقين، فما تابعناهم على دين، ولا سمعناهم على يقين، ولا ذكرناهم متوسلين، ولا عرفناهم بيننا متجددين، على الدين كله مظهرين، بل أغفلناهم مظاهرين إلى شيطان أنفسنا على أنفسنا عاكفين، وعلى شياطين بيننا متجمعين، وبالشيطنة متواصين، للقول مزخرفين، نلبس الباطل ثوب الحق مزورين باسم الرحمة والدين، وباسم العلم واليقين.. شياطين الإنس إلى شياطين الإنس متجمعين، وبيوتا للشيطان يذكر فيها باسم الرحمن مشيدين. فإذا اجتمع لجمعهم شياطين الجن في نفوسهم سارين ولدمائهم ملوثين، زعموهم العارفين، والعالمين الواصلين، والأنبياء المكلفين، والأولياء المقامين، والرواد الراعين.

سبحان الله.. إلى متى هذا!!؟ كل أمر من الضلالة إلى حين، فهلا حان الحين! أما أمر الله للطالبين فلا حين، ولكنه في كل وقت وحين، ما تحين الإنسان حين دورته فلم يفرط في أمره، وجاهد في أمر الدين، صادقا، مصدقا، صافيا، لنفسه مصفيا، لا يفكر في المتابِعين، المتابِعين له على ما يدين، ولكن يفكر في نفسه، ومن يتبع هو لنفسه في أمر اليقين. المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل، المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن مرآة أخيه، فلينظر أيكم من يؤاخي.

فليبدأ المرء بنفسه، وليحرص على أمر نفسه. فليبدأ بالانشغال بنفسه، وليجاهد بها ليبحث بها أول ما يجاهد، وأول ما يبحث حتى يعرف لمن يتابع.. ولمن يؤاخي.. مَنْ لنفسه يرتضيه وجها لربه يرتئيه.

وهذه هي المرحلة الأولى للمجاهد لنفسه، فعليه أن يسمع لكل متكلم، وليتأمل في كل ما كُتب، وفي كل ما نُقِل، وليعمل عقله في كل كتاب، وفي كل أمر. وهنا الحلال بين والحرام بين، استفت قلبك وإن أفتوك، وإن أفتوك، وإن أفتوك. وهذه المرحلة يجب أن تقتصر على النفس، وكيف يقودها العقل، وإلامَ يقودها، ومع من تنقاد في أمرها. وهنا يعطيه الكتاب هديه بالمحكم من الآيات، {أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[٢٢] هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[٢٣]، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٢٤]، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٢٥]، {بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان}[٢٦]، {اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون}[٢٧].

كل هذا من محكم الكتاب وغيره الكثير لا يحتاج إلى تأويل أو تفسير. وهنا يأخذ الإنسان لنفسه من الهدي ما يدعو إليه محكم الكتاب، وما يسوقه إليه محكم الكتاب، ومحكم الكتاب يسوق ويدل ويهدي إلى

طلب الإمام.. إلى طلب المعلم.. إلى طلب الرائد.. إلى طلب المرشد.. إلى طلب الرسول.. إلى طلب العالم.. إلى طلب العارف.. إلى طلب الولي.. إلى طلب المؤمن.

ولم يجعل الكتاب شيئا من هذا في أجير عليه، {اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون}[٢٨]، ولو أن الإنسان سار مع إنسان عرف فيه قدرًا من الحق، وكشف فيه قدرا من الباطل، فتابعه على ما هو حق على ما عرف، وترك أمره لله فيما هو من الباطل على ما قدر، ما تركه الله بل لكان مجاهدا حقا، والله يحب المجاهدين في سبيله، والله يرعى المجاهدين في طريقه.. أبناء السبيل.. أبناء الطريق.. أبناء الكتاب.. أبناء الدين.. أبناء آدم المكرمين.. أبناء الإنسان الواصلين.. أبناء الإنسان العارفين، يتامى الحق، الذين آواهم الحق، بيوتا للحق يقومون، ويتامى الناس يأوون.

بهذا قام الدين.. بهذا قام الكتاب.. بهذا قامت سنة الرسول.. بهذا قامت عترة الرسول.. بهذا قامت ظلال الرسول.. بهذا قام كتاب الله.. بهذا قام كتاب الرسول.. بهذا قام حصن لا إله إلا الله لداخليها، وحوض لا إله إلا الله لورديها.. (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[٢٩].

وكم قطعتنا القرون، وكم قطعنا من قرن، وصدق رسول الله، وما صدقناه، فأين هم رؤوس القرون؟ من تابعهم! من تعلمهم! من علمهم! من أعلمهم! لقد أصبحوا بينكم المقابر، فأين هي المنابر؟ ما أسكتم منابر الشيطان بمنابرهم بينكم في دوام تقوم، بل أعليتم منابر الشيطان منكم باسم منابر الرحمن، وفتنتم الناس بمقابر لتراب اللاهوت، واللاهوت في ناسوته منكم حي يرزق وحي لا يموت.

فقهاؤكم في الدَرك الأسفل من النار بمعانيهم بينكم يتتابعون، وأنتم معهم على أمة لآباء تتابعون، وبوهم السلف الصالح لهم تذكرون والتابعين وتابع التابعين بإحسان، كما تتوهمون وبألسنتكم تلوكون، تهرِفون بما لا تعرفون، وما ذكرتم يوم ذكرتم إلا كل تافه أو مختال أو مأفون، وكما خاصم آباؤكم من خاصم، وذكرهم ومثلهم تخاصمون.

لقد وقع القول عليكم، وازينت دنياكم بكم وبعملكم، ها أنتم زخرف الدنيا.. وها أنتم زخرف الدنيا تعبدون.. وها أنتم أمر الشيطان تقومون، وأمر الشيطان تقتدون.. وها أنتم أغطيتكم عنكم بقدرة الله تتكشفون، وأنفسكم تكادوا تلمسون، فإذا أنتم المبلسون، فإلى متى أمر الله تنتظرون، وحق الله لأنفسكم لا تدركون، وآيات الله تترى في أنفسكم وفي الآفاق من حولكم، ولا تعلمون، ولا تنظرون؟ كم من قارعة أبرزها الله لتقرعوا بها حتى تفيقوا، وأنتم في غطيط نومكم لا تفيقون ولا تقرعون.

كوبلي ومثالها، في إيران، وفي أورليانز، وفي كل مكان، وألوان من القوارع، وغيرها من ألوان الآيات ولا تتبصرون. انظروا.. ها هي فطرة الله تتحدث، كما يحمل إليكم النبأ اليوم، إذ تزلزل الأرض اليوم زلزالا خفيفا لا ضر منه تودع به رجلا من رجال الله، وعبدا من عباد الله، تسمعون منه الخير، ويصلكم منه الخير، وبغير الخير من الإسلام والسلام له تصفون، هو رجل الإنسانية التي فقدت الأرض بأمسكم، فرحبت به السماء، وبكت عليه الأرض، وعبرت عن بكائها بلطيف زلزالها ساعة الاحتفال بتشييعه إلى داره الدائمة، فقد كان الرجل رحمة من الله، فكيف يكون نقمة، يوم يفارق، ظاهر قيام إلى باطن قيام!

هو النفس الخالدة بما كسبت، وبما آمنت واعتقدت، وبما عملت، إنه أخونا (نهرو). إنه مؤمن الفطرة.. إنه مسلم الفطرة.. إنه عبد الفطرة.. إنه عِلمُ الفطرة.. إنه أمين الفطرة.. إنه سلام الفطرة.. إنه حكمة الفطرة.. فإلى رحمة الله، وإلى جوار الله، كما تقولون، وما فارق جوار الله قبل أن يرحل، ولا فارقته رحمته، ولن يكون في جديد من جوار لله بعد أن رحل، فقد كان وما هو الآن إلا في جوار الله.

إنه نفس كريمة حية، وعقل مشرق حكيم، وروح طليقة عاملة، في إناء استقامت جوارحه، وتطورت نفسه، وحيا قلبه، وانطلق عقله. إنه إنسان سلم لإنسان في معارج الإنسان بحقه لحقائقه. إنه الحكيم وتلميذ الحكيم، إنه الأمين وتلميذ الأمين، وسوف نراه بيننا عاملا، إن شاء الله قريبا وبعد حين، كما عرفنا من معلمه، ومن عباد الله العاملين، وأرواح الله المرشدين، وحقائق الله القائمين مع رسول الله الأمين، العامل بحقائقه من يوم للدين، إلى يوم للدين، في أيام للدين، وقيامات للدين، بسفور مالك يوم الدين، يوم يبرز الحق للعيان ولليقين، من وقت لوقت، ومن حين لحين.

سبحان الله وتعالى الله عما يصفون، وعز رسول الله على الكاذبين، وما امتنع رسول الله عن الطالبين الصادقين، قاموه ساجدين، قياما للمتحققين، ونورًا للمشرقين، وروحا للمتحررين، وحكمة للعقلاء العاقلين، المحررين من قيود الزمان، ومن قيود المكان، ومن قيود الخلق، إلى طلب الخالق عابدين، حقائق مقربين، يظهر بهم الخالق فيما خلق.. مشرقا بالصبح المبين.

لا إله إلا الله للعالمين العارفين، هم بنور الله قائمين بالحق الأمين، بمحمد رسول الله يقوم ويتقلب في الساجدين، ظلالا له وهداةً معلمين.

اللهم يا من عرفناك غنيا عن العالمين، وعرفنا أننا إليك الفقراء المساكين.. اللهم يا من عرفناك أرحم الراحمين، وعرفنانا بأنفسنا عبادا نكدين، لك كنودين.. اللهم بنورك فأغننا، ومن نور رسولك فغذِّنا،

وبروحه فأعذنا، وصلنا، وأوصلنا، ومن شرور أنفسنا فأنقذنا، فقد عرفنانا بأجسادنا وماديانتا وأوزارنا الشياطين، وعرفنانا بغفلة أنفسنا المبلسين، وعرفناك لأرواحنا أقرب إلينا من حبل الوريد وأرحم الراحمين.

اللهم بك معنا، فأنقذنا مما فينا، وخلصنا مما لنا، وانصرنا على ما بنا، بما هو منك فينا لنا، فانتصر لك فينا، يوم تنصرنا على ما فينا من عزلة عن معناك لمعانينا.. اللهم أدخلنا في حصن لا إله إلا الله، وأقمنا حصونا للا إله إلا الله، برسولك.. بعبدك.. بحقك.. بوجهك.. بيدك.. بنورك.. بعلمك.. بحكمتك.. بكتابك.. بهديك.. بطريقك.

اللهم اجعله لنا كل ذلك وأكثر من ذلك، واجعلنا فيه ذلك وأكثر من ذلك، واجعل له منك، ولنا منه، رحمة منك، ومِنَّة منك، خزائن رحمتك. واجعل لنا منه كفلين من رحمتك على ما وعدت.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وارحمنا حكاما ومحكومين، واكفنا شر الأشرار من خلقك، حكاما ومحكومين، واهدنا لطريق السلامة والصواب، حكاما ومحكومين، وأنزل سكينتك على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(ولأن الله هو فكرة، ولأنه الناموس بالذات، فإن من المستحيل تصوره يخترق الناموس، ولذلك فإنه لا يرسم لنا أعمالنا وينسحب. وعندما نقول الله يحدد أعمالنا، فإننا نستخدم لغة إنسانية، ونحاول أن نضع لله حدودا، بينما هو وناموسه محيطان بكل شيء، ويتحكمان في كل المقادير.

إننا نحيا وسط الموت والهلاك. فما قيمة العمل من أجل مشاريعنا وأغراضنا، عندما يمكن أن تتلاشى إلى العدم في لمحة عين، أو عندما تخطفنا يد الفناء من أعمالنا؟

ولكننا قد نشعر بأنفسنا أقوياء كالصخر الجلمود، إذا استطعنا أن نقول صادقين، "إننا نعمل من أجل الله وغاياته" فعند ذلك لا يهلك شيء. فما يهلك هو ما يبدو لعيننا هالكا. وعند ذلك يتحرر الموت والخراب من كل حقيقة لأن الموت والخراب لن يكون حين ذاك سوى تطوران تحول، من حال إلى حال.

من السهل بمكان القول "أنا لست أومن بالله" ذلك لأنه لن يسمح بأن تقال عنه دون عقاب كل الأقاويل. إنه ينظر إلى أعمالنا ويحكم علينا وفقها، وكل خرق لناموسه يحمل في صلبه عقوبته الحتمية الاضطرارية). (تولستوي)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ مقولة للشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية: فإن نظرت إلى الآلات طال بنا *** إسناد عنعنة حتى إلى الذات.

٢ سورة البقرة -١٢٥

٣ سورة آل عمران - ٢ , سورة البقرة - ٢٥٥

٤ "من وصايا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لولده الحسن رضي الله عنه: قال: "يا بني سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار".

٥ حديث شريف: "إِنِّي أُحَدِّثُكُمُ الحديثَ، فَلْيُحَدِّث الحاضرُ منكمُ الغائبَ." المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. كذلك جاء في الصَّحيحَيْنِ مِن حَديثِ أَبي بَكرَةَ رَضيَ اللهُ عنه أَنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: "فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعى مِن سامِعٍ"

٦ إشارة إلى الحديث الشريف: "نضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ مقالتي، فبلَّغَها، فرُبَّ حاملِ فِقهٍ، غيرُ فَقيهٍ، وربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هوَ أفقَهُ منهُ." المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. كذلك جاء في الصَّحيحَيْنِ مِن حَديثِ أَبي بَكرَةَ رَضيَ اللهُ عنه أَنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: "فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعى مِن سامع"

٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٨ سورة الانفطار - ٨

٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٠ عبارة صوفية متناغمة مع الآيات الشريفة التي جاء فيه أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض.

١١ البقرة - ١٨٦

١٢ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكتاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي". ولم نستدل على سند له في كتب الأحاديث الشريفة.

١٣ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدَّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.

١٤ سورة البلد - ١٦

١٥ سورة البلد - ١٥

١٦ في إشارة للحديث الشريف "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا." أخرجه البخاري ومسلم.

١٧ سورة غافر - ٥٧

١٨ سورة القيامة - ٣٧:٣٦

١٩ سورة مريم -٩

٢٠ سورة المدثر – ٢:١

٢١ سورة العنكبوت - ٦٩

٢٢ سورة سبأ- ٤٦

٢٣ سورة الفرقان – ٥٩

٢٤ سورة يوسف - ١٠٨

٢٥ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٢٦ سورة الحجرات -١١

٢٧ سورة يس - ٢١

٢٨ سورة يس - ٢١

٢٩ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

(١٨)

تواجدت بحاضرك تواجدا لقبلك من قديمك
وكل شيء تواجد قديما من أجلك
وجددته بك فيك لك من فعلك
بوحدانية نفسك
عَلَمًا على وحدانية قديمك وقادمك لجنسك
في وحدانية معبودك لموجودك
في وحدانية الله

حديث الجمعة

٢٤ محرم ١٣٨٤ هـ - ٥ يونيو ١٩٦٤ م

{فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه}[١] {ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى}[٢]

{رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي}[٣].

{والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا}[٤].

(سألت الله وهو بي حفي أن يجعل من آبائي ومن أبنائي من هو أكثر معرفة به مني)[٥]. {قل جاء الحق وزهق الباطل}[٦].

قول عن آدم ينبأ عنه، ومقالة عن لسان إبراهيم جعل في بيته الكتاب والنبوة، وتعريف من عيسى عن نفسه في قانون الفطرة لوجوده وتواجده شرف بها الإنسان. جمعها محمد في قيامه جماع شرف الإنسان، فرعا عن قديمه لأزله، وأصلا من خلاله تدانى أصوله لأبده لتكون بجديد لها من مجالاتها فرعا عنه فيه. هو لها أصل الأصول لمدينة علمه، عَلَمًا على معلومه، ليظهر رسول الله وتمام رسالته.

فكان جماع كلمات الله وروح قدس الله ورسول قديمه إلى قادمه، وعبدا وحقا لله. حَيَّا الآباء والأبناء بدعائه، وأرضاهم بدعوته، ورضيهم لنفسه، وارتضوه لأنفسهم، في معروف الله له، وفي معروف الله لهم، في معروفهم عنهم، في وحدانية الإنسان بمعناه لربه وعنوانه عنه منه، ظهورا لله من كنزيته.

وهذا ما يقوله كل من عرف عن الله.. كل من عرف عن الله في نفسه.. كل من عرف عن الله من حوله.. كل من صفت نفسه، وتسامت أخلاقه، وتطور بالوجود في الوجود خلقه، متخلقا بأخلاق ربه قائمة في خُلق رسوله مثلا أعلى يرتضيه، قائما متجددا بمن يقتديه، كل من عرف أن الله ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وعرف الله ظَاهرا في أزله ظهوره في أبده، ظهوره في قائمه، ظهورا لقيامه بموحده مع قديمه وقادمه بعبودية قائمه لقيومه.

بهذا يؤمن وله يكشف كل من وحد الله، ودخل في حصن لا إله إلا الله، لا شريك له منه في مسيره إلى نفسه، ودخوله قبلته من قلبه، في اهتدائه بعقله، وفي استقامته بضميره، بمعاملته بعمله في صحبة لمَثل أعلى يرتضيه متخلقا بأخلاقه برسوله يقتديه، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[٧]، لا يرى إلا الله إذا ما انعكس إلى نفسه، ولا يرى إلا الله إذا ما نظر بصفائه لجنسه، وبعلمه لوجوده، في مشهوده لعين كبيره في حقي تواجده.

السماء من أجله خُلقت، والأرض من أجله وضعت وبسطت، والعدل الإلهي في الوجود قام لإنصافه، والرحمة قامت لإسعافه، وعزة الله له لتدفع العوادي عنه، ولتبرز بالعزة منه، عذابه في ظهور العزة عليه، وفتنته في قيام البطش بالعزة منه.

الإنسان.. إذا آمن بنفسه إنسانا، فعرفه لأزل الجنس عنوانا، ولقادم الجنس ابتداءً وبنيانا، عرفه بيتا وضع أو لبنة فيه، وعمل باستقامته بيتا يرفع أو لبنة فيه، فلم يرَ في الوضع انحطاطا، ولم يرَ في الرفع انشقاقا، ولم يرَ في الجزء بعضا لأنه رآه متحدا، بيتا يذكر فيه اسم الأعلى، ويذكر هو به الاسم الأعلى، ذكرا محدثا يراه، لذكر قديم خلقه فسواه، وجمعه فبناه، ورفعه فوالاه، ووضعه فتولاه، فأكرمه في مبناه، وأكرمه في مسعاه، وأعانه في مرتقاه إلى معناه عَلَمًا على مولاه، من كان له برحمة مولاه، يوم تولاه، عبدا لله وحد الله فكان وحدانية الله رحمة مهداة.

الإنسان.. دائرة وجوده، يوم ينعكس إلى نفسه موجودا، فيُكشف له الغطاء عنها وجودا، لربه شهودا، وباسمه مسعودا، وللأكبر لوجوده وجها وعَلَمًا مشهودا. ما كذبه الفؤاد يوم رآه، زحزح عن النار وأدخل الجنة وفاز بالعتق من سجن المادة، وفاز بالحرية وقد تحرر من عجز الطبيعة، سَبحا في

الكون وفي الوجود، حرا طليقا، السموات والأرض له دار ومزار، فهو أكبر من السموات والأرض حقيقة وإنسانا. وُضع عنه وزره، وخف في السبح حمله.

الإنسان.. نقطة دائرته، وقبلة وجوده لسر موجوده، فهو قبلة الصلاة، وكعبة الحياة، لعالمه بيتا يذكر فيه اسم الله، جُعلت الشمس عليه دليلا، {وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا}[٨]، (آخر من يخرج من النار يعطى عشر أضعاف هذه الدنيا)[٩].

الإنسان.. أوجده الموجود الأزلي لنفسه، فالإنسان موجود أزلا في خالق الآزال به، في المطلق، المنفرد، الفرد، الواحد، الأحد، اللانهائي، العزيز على النوال، المترفع عن المثال، المعروف بلا أقوال، واجب الوجود بلا أحوال، من خلق الحال والأحوال، ومن أبدع المجال وصاحب المجال، من تجلى الإنسان مدانيا، فما عرف بذات، ولا بصفة، ولا باسم، إلا بذات الإنسان، وبصفات الإنسان، وبأسماء الإنسان، عَلَمًا عليه لأعلامه، عند طالب المعرفة عن نفسه في العلم عنه، بإدراك وحدانيته، بالدخول في حصن لا إله إلا الله، وفي القيام بقيام إنسانها في قيام محمد رسول الله. به قام وفيه بالسجود للأعلى تقلب، فأسجده لمن له سجد، واصطفاه لمن له اصطفاه، وأشهده من له أشهد، فأوجده لمن له أوجد، فآمن بالله ورسوله، ثم لم يرتب، فقد كان محلا لله ورسوله كلمة صدرت عنهما، وقامت بهما في المعروف الأحد، في الموجود المطلق...

ثلاثة في واحد، ثلاث حقائق لحق أكبر أحد، يقومها الإنسان في الإنسان فيمن تسامى عن الاتصاف لوعي الخلق باسم الخالق، كما تسامى عن اسم الحق عند الحقائق. لا تعلم له سميا من ذات، فإلى ذاته الأعلى لا تنال، تنسب أقداس الذوات ولا تعلم له سميا من اسم، فكيف يشير إليه اسم وممن ولمن، وإليه تنتهي كل الأسماء انتهاء مسمياتها إلى عَلِيّ ذاته لا شريك له!

ظهر بمن تولاه وليا، وظهر بمن رحمت به رحمته رحمانا رحيما، وظهر بمن أكرم به كرمه الغني الكريم، وظهر بمن كان علمه عنه بعلمه عنه فعلم به المحيط العليم، وظهر بمن كان كلامه فكلم به باسمه الكليم للكليم. ظهر بالإنسان للإنسان رب العالمين، ودانى بالإنسان من الإنسان رب الناس، ملك الناس، إله الناس، ربا وإلها اتحدت فيه الأجناس، وتلاشت في وجوده الأخباث والأنجاس، وقام بحقه الناس حقائق يوم أصبحوا باسمه (اللهم) ناسا، نخاطبهم من وحدانية حقهم وقائم أمرهم رسولا من أنفسهم: أيها الناس.

الإنسان.. خُلق به الزمان يوم ولد بالعنوان، وخُلق به الزمان يوم هاجر لطلب الإحسان، وخُلق به الزمان يوم بُعث بالحق للعيان، وخلق به الزمان يوم فارق البنيان ليظهر وحيا بالعنوان. خُلق الزمان

بمحمد يوم ولد، وخُلق الزمان بمحمد يوم هاجر، وخُلق الزمان بمحمد يوم احتجب وتكنز، وخُلق بمحمد الزمان كلما بعث كلمة لله بإنسان، على ما تواجد به عيسى معنىً له بالعنوان. فالإنسان خَلْقُ الزمان في الله دهرا للدهور، والإنسان في دهور الله ودهره الجامع، دهرا للتواجد للوجود، زمانا لا يُعرف له بدء، ولا يدرك لوجوده شهود.

وفي الإنسان، وبالإنسان، خُلق المكان، إذ بدأ مكانا لا يكاد يدرك للعيان، علقة بإنسان، وبويضة من إنسان، ثم طفلا للعيان.. ثم صبيا نافعا.. ثم شابا يافعا.. ثم رجلا مندفعا، ثم شيخا حكيما منطويا. هكذا هو من علقته إلى شيخوخته تواجد فكان، فشغل من الوجود حيزا ومكانا، فعرف الحيز والمكان، وأدركت الذات للإنسان عند الإنسان.

كان حيز الحياة معنىً وجوهرًا، ومكان الذكر هيكلا وعالمًا وبيتًا، وللرحمة اسما وعلمًا، عبدا للديان، ووجها لواجب الوجود بوجوده، وللمعروف بمعاني عبده في شهوده. أَفيقف به حقه في تواجد الزمان والمكان به إلى نهاية في هذا العنوان؟ {أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى}[١٠]، إنه في معراجه من ذاته من المادة، من الشيء من اللطيف المتكاثف، ومن الكثيف المنطلق المتلاطف، ينتظره كيان وكيان وكيان، {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون}[١١]، وإذ قلنا للسماوات والأرض {ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين}[١٢]، وما خوطب في خطابهما إلا الإنسان، لو عُرِف لهم الإنسان، لو يعلمون عَمَّن تواجدها له عنوان.

ما خلق قديم الإنسان جديد الإنسان، إلا ليُعْرَف.. ليُعْرَف عند جديده، بوحدانيته مع قديمه، بقيام قديمه لجديده عينه لعينه، قاب قوسين أو أدنى، في الأكبر لهما، خَلَق فسوى، وقدر فهدى. (إن الزمان استدار على هيئته كيوم خلق الله السماوات والأرض)[١٣]، يوم بُعث محمد إنسانا يخاطب من غيب السماوات والأرض {استقم كما أمرت}[١٤].

الإنسان.. هو خِلقة الإمكان، ضعيفا قُدِر، وذليلا أُعِز، وخافيا أُظهِر، وباطنا أُخرِج، علما على معلومه. هو {الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}[١٥]، قَدَّر فهدى، وأخرج المرعى، فجعله غُثاءً أحوى.

الإنسان.. يوم يعرف معنى الإنسان، يعرف الإنسان ربا مكلفا، ويعرف الإنسان إلها مشرفا، ويعرف الإنسان عبدا متصفا في مطلق الإنسان، علما على مطلق إنسان الله. سبحان الله، وتعالى الله، فما قُدِّر الله حق قدره، وما تعالى الله عند مؤمنه وعارفه، إلا بمعرفة الإنسان فيه، لعين قيامه، عند قائمه.

هذا كله، وأكثر منه، يُدرك ويُعرف، ويُكشف، ويُعلم لطالبه، يوم يدخل الإنسان في لا إله إلا الله، فيقوم بلا إله إلا الله، فيشهد لا إله إلا الله، ويُشهد لا إله إلا الله، قياما وظلا لإنسان حقها، وحق معناها، محمد رسول الله، ربا يرعاه، يقوم عليه رحمة الله، ويشهد عنده وجه الله، ويشهده به وجها لله، يوم لنفسه يرتضيه مثلا أعلى يستويه، ويطلب من الله برحمته به أن يبقيه ظلا له في وجوده، وعَلَمًا عليه بكرمه وجوده، كتاب لا إله إلا الله يأخذه، وبيمينه يشهده، وبقلبه وعقله يتبناه، فيقرأه في الناس على مكث، باسم من تولاه، وبالأكبر والاه، فكان شعارا للا إله إلا الله، ولدين لا إله إلا الله، ولفطرة لا إله إلا الله.

ها نحن في هذا العصر، بالعلم الروحي يأتينا من الغرب، ويأتينا كما أتانا من قديم من الشرق، برسالات الله من قديم الإنسان، ها نحن نستقبله، في بقعة من الأرض لا شرقية ولا غربية، نستقبله من الشرق حديثا وقديما، ونستقبله بيننا متواجدا، وفينا وبنا ومنا متجددا، ومن الغرب قادما، عِلما وحكمة ودينا لرب المشارق والمغارب، نتخذه وكيلا، ونرى في الوجود عليه دليلا، نهتدي على ما هدانا، ونتجه على ما وجهنا، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[١٦]، ونجري التجربة متابعين، برسول الله وربه مؤمنين، ولله ورسوله عابدين، ولقبلتهم بالإنسان ساجدين، ولما أمرنا به في كل دين طائعين، لا نفرق بين المرسلين، ولا بين دين ودين. ونسمع للمتكلمين، ونسير خلف المتقين، متابعين خاشعين، إيمانا بالرحمن الرحيم، إنصاتا للحق الكليم.

نحن بضمائرنا.. بصفائنا.. بخشيتنا.. برهبتنا.. بضعفنا.. بسجودنا.. بإيماننا.. بيقيننا.. قائمين، ولحكمة الله مستقبلين، ولما عرفنا منها مرددين، لمن حولنا منصفين، ولله محيطا مقدِّرين، ولله قيوما على قائمنا كاشفين، غير ظانين، ولا مرتابين، وبالرسول في ضمائرنا قائمين، وإلى الله بعلي ذاته في عظمته مفتقرين، وبالله في قربه ورحمته معتزين.

نحن لا نُخدع بالطاغين، ولا نستمد من المرتابين، ولا نتعلم من الظانين، ولا نعتدي على المخالفين، ما كنا في سربنا آمنين، وفي بيوتنا منهم مطمئنين، فلسنا من العادين، ولا نحب المعتدين، ولا نظاهر الظالمين.

نحن بالحكمة المقسطين.. ونحن بما عَلَّمنا الله المعلمين.. ونحن بما عَلّمنا عنه، في دوام المتعلمين.. نحن العالمون الجاهلون، ونحن الجاهلون العالمون.. ونحن الراضون عن مخاللهم من الرحمن.. ونحن الغير راضين عمن خالل الرحمن من أنفسهم، لأنفسهم متهمين، ومن كبريائها حذرين. {إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى}[١٧].. ونحن لا نريد أن نكون من الطاغين يوم نرانا من المستغنين.

إن حكمة الله، عَلِمَناها تدعونا أن نكون في دوام من المفتقرين مهما أغنى، ومن الجاهِلين مهما عَلَّم، ومن الضعفاء مهما أَعز، ومن الطالبين مهما والى. عَلَّمنا هذا عبد ربه من المطلق، ومعلوم الإله وجها للناظرين، ورب الرحمة للعالمين، والحق المداني للمتحققين، والسر الناطق في المتكلمين، ذاتا وروحا في الأولين والآخرين، رسول الله لا تفتر رسالته.. عبد الله لا تعوج طريقته.. حق الله قيما على القائمين، بدين القيمة.

جُعل الدين في لقائه.. وجُعلت الحياة في ولائه.. وجعلت المعرفة في جزائه.. وجعلت الحقيقة في ظلاله.. وجعلت الشريعة في سنته وأقواله.. وجعلت السياسة في وعيه وتدبيره وأحواله.. وجعلت الكياسة في ارتضائه واقتدائه.. وجعلت الشفاعة في بيته وعترته.. وجعلت الصلاة في وجوهه وقبلته، وجعل الحج في الطواف حوله، والفهم فيه.

إن علم الروح في هذا العصر، كشف وبَيَّن وأبان عما جاء به هذا الرسول، بكتابه وسنته، بذاته وعترته، على اجتماع في صعيد، وقد جاء به الرسل من قبله ومن بعده، على افتراق في بعيد من أمم الأرض وبقاعها، فقام شهيدا على الشهداء كلما شُهد، وقام شهيدا بيننا كلما تحدث، فكلمة لله بين الناس وجد، نبي الأنبياء، ورسول الرسل، وكلمة الكلمات، وروح الأرواح، وإنسان الإنسانية، كما هو إنسانية الإنسان. قام فيه عيسى فدعا الناس إلى أخوته، وقام فيه موسى فبشر الناس بكلمته، وقام فيه آدم بعد أن قام فيه فتمت في الله حقيقته، وظهرت منه كلمته.

ها نحن نطمع من هذا العلم الروحي في العصر الحديث أن يواصل ما بدأ وهو مواصل، وأن يكشف عن عظمة الإنسان عند الإنسان حتى نقدر عظمة العنوان بعبد الرحمن، ندرك ضآلة الإنسان في الإنسان، حتى لا يهلكنا الطغيان ويضلنا البهتان.

إن الإنسانية في الإنسان، سواسية كأسنان المشط، عند إنسانها وجوها له. وإن إنسانا لإنسانيته، مع إنسان بإنسانيته، في إنسان أزل الإنسان، سواسية كأسنان المشط. إن آحاد الله بالإنسان لا عد ولا حصر لها. وإن وجوه الإنسان له فيه لا عد ولا حصر لها.

{ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا}[١٨]. لا ينتظم حال الإنسان في البشرية، ولا ينتظم حال الإنسان في معراجه في عوالم الروح، ولا في عوالم الكواكب، إلا بمعرفة الإنسان في عظمته برحمته للإنسان في ضعفه وافتقاره، بجهله وكنوده لربه ومشهوده قائما في حيواته بأطوارها لرحمة موجوده، وقيام وبعث موعوده وجها متميزا لوجوهه برسوله وحقه ووجه شهوده، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[١٩].

الإنسان المرشد.. والإنسان المسترشد.. كلاهما إنسان، ولكنهما إنسان في الأرض، وإنسان في السماء، وبينهما ما بين الأرض والسماء. ها هي الأرواح المرشدة، إنسانية الأعلى.. إنسانية الرشاد.. إنسانية العباد للمطلق.. إنسانية الآلهة بحقائقها، لمن يطلب الإله لمعرفته في نفسه، إنسانية الأرباب رحمة للعالمين، لمن والاهم رابين، وما والاهم من والاهم إلا يوم شهدهم، في وسيط قيامهم من أنفسهم معنى رسوله من أنفسهم نائما عنه بينهم، متحدثا بقيومه على قائمه إليهم، فيشهد معاني العبد في قائم الوسيط، يقوم بمعاني الخلق لنفسه بذاته، ومعاني الخالق لمرشده بمعناه.

الروح المرشد.. قائم بذاته بوسيطه في قبلة وجوده، بين المصلين له غيب وجودهم. به له يقوم شهود ربهم لهم في رسول من أنفسهم بوسيطه.

وهذا ما عناه رسول الله إلينا، وعبد ربه رسول المطلق إليه، وقدس إلهه عند الطالب لوجه الله، ورب المسترحم رحمة الله لقالبه، وفيض المغني للمفتقر، ونور الموجد للمتواجد، وروح المحيي للأرواح الحية، بقوله (بينا أنا نائم أطوف بالكعبة رأيت رجلا آدم، قلت من، قيل ابن مريم، ثم رأيت رجلا أحمر بدين، أعور العين، كأن في عينه نبقة، هو أشبه الخلق بفلان "رجلا سماه"، قلت من، قيل الدجال، والله ليس بأعور)[٢٠].

إن محمدا عليه السلام والصلوات، له أسفله حقا مدانيا عبدا لروح، وله أعلاه روحا متعاليا، روحا لذات. فقد كان محمد بمبناه وبمعناه قياما مضافا إلى الله. فكان للحق هيكلا بمبناه، وللحق معنىً بأعلاه، فما عرفه في معناه، وما قامه في مبناه، إلا الأعلى والاه، ورفيقا داناه، وحقا، وإنسانا، خالَله، فأولاه، وخَلَّفه، وتبناه، ولأزلي الإنسان نسبه ووصله، فعَبَّده وأعلاه، فكان حقا عبدا لمطلق الله، إنسانا في أزل إنسان الله.

ذكر الله وحده فما ثناه، وذكر الله وحده وما لنفسه في نفسه دون غيره ادعاه ونفسه فيه أعلاه، ولكنه لنفسه أفنى، فمسحها عن موجود وجود الله في وعيه لمعناه، فكان مسيح الأعلى مسيحا لأعلاه، فما ذُكر ممسوحا، ولكن ذكر قائما، فذكر الله، ذكر الله وحده، وعرف نفسه عبده ومسيحه، ووجهه إليه، ورسولا منه إليه فما أعلى أناه. وخفض جناح الذل من الرحمة مرضاة لمولاه.

فيا أيها الناس.. لِمَ هذا الكنود؟ لمَ هذا الجحود؟ أإذا ذكر الله وحده كفرتم بمن ذَكَّر بالله ذكرا محدثا لله لذكر قديم لله، مذكِّرا أهل الذكر في ذكر قائم به، ألا يذكروا إلا الله، وألا يذكروا غيره من وهم بوجود، بممسوح وجود، أو بممسوخ تواجد، غافلين عن معاني التواجد والوجود، معدوما ميتا بغير الله؟

لِمَ لا تذكرون الله وحده، فتستقبلون بوجهه لكم وجهه منكم، مسحاء ذكره، ذكرًا لله بينكم، وجوه شهوده، وأيدي جوده؟ جعل الله كلامه على ألسنتهم، وقيامه في مرسوم قيامهم، مسحاء الأعلى مسيحا، مثاله ملأ للأعلى مسيحا، حتى نعلم أنه على الله لا يُعلى، وحتى نؤمن أن غير الله لا يُذكر، فيرفع شعار حقه بلا إله إلا الله في عالم خلقه، حتى يعلم أنه لا إله إلا الله مشهودا من رسول الله، ومسيح الله، وكلمة الله، وقائم الله، وحق الله، ووجه الله، لمن كان مسيحا له فشهده فعلا شعارا للأكبر، شعار الله أكبر، فيُقدَّر الله بذلك يوم يقدر، ويقدِّر الله بذلك يوم يُقدِّر، فيدرك الإنسان نفسه، نفسا لله، وذكرا لله، عين مذكوره، فلا يذكر إلا الله وحده، جلت وتعالت ذاته في جلال عليائها، وحمدت رحمته في جمال وقرب مداناتها، للإنسان اسما وأسماءً لله وصفات له.

هل نطمع، وإنا لنرجو ونطمع أن يقوم العلم الروحي في هذا العصر قريبا بخدمةٍ سبق أن وعد بها في هذا الاتجاه حتى يتجدد بدء وسفور الطريق، وقد أسفرت بوسطائه لقديمها من مرشديها وأئمتها، كما تجدد به البلاغ بحكمة مرشديه، وكما تجدد به البيان لما بلغ من حكمة مع مرسليه، فيكشف لنا عن كلمات الله بيننا، وأوادمه لنا، ووجوه رسوله من أنفسنا. هدانا الله وإياكم بمرشدي السماء، وبوسطاء الأرض، في كل وقت وحين. وهدانا الله في أنفسنا برحمته، وما هي إلا رحمة الله بهم تمتد إلينا، في عالمنا، ونطمع أن تمتد إلينا في ذواتنا وقيامنا، حتى يشرق نور الله بين جوانحنا، وحتى تُشعل شعلة الحياة في مصابيح مشكاتها من صدورنا بقلوبنا، فنعلم أنه لا إله إلا الله، ونعلم أنه محمد رسول الله، ونعلم أن قيامنا بإنسان الله، وإنسان رسول الله هو قيامنا بين يدي رحمة المطلق، نقوم بهما قياما له بكلماته بنا في قيامهما بنا، فنردد ونردد، لا إله إلا الله، والله أكبر، ونشهد محمدا رسول الله، ونعرف أن محمدا لنا ومن وعينا، ولقيامنا أكبر وأكبر وأكبر.

اللهم إنا بلطيفك، وبشرف تشريفك، نرى آياتك تترى في الآفاق وفي أنفسنا على ما أنبأت، ونرى الأرض أخذت زخرفها على ما أشرت، ونرى فراعينها فرقوا أهلها شيعا، وأذلوا الناس قطيعا يسوقونه، حيوان مزرعتهم، ولا مزرعة ولا زرع لهم، ولكنه الطغيان على ما حذرت.

ها نحن نرى فراعين الأرض يعبثون بسلمها وسلامها، فأين رحمتك بفراعين السماء، وقد جعلت الكبر على أهل الكبر صدقة، ووعدت أنهم يومئذ يجيبون الداعي لا عوج له، تخشع الأصوات للرحمن، ولا يسمع إلا همس النفوس، قلوبهم واجفة، أخذتهم رجفة الحق، فارتجفوا، وما شرفوا، وجوه خاشعة بفقدان كبريائها، يوم تجلى الله بكبريائه بإنسان رسالته جعل له عزته، فضاع واندثر كبرياؤهم، خشعا أبصارهم ترهقهم ذلة. (وا عجبي من أناس يجرون إلى الجنة بالسلاسل)[٢١]، (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[٢٢]، ولا عجب وأنت رحمته للعالمين!! (أمة مذنبة ورب غفور)[٢٣]، طأها {وما رميت إذ رميت

ولكن الله رمى}[٢٤]، {جاء نصر الله والفتح}[٢٥]. ها هي آياتك في الآفاق، وفي أنفسنا، ترهص أنه سيتبين الحق، وسيبرزه الله للناس جميعا، إنسان ارتضائه، فيتكشف للناس ضيعة الناس لأنفسهم، يوم أنكروا ظاهر حقه مدانيا برسوله، ليكونوه يوم يتابعوه رحمة مهداة.

إن الناس سيشهدون يوما لا يجليه الله إلا بغتة، يبدأ بساعة تبهتهم في السموات والأرض، كل من في السموات والأرض آتيه عبدا، فما قدروا الله حق قدره، وقد اتسعت السموات والأرض لسلطان عبده، وطواها فيه عبده، ولم تتسع لمطلق الله، (إن لله ساعة إطلاق لا يطيقه فيها نبي ولا ولي)[٢٦].

يا سيدي يا رسول الله.. يا من جئتنا فجاء بمجيئك الحق، ويا من شهدناك فشهدنا في شهودك الحق، وما شهدناك إلا يوم أشهدتنا برضاك، يوم أنَّا مثلا أعلى عرفناك، وعرفنا أن لله المثل الأعلى في السموات والأرض.

يا سيدي يا رسول الله.. قامت قيامتك في كل نفس عرفتك، وكانت لك ساعتك في كل نفس برحمة باغت، ولكن الأرض تحت قدميك، والسموات بين يديك، فمتى تطأها؟ ومتى تظهر لأهلها، طاويا لها، منزوية لك، رحمة من الله؟ يا أكبر وأيسر وأوسع رحماته، وأصدق آياته، وأشرق كتبه، وأسطع أنواره، وأجل وجوهه، وأجمل تجلياته، وأوفر نعماته، وأغدق حيواته، يا أحواض الحياة، ويا شموس الإشراق، ويا بدور الدلالة، ويا أراضي النشأة.

نعم عرفنا وآمنا أن الزمان قد استدار على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض، يوم بعثك بالحق، وابتلانا فيك يوم خلفت علينا فيه، واخترت الجوار للأعلى معنى لك. نعم ما اخترت الجوار للأعلى إلا رحمة بنا حتى تكون أمكن في خدمتنا.

يا سيدي يا رسول الله، يا من علمتنا شرف الخدمة وما زلت، يوم بذات وروح مجتمعين ومفترقين خدمت، ولجناح الذل من الرحمة وضعت، وللسلم جنحت وما زلت، وها أنت أنت على ما كنت، ذاتا وروحا مجتمعين ومفترقين في خدمة الوجود، رفعت ووضعت لتعلِّم على ما عَلَّمت، ولتقوم على ما سبق قمت وأشهرت.

أمتك يا رسول الله.. متى فيها قيامتك، لعلميتك، لعلم أهلها، بأمم الأرض فيها، أمة لك، في أمة قديمك، لحقك بجديدك؟ يا قديم الإنسان، يا محدث الإنسان، يوم وجدت بيننا بمعاني الوليد، يا قادم الإنسان، يوم تبعث بيننا تنشق الأرض عنك بمعاني الجديد، لقديم وجودك، في قديم وجودنا، لعين إدراكنا وشهودنا، إعلاما عن معلومك، لقانون الفطرة، في قائم الفطرة، في دائم الفطرة، بدائم فطرتك، على سنن الله في صمده لوجوده وهديه بك منه إليه.

متى يا رسول الله؟ متى نجدتك؟ متى جديد شرعتك.. على ما شرعت؟ متى هشم الظلم على ما هشمت؟ متى محو الباطل كيوم محوت وأبطلت؟ متى الإسلام غريبا، وها هو نشهده غريبا؟ متى يبدو كما بدا؟ متى يسطع كما سطع؟ متى ينتصر كما انتصر؟ متى ينصر كما نصر؟

ها هي الآيات في الآفاق وفي أنفسنا.. ها نحن نرجو.. ها نحن نطمع.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فتولَنا.. اللهم به فأنقذنا من ضلال أنفسنا، ومن ضلالة من حولنا.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا.. اللهم فعاملنا بعفوك ورحمتك، وأقلنا من عدلك ومن غضبتك.. اللهم به فأصلح أمورنا، وأنزل السكينة على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وقوم فيك طريقنا، وأصلح أمرنا، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة البقرة - ٣٧

٢ سورة طه - ١٢٢

٣ سورة إبراهيم - ٤٠

٤ سورة مريم - ٣٣

٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٦ سورة الإسراء - ٨١

٧ سورة آل عمران - ٦٤

٨ سورة الأحزاب - ٤٦

٩ في إشارة للحديث الشريف "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا." أخرجه البخاري ومسلم.

١٠ سورة القيامة- ٣٦:٣٧

١١ سورة غافر - ٥٧

١٢ سورة فصلت - ١١

١٣ حديث شريف: "إِنَّ الزَّمانَ قَد اسْتَدارَ كَهَيْئَتِه يَومَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَواتِ والأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثٌ مُتَوالِياتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وذُو الحِجَّةِ، والمُحَرَّمُ، ورَجَبُ، مُضَرَ الذي بيْنَ جُمادَى، وشَعْبانَ. صحيح البخاري.

١٤ سورة الشورى - ١٥

١٥ سورة طه - ٥٠

١٦ سورة الذاريات - ٢١

١٧ سورة العلق -٦

١٨ سورة الإسراء - ٢١

١٩ سورة آل عمران - ٦٤

٢٠ إشارة إلى الحديث الشريف: "بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدَم سبط الشعر، بين رجلين ينطف رأسه ماء، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مريَم، ثم ذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر جسيم، جعد الرأس، أعور العين، كأن عنه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: الدجال، أقرب الناس به شبها ابن قطن.." أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير. وعبارة "إن الله ليس بأعور." جاءت في حديث آخر للبخاري ومسلم أيضا.

٢١ حديث شريف: "عجِب اللّه من قوم يدخلون الجنة في السلاسل." صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "عجبتُ لأقوامٍ يُقادونَ إلى الجنةِ في السلاسلِ وهم كارهونَ." أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.

٢٢ من حديث شريف، رواه ابن إسحاق، كما في "سيرة ابن هشام": أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يوم فتح مكة، قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ... إلى أن قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ.

٢٣ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةُ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك. ويعتبره المحدثون ضعيف الإسناد.

٢٤ سورة الأنفال - ١٧

٢٥ سورة النصر - ١

٢٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

(١٩)

المعروف بالتفريد
المنزه عن الإطلاق وعن التقييد
ظهره الإنسان بالإطلاق حقا لله غيبا وأزلا
وبالتقييد وجودا وعالما وكونا وأبدا

حديث الجمعة

٢ صفر ١٣٨٤ هـ - ١٢ يونيو ١٩٦٤ م

اللهم انشلني من أوحال التوحيد، إلى فضاء التفريد.

اللهم ارزقني الإيمان بك، معنى منزها عن الإطلاق وعن التقييد، معنى عرفه الإطلاق وظهره التقييد.

اللهم خذني مني، ولنفسي لا تكلني، وفي حصن وحدانيتك فأدخلني، بإدراك لا إله إلا الله، عَلَما ويقينا، قولا وفعلا، ودركني معناي فيك عدما، ودركني معناك منك لي وجودا، ولا تجعل لي شهودا إلا ما أشهدت، ولا مشهودا إلا ما قمت، وألحقني بلطيفك، ولا تحرمني من تشريفك، حتى تشهدك فأشهدك، وحتى أشهد بك، وأشهد منك، واكشف الغطاء عني حتى أشهدني منك. لا إله إلا أنت.

وجهتنا إلى طريق التأدب لك في نظر التعدد معك، بأن نرى الحسنة منك، والسيئة من أنفسنا، فأيقظنا الأدب إلى محيط قدرتك، فأعلمتنا وعلمتنا، من فيض رحمتك، وإشباعا لفراغ وعينا بدائم تساؤلنا عنا في تساؤلنا عنك غيبا علينا، أن نعلم مفتاحا لعلومنا أن كل شيء إنما هو من الله، ما أصاب من حسنة، أو من سيئة في الأرض، أو في السماء، إلا بإذنه، وما كسب مُحسن، أو فقد مسيء، إلا بما قام في المحسن والمسيء من أمره، حرا في أمره بحرية المرء في أمره من أمر ربه في حدود محيط أمر الله.

من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، فما كان أمره إلا من أمره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، فما كان أمره إلا من أمره. وما كان أمره في هذا أو أمره في ذاك، إلا من الفطرة. صبغة الله في أمره، وفي شأنه، وفي حكمته، وفي تنزيهه عن الإطلاق وعن التقييد، وفي تفريده في حقيقته. قامت بأسمائه، واتصفت بصفاته كل الأمور بحكمته. (كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون)[1]، {وما تشاءون إلا أن يشاء الله}[2]، {إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا}[3]، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[4].

تجلى الحق بالإنسان، لبروزه من كنزيته، ظهوراً بوجوده، في موجود الإنسان لنفسه، عبدا وحقا لربه، خلقه أزواجا. وعلا به طباقا حقيقة وحقا، ودانى به طبقا بعد طبق رسالة وخلقا، عبادا للأعلى ربا لهم، والأعلى فالأعلى إلها عليهم تنزيها لعاليه عن عين دانيه، وتنزيها لدانيه عن الغيرية لعاليه.

فاسم الله.. يقوم بالإنسان، والإنسان باسم الله يقوم، في أحسن تقويم أو في أسفل سافلين، في آن واحد، قوسان متلاقيان، ومتباعدان. فشتان بين الإنسان في عاليه، والإنسان في أسفله ودانيه. وما أقرب الإنسان، بدانيه من عاليه، وبعاليه من دانيه في المطلق من ورائهما بإحاطته. قوسان يحيطان ويمسكان بالوجود وبالأكوان، باسم الله، يدا لله، كلتا يديه يمين، الأرض جميعا قبضته، والسموات مطويات بيمينه، يوم يُدرَك للمدرك أمره، بقيام قيامته بقيام أمره من أمر ربه، بكشف الغطاء عنه، لفتح عيون بصره بامتداد نور بصيرته.

الإنسان محل عظمة الآلاء والإحسان إلى معنى الحق له وجها لله. الإنسان ترجمان الدين والديان.. الإنسان في ظلامه، والإنسان في إشراقه شتان، شتان بين الظلام والنور، بين الظل والحرور، بين الجاه والذِلة، بين الحق والتعليل والعلة، بين العلم والجهل، بين الحياة والعدم، بين المسرة والندم، بين روح المكان والمكان، بين الإنسان والحيوان، بين البقاء والفناء، بين الحركة والسكون.

الإنسان بذكر الله لمعناه يحيا ويحيا، وبه الموات يحيا، وبه التراب يحيا، وبه الظلام يحيا، وبه النور يحيا، وبه الروح تحيا، وبه الحياة تحيا، إذ تتواجد طبقاته بالحياة من الحياة، ومن حياة إلى حياة وحياة.

(الله).. من يكون الله؟ ولمن يكون الله؟ ومتى يكون الله؟ وأين هو الله؟ متى للإنسان أن يَعرِفه؟ ومتى للإنسان أن يلقاه؟ متى يداني عَليُّ الإنسان دني الإنسان؟ متى يداني أحسن تقويم من كان منه لا زال في أسفل سافلين، فينفخ فيه من روحه، ويضاعف له نور الحياة فيه، نورا على نور، وحياة على حياة؟

متى يمحو العلي ذِلة المنحط الدني؟ متى يعرف الإنسان نفسه بعزلتها عن عاليه أنها معاني الانحطاط فيه؟ ومتى يعرف الإنسان روحه أنها معاني الوجود له؟ ومتى يعرف الإنسان عقله أنه سر الحياة فيه؟ ومتى يوقظ الإنسان ضميره ليعلم أنه عين الله فيه، ورقيب الله عليه، وشهيد الله إليه، ورحمة الله به، ويد الله عنده، وعون الله له؟

متى يعلم الإنسان أنه بين يدي رحمة الله، وأن يدا الله برحمته ما كانتا إلا ليل سكينته، وفجر طلعته، يجتمعان على أرض قيامته، من قلوب في أكنتها، للإنسان في بشريته، وموالد فطرته؟

إن الإنسان في مولد الفطرة، من مولده من الأرض، إلى مولده من النور، إلى مولده من السماء، يوم يمج ظلام نفسه وتتفتح آذانه إلى كلمات الله إليه على ما كلمه برسالته وقد خصه بكلامه، ووعده بسلامه، وطالبه بالتسليم له بالتسليم لمن سَلَّم له والدخول في السِلم معه، بالدخول في السلم مع حقائقه بعباده إنهاءً للخصام، واستجابة للأمر وقبولا للكلام. يا أيها الناس {ادخلوا في السلم كافة}[٥]، {إن الإنسان لربه لكنود}[٦]، {قُتل الإنسان ما أكفره}[٧].

إن الإنسان إذا استغرقته يد النور لم يعرف سكينة الليل، وإذا غمرته يد الظلام احتجبت عليه إشراقة النور. إن الإنسان ليعرف ما النور، وليعرف ما الظلام، وجب عليه أن يتجرد بمعناه، وينأى بذاته وبأناه عن الاستغراق، سواء في النور، وسواء في الظلام، يوم يعرف فيرافق، ويتمسك بصحبة من تجرد من النور ومن الظلام، من عَرف رب النور والظلام، من لم يره من أهل النور أو من أهل الظلام، من رآه يتيما عن النور وعن الظلام، يوم يتمسك برسول الله الذي أظهره الله على الدين كله، فنزه الله، وأفرد الله، وقام مضافا إلى الله، عبدا له، ومسيحا لربه فيه وجها للأعلى، وما كان إلا رفيق الأدنى، وما كان وجه الأعلى للأدنى، إلا رسول الأعلى إلى الأدنى، إلا رسول الله.

فمن عَرَف رسول الله، معنىً دائما، وأمرا قائما، وحقا متكلما، فاستقى من معارف رسول الله، فعرف ما عرف رسول الله عبدا للرحمن، نزه الله على ما نزهه رسول الله، وأضاف إليه منزها ما نزهه عنه بوصفه صفات له، وأسماء له، وحقائق فيه، بعباد له، بكليات وجود حجبا وعوالم لمفردات تواجد في كلياتها، حقائق من الله، تقوم بالله، وتنو في الله، ولا تذكر إلا الله، راجعة إلى الله، حجبا من النور والظلمة لأحدية حقها منزها عن أوصاف النور والظلام.

فالنور مدينة العلم عن الله، والظلام بيت السكينة من الله. فالعزلة بالأنانية عن مطلقه لعين الأنا استقامة فيه، ووعي عنه. والإمحاء إلى عين وجوده بإنسان حقه نعمة منه، وسعادة تقوم به. والعزلة عنه مع القول به مغايرا مباعدا قيام للشرك بالنفس معه. والإنكار عليه أقرب من حبل الوريد لعين

المنكر هو معنى الكفر به. والدخول في حصن وحدانيته هو بدء الحياة، وقيامة الحياة، والعروج في الحياة. والدين هو قيامة القيوم على القائم من أمر الحياة، في معراجها إلى أكبر فأكبر، وأظهر فأظهر، وأخفى فأخفى، وأعمق فأعمق.

إن المقام المحمود عند أي قائم، إنما هو الأقوم في نظره، على ما هو قائم. فالمقام المحمود عند الرحيم، إنما هو الأرحم والأوسع من رحمة الله. والمقام المحمود عند اللئيم، إنما هو ما هو الألأم والأخبث من قيام القائم مخدوعا فيه به في مكره بنفسه، بوهم مكره بالناس حسب إدراكه وحسه. إن الذي يرى الخبث في الناس والطهارة في نفسه، إنما هو من يراه الناس في خبثه، ويدركون بإدراكهم لخبثه فضل الله عليهم في أنفسهم إنهم لم يكونوه. إن المقام المحمود عند الطاغي، إنما هو الأطغى منه. إن المقام المحمود عند المتكبر، إنما هو الأكثر تكبرا منه، أو المتكبر عليه.

إذا ظهر الله بكبريائه على المتكبر، فقد تصدق عليه بإذلاله في كبره، وكشف ضعفه في كبريائه، وهذا من جانب الله رحمة منه به، أما من جانب النفس ففي هذا عذاب الله، وفي هذا مقت الله، وفي هذا غضب الله، وفي هذا سخط الله، وفي هذا لعنة الله. (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[٨].

إن المقام المحمود عند الرحيم، هو ما عند من هو أرحم منه من الرحمة. فإذا تجلى الرحيم على الرحيم، إذا تجلى الأعلى على الأدنى، رحيما على رحيم، كان في هذا سعادة المرحوم في رحمته، وكرم الرحيم بمنته.. وفي هذا معنى الرضاء.. وفي هذا معنى الوفاء.. وفي هذا معنى الجزاء.. وفي هذا معنى القرب.. رضي الله عنهم ورضوا عنه.

إن الرحمة مع الرحمة لا تتنافران.. وإن الكبرياء مع الكبرياء لا يأتلفان ولا يلتئمان، فبين أهل الكبر فرقة، وبين أهل الرحمة أُلفة، الراحمون يرحمهم الرحمن، والمتكبرون يتكبر عليهم الديان، ومن نوقش الحساب فقد هلك.

إن صحبة رسول الله.. إن أُلفة رسول الله.. إن الوحدانية مع رسول الله.. إن المتابعة لرسول الله.. إن القيام بأمر رسول الله.. إن السير خلف رسول الله إلى الحج وإقامة الصلاة.. إن مصاحبة رسول الله مع من عرف رسول الله.. مع من قام رسول الله.. مع من قامه رسول الله.. مع من امتد فيه نور الله من رسول الله.. مع من كان لرسول الله ظلا.. مع من كان لرسول الله مسلما.. مع من كان لرسول الله يدا ووجها.. إن في هذه الصحبة وجاء من الفتنة، وأمان من الضلالة، ويسر من كسب الحياة، وطريق ممهد مستقيم إلى الحق، بدءا من قائم الحق على الخلق، إلى قائم الخلق بالحق،

ملأً أعلى، يرجوه الأدنى لما فيه، وهو يسعى رحمة من الله إلى الأدنى ليوفيه، ويرتفع به إلى معانيه، فيجدد نفسه لدانيه، من أصل نشأته، من أرض شجرته ليعرف بحقه ورحمته، عند قومه وبيئة بدء خلقته، إلى قيام حقيقته.

هذا هو الحق من ربكم.. هذا هو الحق من رسولكم.. هذا هو الحق على ما جاء به دينكم.. هذا هو الحق على ما حَدَّثكم به دَيانكم، فمن شاء ذكره، ومن ذكره ذَكَّره، فكان ذِكرَه، ومن كان ذكره عرفه، عرفه ذكرا محدثا لذكر قديم، تنزه الله في أمره، وتنزه المستقيم في أمره، حفظه الله من أوحال التوحيد، وسار به الله إلى فضاء التفريد، وتنزه الله عنده عن الإطلاق وعن التقييد، وقام بآلائه في التقييد لإدراك أناه، وفي الإطلاق لمعرفة معناه في مولاه، في معرفته عن نفسه، مقيدا، عبدًا مرسلا إليه، ومطلقا رسولًا من مطلقه في مطلقه.. إنسان الله الذي حَفِظَه الله من أوحال التوحيد، وسرى به الله في فضاء التفريد، فجعل منه التقييد، كما جعل له الإطلاق.

إنسان الله وعبد الله، من قرأ كتاب الله في نفسه كتابا له من الله بقيام الله عليه في قيام الحياة له، متأزلة متأبدة، ببعده عن الفناء بكسبها سرمدا، وقيامها أبدا. ذلك المسلم، ذلك المؤمن، ذلك الإنسان، ذلك المسيح مع عاليه، الباقي به في دانيه...

العبد.. العابد، المدرك بعبوديته، لمعاني عبادته، قيام عين معبوده، رفيقا أعلى في موجود موجوده، بدخوله في لا إله إلا الله، قياما، وشهودا، لمن قام فيه، وتقلب فيه بالسجود للانهائي، ومحا موجوده إلى وجوده، موجودا لله، عبدا ورسولا لله، حقا من حقائقه، وأحدا بين آحاده، يجمعها علمه عنه بأحديته، غيبا يقصد ولا يدرك في تنزيهه عن الإطلاق والتقييد، سيرا إليه في فضاء التفريد خلف رسول الله، خلف رسول الحقيقة، خلف قائد ركب عوالمه إليه، خلف ياقوتة أحدية ذاته وعين مظهر صفاته، من تنزلت علوم آدم به فيه عليه، فأعجز كلا من الخلائق فهم ما أُودع من السر فيه، وله تضاءلت الفهوم وكل عجزه يكفيه.

الرسول.. وهو على ما هو له، وعلى ما هي معاني العجز فيه، ليس بعيدا عن متابعيه، كما أنه ليس بعيدا عنهم ربه ومعطيه، فلهم من الله ما له، ما كانوا فيه، وما كانوا به، إلى فضاء التفريد المنزه عن الإطلاق وعن التقييد، ليكون لهم من الله ما أراد بهم الله، {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}[٩]، {ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون}[١٠]، (لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا)[١١]. (حسب ابن آدم من الطعام لقيمات يقمن صلبه)[١٢]، ما خلق الله الإنسان، ولا الجان، إلا لنفسه، إلا ليعبدوا أنفسهم له، حتى يكونوا جذوة النار المقدسة للأعلى، وحتى يكونوا فجر النور للأشرق والأسمى، وجوها له، وأيدي ممتدة منه إلى خلقه، إلى

الناس، فما عرف الناس في الله إلا الناس، وما عرف الإنسان في الله إلا الإنسان، وما رَبَّ الإنسان في الله إلا الإنسان، وما رحم الإنسان إلا الإنسان، وما تلاقى الإنسان في الله إلا بالإنسان، الله لهم، والله بإحاطته من ورائهم، قاصيا ودانيا، مدينا وديانا، ربا وعبدا، فالإنسان محل الآلاء، ومحل الإحسان، لفاطره على فطرته، فاطر السماوات والأرض وما بينهما.

هذا ما تحملنا إليه لا إله إلا الله، سفينة نجاة، نركبها إلى فضاء التفريد، المنزه عن الإطلاق وعن التقييد، فنعلم أن الله ما يعلونا منا، وأن الله ما يسفلنا منا، بأسفل أنفسنا هاوية، تلقاها يد الله أسفل منها راحمة، ولها مُكرِمة، ومن العدم لها حافظة، فهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، فإذا تسامينا بأنفسنا، فتعالينا بها، فعرجنا تساميا، ولله طَلبا، حملتنا يد الله، ما دام الكبرياء بعيدا عنا، فإذا للكبرياء تذوقنا في مصعد، بنا، إلينا، بطشت بنا يد كبريائه، من أعلى، وعلينا أكبر، فردتنا إلى الأرض من حيث نشأنا وسرنا، فسرنا وهوينا من الأرض إلى أسفل فأسفل، حتى تلقانا يد رحمته مرة أخرى.

فالإنسان بين يدي رحمته، أعلى من عاليه، وأسفل من أسفله، ولو عرف الإنسان أنه بين يدي رحمته، فتأدب بأدب رسوله لكان يدا لرحمته، وقياما ليده بين يديه، وكان أمر الله الوسط، وحق الله الوسط، وإنسان الله الوسط، وأمة الله الوسط، فعرف أن خير الأمور الوسط، فعرف الله، واستقام في نفسه أمرًا لله، وعبدًا لله، وحقا لله، على ما رأى رسول الله أمره ونفسه، (من رآني فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي)[١٣]. وأنا المثل الأعلى لكم، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض، وما لاقى طالب الله في السموات أو في الأرض، وما فوقهما وما دونهما، إلا مثلا أعلى بما قام به هو، من رؤيته في نفسه حقا قائما يعلوه حق ويسفله حق، يطلب الأعلى ويرحم الأدنى. فالمثل الأعلى للشيطان، الشيطان الأكبر يوم يكون له أعلى فيفيء إلى أمر الله. والمثل الأعلى للرحمن، الأرحم والأوسع والأحلم، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض، وفي كل مجال، وفي كل ميدان، وفي كل معنى، وفي كل أمر.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وأمر الله، المثل الأعلى لنا وعدناه وشهدناه، وهو لنا من الله ما استقمنا مع الله في متابعته، وشهدنا رسول الله حقا منه، نشهد أنه محمد، وأنه رسول الله، وأنه بمحامد الأخلاق حُمِد ووصف.

اللهم يا من هو لنا قبل أن نكون.. اللهم يا من هو لنا بعد أن نتوفى.. اللهم كن لنا في قائم، وارحمنا بك في دائم، وتكفلنا برسولك في رحيم.. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، فقد اضطرب أمرنا، وضاق

صدرنا، وتأزمت الحياة من حولنا، وغمرتنا الفتنة بظَلامها، وفقدنا سكينة الليل في منامنا، وجمال الشهود في نهارنا، وقيامنا، وها نحن في حمارة القيظ بفعلنا وغفلتنا.

اللهم أدخلنا في ظل رحمتك، واشملنا بكنف عنايتك، وأضفنا إلى الرسول، رسول رحمتك، حتى نُرحم، وحتى أنّا من الجهل نخرج فنعلم.. اللهم أسرِ بنورك منه فينا، وصل بنورك منه إلينا، حتى تُشرق مشكاة صدورنا، وحتى تهتز بالحياة أرض قلوبنا، وحتى تنطلق من سجن الذوات أرواحنا إلى فضاء التفريد، المنزه عن الإطلاق وعن التقييد، وحتى يشرق نور الحياة في عقولنا، فتستقيم به جوارحنا، وتُقوَّم به طريقنا.

اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وأصلح أمرنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، قوادا ومقودين، يقظين وغافلين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

سئل السيد الروح المرشد الحكيم (سلفربرش) عن الحد الذي تتدخل به الإرادة الصادرة من مفردات وجماعات البشر في سير التطور للبشرية فأجاب:

(إن الإرادة تلعب دورا هاما، ولكن تذكروا أنكم إذا استخدمتم هذا اللفظ فإنكم تقصدون شيئا مناقضا، إذ أنه لا توجد إرادة خالصة تماما، نظرا لأنها محكومة بالظروف التي لا تستطيع السيطرة عليها والتي سوف تخضع لها هي. الإرادة المطلقة تكيفها عوامل وقوانين عالمكم، وقوانين الكون الطبيعية، وحالتكم من التطور. ونحن نحاول دائما أن نصوب تأثيرنا نحو كل ما فيه تقدم ومساعدة للبشر. لا يمكننا التداخل في إرادتكم المطلقة ولكن يمكننا أن نوحي لكم باختيار رأي في الحياة أكثر صلاحية وتعقلا.

إن القانون الطبيعي للتجاذب سائر، لأنه ما دام هناك أواصر قربى بين مجموعتين فأفراد كل منهما يرغبون من تلقاء ذاتهم في مساعدة الذين يقومون بمهامهم. وعندما يفد لعالمنا سياسي كان منهمكا كثيرا في أحد مناهج الإصلاح ولم يكن قد أكمله أثناء حياته الأرضية، فإنه يجاهد ليؤثر على الآخرين الذين يبدون الميل لإتمام إصلاحه. هذا صحيح إلى درجة أن الوطنية تظل عاملة حتى في عالمنا، لفترة قصيرة حتى يزداد رقي الروح. وصحيح أيضا أن الذين ينتقلون من ذوي الآراء المتغطرسة أو من السكيرين أو مدمني المخدرات يحاولون إشباع ميولهم خلال الآخرين ممن يكون لديهم ميول مماثلة في عالمكم.)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢ سورة الإنسان - ٣٠

٣ سورة الإنسان - ٣

٤ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدُّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.

٥ سورة البقرة -٢٠٨

٦ سورة العاديات - ٦

٧ سورة عبس - ١٧

٨ حديث شريف: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء). رواه أبو داود، والترمذي.

٩ سورة الذاريات - ٥٦

١٠ سورة الذاريات - ٥٧

١١ حديث شريف: "لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكُّله؛ لرزقكم كما يرزق الطيرَ: تغدوا خماصًا وتروح بطانًا." أخرجه أحمد، الترمذي، وابن ماجه.

١٢ حديث شريف: "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه. (رواه الترمذي)

١٣ حديث شريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

(٢٠)

ذات الحياة وروح الحياة
عالي الحق بعاليه وداني الحق بدانيه
عبد الله ورسول الله واسم الله
تمام كلمة الله لأحديته لآحاد به عبادًا لله لا حصر للآحاد له

حديث الجمعة

٩ صفر ١٣٨٤ هـ - ١٩ يونيو ١٩٦٤ م

بسمك اللهم.. اللهم قوم أمرنا.

وبسمك الرحمن الرحيم، يسر سبيلنا.

وبسمك نور السموات والأرض، أنر عقولنا.

وبسمك الحي القيوم، أحيِ قلوبنا.

وبسمك الواسع العليم، حرر أرواحنا.

وبسمك العزيز الحكيم، أشعل جذوة الحياة في نفوسنا.

دعوتنا، بلسانك برسولك ذاتا فأجبنا، ولما جاء به في كل رسالة استمعنا، وجددت دعوتك به روحا وقد غفلنا، وفي قيامنا فيما عرفنا قد فترنا، فلبينا، اللهم به فاغفر لنا وارحمنا.

غفرانك ربنا، إنّا كنّا من الظالمين. اللهم بتجديد رسالته على ما أُعلمنا، بالجمود لا تَفتنّا، ومن رواسب الماضي فخلصنا، ومن ضيق نفوسنا فحررنا.

اللهم لا تخيب فيك رجاءنا بما من فضلك كسبنا، ولا تجازنا بظلام ما اكتسبنا من فعل أنفسنا، وعنه لا تحاسبنا، وحقق لنا ما أردت بنا، برحمتك، وبمنتك، وبفضلك، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

كافة للناس، أبرزته المثل الأعلى، لمن ترتضيه لحضرتك، ولعبوديتك، ولحقك، ولساحة حقيقتك، رسولا من أنفسنا، عرفناه محمدًا في صفاته.. محمدًا في ذاته.. محمدا فيما تَخَلّق به من خلقك، فكان لنا المثل الأعلى موعودا منك، نطلبه لأنفسنا ونرتضيه، على ما ارتضيته لنا، لنكون لك. وضربته لنا مثلا للمرضي عندك والمقبول منك. وجعلته كافة للناس، يوم أنهم يؤمنون بالله ورسوله في قيامهم أمرًا قائما، وفي حياتهم حقا فاعلا دائما، لا يقنطون من رحمتك، ولا ييأسون لأنفسهم من روح قدسك، يرونه روح أرواحهم لمحمودهم بك، وجماع ذواتهم بذات وجودك لدانيك به، تُعرف به لشاهدك، يوم يُصبِح مشهودَك. تشهده فيمن شهدت، ولمن شهدت، وقد أعطيته سر تكاثره كوثرا منك لك، يقوم ويتقلب في الساجدين لأمرك، لقيام كل أمر لك، فتراه فيمن فيه نراه، لأنك أزلا وأبدا تراه.

جاءت آياتك في الآفاق، وفي أنفسنا، فبفضلك لم تفتنا، أو لم يفتنا بعضها، بحقك، بتمام كلمتك استيقظنا، وبه عَلِمنا، فإليك توجهنا، ورسولك بوجوهه لعصوره تبعنا، وآثاره اقتفينا، فعرفنانا منه، وعرفناه منك، فبه عرفناك، وبمعرفتكما فينا عرفنانا لكما، ووجدنانا بكما، لا تغيبان عنا، وبكما لا نغيب عنكما.

آمنا بالله ورسوله ولم نرتب في إيماننا، على ما فعل قوم منا وأقوام من قبلنا بهم اتعظنا، فوقيتنا من العظة بنا ردا لأعمالنا، ولم تحرمنا الاتعاظ بالنعمة من أنفسنا لأنفسنا بأنفسنا في أنفسنا بدلتها إليه، فعرفناك قائما على كل نفس على ما أبلغت، وأقرب إلى كل نفس من حبل الوريد على ما حَذَّرت، وحرصنا على أمرنا لأنفسنا فلم نفرط في أمرنا أمرا لك على ما بَشَّرت، فقرأنا كتاب أنفسنا بالاتجاه إلى أنفسنا كما وَجَّهت، فكشفت عنا غطاءنا على ما وعدت، فلم تكذبنا أفئدتنا على ما عَلَّمت، متابعين إمامنا، وقُدوتنا، ورائدنا، وهادينا على ما أمرت، من جعلته نبأ منك، بما لنا فيك، وما لنا منك.

كان النبأ العظيم.. وكان العبد الكريم.. وكان الروح الأمين.. وكان الإنسان.. كان الإنسان الرشيد المرشد.. كان الإنسان المهتدي الهادي.. كان الإنسان المجيب الداعي.. كان الإنسان الحق الرسول.. كان الإنسان الإمام المجيب الآخذ بالنواصي إلى الخير.. كان إنسان الخير.. كان إنسان رحمتك للعالمين.

رضيناه لنا دينا، ورضيناه لنا مأوىً، ورضيناه لنا مائدة، ورضيناه لنا كتابا، ورضيناه لنا حقا، ورضيناه لنا بك ربا، ورضيناه لنا عنك حجابا، حجاب رحمة، حجاب سكينة، حجاب هدي، حجاب علم، حجابًا شَعَرنا فيه بالقرب منك يوم فيه دخلنا، حجابا شعرنا فيه بوحدانيتك يوم به آمنا إيمانا بك، وعنا به عرفنا معرفة عنك، وبمدخلنا فيه عن نفوسنا عزلنا، وعليها احتجبنا، وبه منك نحن منه عليها قمنا، وعليك توكلنا، فرُوعينا وَرَعينا، فيما تخلق به تخلقنا، تخلقا بخلقك على ما أمرنا فائتمرنا، ائتمرنا بأمره على ما قام به بيننا مأمورا، فأدركنا، وتابعناه آمرا فاستيقظنا.

إن رسول الله تخلق بأخلاق ربه، وعرف من أخلاق ربه أنه المتكنز بحجبه من النور والظلام، تخلقا بأخلاق الأعلى حتى لا يهلك الكون والوجود، مما خلق من سُبحات وجهه الكريم، فلما عرفه حقا منه، ونورا مُشرقا له قبضة نوره، وسر أسراره، وقد تخلق بخلقه استدارة للزمان كيوم خلق الله السموات والأرض، تكنز بأصحابه، وتحجب عن الإنسانية والبشرية، بسره بمن اصطفى من أمته، ومن متابعيه من عوالم البشرية، ومن عوالم النور، ومن عوالم النار، ومن عوالم الروح، ومن كل عالم مما عرفنا، ومما لم نعرف، فظهر بوجوهه بحجبه بأصحابه، وغاب عنا ظاهرا بحقه، مختفيا بعترته مخفيا لها، بإخفائها عن الناس إلا من لم يرتب في الله ورسوله، وراعانا بأياديه ووجوهه للإياب إليه، إيابا إلى الحق فيه، والحق معه، والحق من حوله، حضرة أسمائه وصفاته، وياقوتة أحدية ذاته، أُعجم علينا الفهم فيه، ووعدنا بالفهم فيه، يوم نكون له رسول الله، والحق من الله.

تواجد بيننا من أنفسنا، عبدًا لله، كلنا له العبد، وكلنا له الخلق، مثلا أعلى لنا ارتضاه، وبه وَعَدنا، ونحن من جانبنا لأنفسنا نتمناه، يتحقق لنا يوم ندخل في حصن لا إله إلا الله، بها نشهده حقا رسول الله، والحق لنا من الله، ونقومه صدقا ويقينا، عبادا لله، ظلالا له، ووجوها لله. هو لنا كل كُلنا، ونحن له وجوه ذاته وأسماء صفاته في معنى الحق له من الله لنا.

وليس منا ولم يتواجد بيننا بعد من كان كلًّا له على ما وعدنا وبشرنا لمعاني دوامه بكماله بالمحمود لمقامه، وعد ليكون في أمره من أمر ربه يوم يبعث بكمال حقه. كان ربه كل كله، ولم يكن هو كل ربه، على ما قام ربه في ربه، فكان رب ربه كل كل ربه، ولم يكن ربه كل ربه، في الله ذي المعارج، يطول بنا إسناد عنعنة في معارجه عنه إليه حتى إلى الذات له. تعرج إليه الملائكة والروح في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، فما قدروا الله حق قدره. وهم يجادلون في الله بغير علم ويتبعون كل شيطان مريد. ولكن الأعلى في المطلق يجمع ويسوي بين كل حق وحقه الأعلى بما يبدع في دوام من أدنى لأعلى ثم يحقق أبدي خلقه بقيوم حقه، فيتعادل قائم الحق على الخلق بقيومه من الحق بتحقيق الخلق.

أبرز الله محمدا حقا من حقائقه، وعبدا من عباده، وإنسانا من إنسانية رشاده، ونبيا جماع أنبيائه، ورسولا جماع رسالته، فختم به الإنباء عنه، وبدأ به العلم به، وأقام به الحق للخلق. أول الحق تتبعه الحقائق للخلائق كلما تجددت الخلائق.

تكاثر من أحدية حقه بحقائقه في أحديته لواحديته عبادًا للرحمن هونا يمشون على الأرض، عترة له من أنواره بأهل بيته إلى تكامل لظهوره عين باطنه من الرفيق الأعلى، يستخلفه ويخلفه، وبه بالمحمود من المقام يبعث ليرضى به قومه، فيرضى عن ربه رضي عنه.

وعدهما الأعلى لهما بتمام ظهور بهما يوم يسوي بينهما فيه، فيقوم ظاهرهما بباطنهما في الناس حقا وعبدا. {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا}[1]. فهو في دوام عبد لرب ورب لعبد، وربه في دوام رفيق أعلى لعبد، هو رفيق له وللأعلى.

الأدنى بالأعلى يظهر ويعمل، والأعلى بالأدنى يعمل ويظهر. وبذلك رضي الأعلى - وهو الأعلى لكل عليّ - الإسلام دينا، به تظهر الفطرة في ثباتها وصمديتها، يظهر بها فيها لها الإنسان بالعلم عن الله وبالقيام به.

هذا ما عناه الرسول بالساعة تأتي من بعده، يوم تنشق الأرض عنه مرة أخرى، بما وعد الناس من المقام المحمود له عندهم، يوم يخرج الله للناس دابة من الأرض، رسولا من أنفسهم على ما سبق أن فعل تكلمهم أن الناس كانوا بآياته لا يوقنون، يوم يعزز بثالث لاثنين سبقا. (لا تقوم الساعة إلا ويظهر على الأرض آدم)[2].

إن المعرفة عن الله، بالله، في أنفسنا، ومن حولنا، وعلينا، قَبلًا لنا وبعدا، وقياما لنا ووعدا، إنما تأتي عن طريق العلم والتقوى، {واتقوا الله ويعلمكم الله}[3]، فالذين يجادلون في الله بغير علم أضل أعمالهم لا يزدادون بجدلهم من الله إلا بعدا، ولا يزدادون بصلاتهم ومناسكهم منه إلا جفوة معه، ومباعدة بينهم وبينه.

{والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده}[4]، بماذا كفروا؟ إنهم كفروا بوحدانيته برؤية وجودهم في عزلة عن قيام أمره، {وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد}[5]، فمن أي حق حِدت؟ أنكرت عليه معك أينما كنت، وأنكرت عليه قائما على كل نفس بما كسبت فميزت بين نفس ونفس لقيومه على كل نفس، واخترت لقائمه من النفوس من ضل، وجافيت من اهتدى، {لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}[6]، فإذا فارقكم الهدى

(فالمرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل)[٧]، {عليكم أنفسكم}[٨]، (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)[٩]، فإذا هداك الله، برحمته، بكرمه، بفضله، ثم هدى بك رجلا واحدا، كان ذلك لك خيرا من الدنيا وما فيها.

كيف تأمر بالمعروف، ولا معروف لله عندك؟ وكيف تنهى عن المنكر، وأنت غارق في منكر من قائم وزرك، بمادي ذاتك، ولا تدري ولا تدرك أمر شيطانك لنفسك؟ {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون}[١٠]، ألم يقل لك الهادي.. ألم يقل لك رسول الهادي.. ألم يقل لك الداعي.. ألم يقل لك رسول الداعي، لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله؟ ولكنكم من دون الله تتخذون، وعباد الشيطان من دون الله لهم أنفسكم تُعبِّدون.

ألم يقل لرسوله على مسمع منكم، وفي بلاغ لكم {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}[١١]؟ ألا تدركون بذلك أن من أوجب سؤاله عن الله، التزم الله بإبرازه على الأرض، كما التزم بدوامه عليها، حتى يكون أمره دائم القيام ودائم النفاذ؟ {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[١٢]. (يقوم ويتقلب في الساجدين)[١٣].

ألم يقل ببلاغه وببيانه إن الله صمد في معناه.. صمد في ذاته.. صمد في صفاته.. صمد في فعله.. صمد بمثله.. صمد بأسمائه.. صمد فيما يبرز من عباد رحمته، أحواض الحياة لبشريته ولخلقه؟ لا جديد في الحق، كما لا جديد في الطبيعة، كما لا جديد تحت الشمس، كما لا جديد فوق الشمس.

إن الله هو الله دائما، وإن فعله هو فعله دائما، لا ينقطع له فعل بخلق، ولا ينقطع منه شهود بشهيد في رحمة أو في حساب، ولا ينقطع فيه رد الأعمال إلى أربابها، جزاءً، وفاقا...

لا يتوقف له إقامة عدل، بإقامة أحكام، بتولية وخلع لحكام في دوام. أالأمر متروك للناس حبالهم على غواربهم، ولا نظام، ولا قانون، ولا أمر، ولا حكم، ثم هو بعد ذلك يحاسب، ويحاكم، ويراقب، ويشهد؟ ألم يقل لكم (كيفما تكونوا يولَّ عليكم)[١٤] في ظاهر أمركم، وفي باطن أمركم؟ مالكم كلما دُعي الله وحده، وذكر الله وحده، وعُلِم الله وحده لا تؤمنون، فإذا وضعت لكم معرفة من شرك فإذا أنتم تقبلون، وبها تؤمنون، ومما أمرتم به ونهيتم عنه تتحررون؟ الحساب ليوم الحساب!!، والعقاب ليوم العقاب!

هل خرج يومكم من يوم الحساب؟ هل خرج يومكم من يوم العقاب؟ هل خرج يومكم من يوم الله؟ هل انقطعت أيام الله برسل الله، بعباد الله، بحقائق الله، وعباد الرحمن يمشون بينكم على الأرض هونا، بينهم الأشعث والأغبر، الذي لو أقسم على الله لأبره، وأنتم بهم تهزأون، وعنهم لا تبحثون، وإن لاقيتموهم، عليهم تنكرون، ولهم تظاهرون، وتحتقرون وتمقتون، وزيفا من مثالكم تقبلون وتتابعون،

ودين الله بينكم تزيفون، ولأنفسكم تخدعون، وعلى أنفسكم تكذبون، وبها على الناس تفترون، وللصدق بينكم تحرفون؟

{يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون}[١٥] ما يأتيهم من ذكر مُحدث، إلا استمعوه وهم يلعبون، وعنه لاهون، قلوبهم عنه ملتفتة، وعقولهم له غير صافية، ونفوسهم له غير متقبلة، يمشون بينهم أهل الذكر وعباد الرحمن لا يؤبه لهم، وهم أحواض الحياة.. وهم سفن النجاة.. وهم طريق السلامة.. وهم منارات الحياة والقيامة.. وهم بحار الحياة والسلامة.. وهم فيافي الوجود والكرامة.. يضل فيهم الساري إلا يوم يكون له منهم فيه دليل من خبير بالرحمن يأخذ بيده، هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[١٦]...

ولكن الناس يركنون إلى أنفسهم مظلمة. فمعرفة الله عندهم أمر ليس في حاجة إلى علم ولا معلم ينير لهم الطريق إلى عقيدتهم فيه مستقيمة. والطريق عندهم بوهمهم وظنهم واضحة معالمها. فهم ليسوا في حاجة إلى دليل أو رائد يسلك بهم، ويجتاز بهم الفيافي والبحار والمحيطات، فقد أحاطوا بها، أليسوا هم خلقا لله، سلموا أنهم عباد لله؟ ألم يقولوا بوجود الله؟ ألم يرددوا دوما الشهادة بالوحدانية فيقولون بأنهم يشهدون أنه لا إله إلا الله؟ ألم يرددوا ذكر رسول الله فيشهدون أنه حقا رسول الله؟

وهم في حقيقة الأمر ما شهدوا لا إله إلا الله، وما علموها، وما استقاموا محمدًا رسول الله، وما تابعوها، ولكنهم بخيالاتهم لأنفسهم رسموها، عبدا أو ربا، هو على مثالهم، ألم يكن عبدًا لله كما هم عباد لله؟ إنهم يؤمنون بالله كما آمن هو بالله، فيتابعونه على شهادته وشعاره لا إله إلا الله، لفظا يلوكونه، وكلاما يرددونه، لا واقع له في حياتهم، أو في أنفسهم، ولا في الآفاق من حولهم، ولا فيما هو حولهم مما يجري في مجتمعاتهم، وفي أممهم، وفي بشريتهم، وفي أرضهم، وفي أسرهم، بقديم أو قائم لها أو مرجو لقادمها.

الدين لله، ونحن في دنيانا.. هذا قولهم وشعارهم.. فلنكن في دنيانا، ولنعمل بدنيانا ولدنيانا، ولنعش في دنيانا، وللدين يوم كلنا إليه يوم يأتي يوم الدين.

يسوفون الله.. ويسوفون رسول الله.. ويسوفون أيام الله.. ويسوفون دين الله.. ويسوفون ساعات الله.. ويسوفون قائم الله.. وقيامة الله.. فيفقدون كرتهم بالحياة في عالم فطرتها، ينتظرهم يوم خسرانهم، يوم يعرفونها كرة خاسرة، ويقومون (الصيف ضيعت اللبن)[١٧]، (ولات ساعة مندم)[١٨]، {وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد}[١٩]، (ومن مات فقد قامت قيامته)[٢٠]، (ولكل منكم ساعة)[٢١]، (القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)[٢٢]، (الدنيا مزرعة الآخرة)[٢٣].

إن الرسول وهو يقول من مات فقد قامت قيامته، فأي يوم للقيامة تنتظرون، وهو يهدي (موتوا قبل أن تموتوا)[٢٤]، فتعيشون في آخرتكم وأنتم على ما أنتم من دنياكم؟ أأنتم أعرف بدين الله من رسول الله؟ هل أنتم أعلم بقيامة الله، ممن قامت عليه قيامة الله، وكشف عنه غطاؤه؟ ما كذبه فؤاده، وما فارقه رشاده، ما أخطأه عقله، وما خاب في ربه رجاؤه، بحياة قلبه، واستقامة قالبه. من كان بينكم رسول الله من بعد معلوم ذاته مبلغة بذواته مبينة، وقد جعل له ومعه نور الله يمشي به في الناس وهو بينكم؟ وكيف تكون روح الله منه لكم وقد أنكرتم عليه معنى روح الله بينكم، والله يحول بين المرء وقلبه؟ هل كان رسول الله إلا روح الله، روحا تجسدت بشرا في روحه ولروحه، يوم قال لكم أنا روح القدس حتى لا تيأسوا من روح الله لكم؟

من كان عبد الله بينكم ولكم من بعد أول ذواته، فما كان عبد الله لمعنى رسول الله، إلا ذاته من ظاهر مثالية ذواتكم، أُعطي التكاثر بمعناه بها منها كوثرا من الله لكم. إن الذي قيل له استقم كما أمرت، إنما هو إنسان العبودية له، بذات آدمه في قيامكم، آدم أوادمكم لذواتكم لآدم وآدما لكم. وما جعل إليه الأمر بالاستقامة على ما أمر إلا رسول الله، وما كان رسول الله إليه إلا روح القدس لمعناه، وما كان معناه لمعنى الرفيق الأعلى له إلا قديم قديم إنسان ربوبيته حقا له.

ما قام وتقلب في ساجد لله بذاته، ولكن قام وتقلب في الساجدين لله، يُشْهَدون من الله، المشهود هو له بلطيفه لروحه، فيوم قال أنا روح القدس كشف عن معاني رسول الله لمعناه، ويوم قال ما أعطيته فلأمتي كشف عن معاني عبوديته، مثالا مرتضىً من الله للناس كافة، يكونون على معناه في معاني العبودية له، على ما كان من معاني العبودية فيه، أمة وعبادًا لله، وظلالا له لمعاني روح القدس لأناه، روح قدس لها من روح الله في مطلقه للانهائيه من قدس الله لعلي قدسه، برزت بذات قدس في عبد لله، عنون الأقدس لذاته، من ذات أقدس لذات معناه.

فطلب الناس مع ذاته مقدسة مباركة الأقدس، باعتقاده رسولا له، {قل جاء الحق وزهق الباطل}[٢٥]، (والذي بعثني بالحق)[٢٦]، (والذي نفس محمد بيده)[٢٧]، {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى}[٢٨]، {يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات}[٢٩]، يوم يتبدل الإنسان بالله من معاني الخلق إلى معاني الحق دخولا في عوالم حقائقه.

لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة، تمسهم البأساء والضراء لعلهم يجأرون، وإلى ربهم يرجعون، والمثل الأعلى من بينهم يصاحبون وينشدون، والذات الأقدس يعتقدون، ويتقون، والله في أنفسهم أقرب إليهم من حبل الوريد يخشون، ويذكرون فيخشعون، فينزل عليهم من سكينته

سكينة، فيحبون ويعشقون، ويخاللون وينشدون ويطربون، والله وحده يذكرون. فإذا استمعوا إلى ذاكر يستقبلون، وقبلة لصلاتهم يتخذون، ومزيدا من المعرفة ينتظرون، لا ييأسون، ولا بما عرفوا يتبطرون، وعند الله الكثير مما إليه يفتقرون، وعليهم أن يطلبوا، وله ينشدون، وتعالى الله عما يصفون.

الله عِلما وعَلَما يذكرون، وبه يتذكرون، وبينهم عنه يتذاكرون، وعلى مرضاته يتواصون، وبالحق ينشدون، ولتحقيقهم بالحق يصبرون، ولا يتعجلون، (إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى)[٣٠]، كما يعلمون.

هذا هو الدين القيم، دين القيمة، أمركم مؤسسه ورسوله أن توغلوا فيه برفق، وأن تتأملوا في أنفسكم، وأن تتأملوا فيما حولكم، وأن الكتاب والقرآن والآيات إنما هي في قراءتكم لما في أنفسكم من الله، ولما هو من حولكم من آياته، والعاقل من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه.

فلا تختاروا لأنفسكم سبل الشقاء، سيروا في الأرض فانظروا آيات الله، وما صنع الله بأمم من قبلكم، وانظروا فيمن حولكم من الأمم، وتأملوا لما يقع في أمرهم. إن الأرض تزلزل في كل يوم زلزالها، وإن الأرض تحدث كل يوم أخبارها بحديث بليغ مبين بأحداثها. وإن الأرض في كل يوم يوحى لها، بما لها وبما عليها، فهل يتعظ الناس!

إنهم يقولون إن ذلك يكون يوم القيامة، والله يقول وإن من قرية إلا نحن مهلكوها أو معذبوها قبل يوم القيامة، فَلم يجعل العذاب في القيامة ولكن جعله في الإنذار بها، ولم يجعل الإنذار أو القيامة لعموم الأرض في حال من الظهور. وجعل الأرض والسماوات في قبضته لقيام العلم وفي يقين العقيدة بمستقيم ودائم الأمر، فإذا وقع القول على قرية على ما وعد الله، ما شأن غيرها من القرى إلا أن يتعظوا بها، ما أمر غيرها من القرى؟ إنه شأنها.. إنه قيامتها.. إنه إنذارها.. إنه بعثها.. إنه حياتها...

كالذي مر على قرية فقال أَنَّى يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه. ما شأن الناس وهذا الرجل؟ إن الله خصه بأمر. ما شأن القرى وهذه القرية؟ إنه أمر هذه القرية. هذا مثل للرجال في رجل، وللقرى بقرية، ولكن الذين يجادلون في الله بغير علم يصممون على أن الأرض جميعا تزلزل زلزالها، ويهلك الله الأرض وما عليها وما لها. سبحان الله! من أين جئتم بهذا الوعي وهذا العلم؟ ألم يقل لكم {الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه}[٣١]؟ ومتى كانت الأرض في لمحة من لمحاتها خارجة عن قبضته؟ ومتى كانت السموات بعيدة عن الانطواء بيمينه؟ وهو الذي يقول لكم، {له ملك السموات والأرض}[٣٢]، {لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض}[٣٣]، وهو الذي {يمسك السماوات والأرض أن تزولا}[٣٤]. إنه يقول عن حالك أنت يوم تعلم عن الله، فتعلم أن الأرض جميعا قبضته، أي ذاتك بوصفك عالما من السماوات والأرض، (والذي

نفس محمد بيده)[٣٥]، أي محمد.. محمد الذي استدار به الزمان كيوم خلق الله السماوات والأرض، ويكون هذا إيمانك، ويكون هذا يقينك يوم تراك أرضا وذاتا وخلقا في قبضته. وفي هذا قيامتك، والرسول يقول لكل منكم قيامة، ولكل منكم ساعة، وآخر من يخرج من النار يعطى عشر أضعاف هذه الدنيا، فلِمَ تسوفون قيامة الله لكم، وساعة الله عليكم؟ {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق}[٣٦]، فسبحان الله وتعالى عما يصفون، وتعالى الله عما يشركون، له الأمر، وله الملك، وله الحمد، في كل وقت وحين، ومع كل إنسان، وفي كل زمان، وفي كل أوان.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

اللهم يا من جعلت من إنسان رسالتك لنا دين، وأمرته أن يأوينا إليه على ما آويته بربه إلى ربه إليك، وأمرتنا أن ندخل فيه نفوسا مطمئنة ليكون لنا وجاءً من عدلك، ومن قوانين فطرتك لصفاتك لجوءا لصفة الرحمة لك به، قد هديتنا بقولك {يا أيتها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي}[٣٧]، {أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين}[٣٨]، {فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر}[٣٩]، وأمرته أن آوي إليك اليتيم على ما آويناك، وأطعم المسكين كما أطعمناك، وأغني الفقير مما به أغنيناك، تخلقا بأخلاق ربك، وقياما بأمره في قيام أمرك.

اللهم إليه فآونا، وبه فارحمنا، وبه فتولَنا، وبه فولِ أمورنا خيارنا، وبه فادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم اجعل خواتم أعمالنا في مرضاته، ومآل قيامنا إلى مقام ذاته، كوثرا وظلالا له ووجوها لك، وأدخلنا في روحه، واسقنا من نوره، وقومنا به على ما قومته، وارحمنا به على ما رحمته، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

سئل السيد الروح المرشد (سلفربرش):

هل يعمل المرشدون من عالم الروح مع العلماء من عالمنا ليوحوا إليهم بتحسينات في أبحاثهم من أجل نفع الإنسان؟ فأجاب:

(قد لا أكون مبالغا إذا قلت إن كل هبة لعالمكم.. كل اختراع.. كل اكتشاف.. له أصله غالبا في مملكة الروح. وما عقول علمائكم إلا أوعية للعقول العظمى التي نستخدمها لتسدي خيرات جديدة لعالمكم المادي. وليس من الصعب أن نبين من نفس سجلاتكم كيف أوحي بالاختراعات العظيمة في عالمكم من مخلوقات روحية لأنها كانت على علم بالخطط التي رسمت في عالمنا. ولكن يجب أن

تتذكروا أن هناك حدا للقدر الذي يمكن إذاعته. ولا تنسوا أو تغفلوا أن هناك سوء استخدام كثير، بكل أسف، بسبب نقص النمو والفهم الروحي، لما يوهب لكم من عالمنا، فقد انساقت فنون العلم للتدمير بدلا من أن تستخدم في البناء وأن تكون نعمة على الإنسان).

فسئل: هل بعض الاختراعات الجهنمية عندنا ملهمة من جانب عالمكم؟ نعم.. فعالمنا ليس عالم أناس أخيار فقط. إنه عالم طبيعي، إنه عالم فطري، إنه مواصلة لعالمكم. وإلى أن توقفوا إرسال الناس الأشرار فلن يمكننا عمل شيء في ذلك. هذا هو السبب في أننا نجاهد لنمحو الشرور من عالمكم، وفي أننا نجاهد لننادي بالحاجة إلى بناء الخلق أثناء معيشتكم الأرضية حتى تكون النفوس التي تفد إلى هنا مستعدة، ومجهزة للمهام التي تنتظرها بدلا من أن تكون غير مسلحة ولا منظمة).

(الإسلام دين الفطرة)[٤٠] ، {ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها}[٤١].

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الأنعام -١٥٨

٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣ سورة البقرة - ٢٨٢

٤ سورة النور - ٣٩

٥ سورة ق - ١٩

٦ سورة المائدة - ١٠٥

٧ حديث شريف: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

٨ سورة المائدة - ١٠٥

٩ حديث شريف ذات صلة: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وابدأ بمن تعول." صحيح البخاري وصحيح النسائي. أيضا من الحديث الشريف: "ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها فإن فضلَ شيءٌ فلأهلكَ، فإن فضل من أهلك شيءٌ، فلذي قرابتِك فإن فضَل من ذي قرابتك شيءٌ فهكذا وهكذا، وهكذا." أخرجه مسلم والنسائي.

١٠ سورة البقرة ١١-١٢

١١ سورة البقرة – ١٨٦

١٢ سورة يوسف - ١٠٨

١٣ استلهاما من سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

١٤ حديث شريف: "كما تكونوا يولَّ عليكم." رواه الديلمي والبيهقي.

١٥ سورة يس - ٣٠

١٦ سورة الفرقان - ٥٩

١٧ وردت القصة في روايات مختلفة تلتقي في فكرتها الجوهرية: الخيرِ المُضيّع بالطَّمع، أو فيمن ضيع الفرصة وفوّتها. ورد المثل في (مجمع الأمثال) للميداني

١٨ المقولة بالكامل: (ندم البغاة ولات ساعة مندم ... والبغي مرتع مبتغيه وخيم). منسوب إلى عدد من الشعراء: لرجل من طيء دون تعيينه، وإلى محمد بن عيسى ابن طلحة بن عبد الله التيمي، وإلى مهلهل بن مالك الكناني. ومعناها ليس الوقت وقتا للندم لمن بغى.

١٩ سورة ق - ١٩

٢٠ الحديث الشريف: "إذا مات أحدُكم، فقد قامتْ قيامتُه، فاعبدوا اللهَ كأنكم ترَوْنَه، واستغفِروه كُلَّ ساعةٍ". أخرجه الديلمي في الفردوس، ورواه العسكري في الأمثال.

٢١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٢ حديث شريف أخرجه الترمذي والطبراني.

٢٣ حكمة يكثر ذكر العلماء لها، وتتوافق مع الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

٢٤ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

٢٥ سورة الإسراء - ٨١

٢٦ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.

٢٧ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.

٢٨ سورة الزمر - ٤٢

٢٩ سورة إبراهيم - ٤٨

٣٠ حديث شريف أخرجه أحمد.. أيضا "إنَّ هذا الدينَ متينٌ، فأوْغِلْ فيه برِفْقٍ، فإنَّ الْمُنبَتَّ لا أرضًا قطعَ، ولَا ظهْرًا أبْقَى." أخرجه البزار والحاكم، وكذلك البيهقي باختلاف يسير

٣١ سورة الزمر - ٦٧

٣٢ سورة الحديد - ٢

٣٣ سورة سبأ- ٣

٣٤ سورة فاطر- ٤١

٣٥ قسم للرسول صلى الله عليه وسلم، يبدأ به بعض أحاديثه.

٣٦ سورة الشورى - ١٨

٣٧ سورة الفجر – ٢٧, ٢٩, ٣٠.

٣٨ سورة الماعون - ٣:١

٣٩ سورة الضحي - ١٠-٩

٤٠ إشارة إلى الآية الكريمة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} والحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولا.

٤١ سورة الشمس- ٧، ٨